

الكتاب الحاج

للعالم الفاضل

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر : دار جوامع الكلم ١٧ ش الشیخ صالح الجعفری
الدراسة - القاهرة - ت ٥٨٩٨٠٢٩

الْخَلِيلِيَّةُ

للسيد محمد بن علوى بن عباس المالكى المکى الحسنى
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

و بهامش

بحوث هامة وتحقيقات تتعلق بمواضع النقد والاعتراضات

كتبه

جمال فاروق جبريل محمود العقاد

الناشر: دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشیخ صالح الجعفری - الدراسة - القاهرة
ت: ٩٢٣٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التاريخ
الموافق

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى

خادم العلم الشريف بالبلال العرام

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد وعليه وصحبه أجمعين

عما بعد: خآقول أنا السيد محمد بن علوى بن عباس المالكى

الحسنى المالكى . بأئنني قد أذقت لدار جوامع الكلم بالقاهرة

بالقيام بطبع جميع كتبها ونشرها وتوزيعها بعد التصحيح والمراجعة

والله ولي التوفيق

بن المالكى الحسنى

الصحيح وكتابه
كتابه

١٤١١/١٢/٧

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين...

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد.....

فإن سعادة المؤمن في الدنيا وكرامته في الآخرة تتحقق
باقتدائه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصدق الله
العظيم حيث يقول في كتابه الكريم : «لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله
كثيراً» .

ولا تكون الأسوة إلا بعد معرفة رسول الله – صلى الله عليه
وآله وسلم – المعرفة الحقة ، الشاملة الكاملة ، البينة
الواضحة ، في كل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم .

ففي عباداته وعاداته أسوة ، وفي حركاته وسكناته أسوة ،
وفي أقواله وأفعاله وجميع أحواله أسوة ، وفي خلقه وخُلقه
أسوة ، وفي مشيه أسوة ، وفي جلوسه أسوة ، وفي قيامه أسوة ،
وفي نومه أسوة ، وفي حديثه أسوة ، وفي صمته أسوة . . .

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم هو الأسوة والقدوة في كل شيء فلا غنى للمؤمن عن تقضي حقائق سيرته العطرة وتتبع شمائله الطيبة.

ولقد كتب العلماء الأجلاء في صحاح كتب السنة والسيرة كل شاردة وواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم.

ففي كتاب (الشفا) للقاضي عياض و (دلائل النبوة) للبيهقي و (الشمائل المحمدية) للترمذى و (المواهب اللدنية) للقسطلاني ، وغيرها من كتب السنة والسيرة أنوار ساطعة وأضواء لامعة تبرز للمؤمنين جوانب العظمة ومواطن الأسوة والقدوة في شخصيته صلوات الله وسلامه عليه .

ولقد أتى المالكي (عالم الحرمين الشريفين) في كتابه (الذخائر المحمدية) بخلاصة ما كتبه سلفنا الصالح في هذا المضمار، ولم يترك من ذلك شاذة ولا فاذة ، فجزاه الله خير الجزاء .

وإنه لشرف - لو تعلمون - عظيم أن يأذن عالم الحرمين الشريفين السيد المكى الحسنى محمد بن علوى بن عباس المالكى لدار جوامع الكلم بطباعة هذا الكتاب القيم المفيد الذى ذاع خبره منذ أن أشرقت طبعته الأولى فتلقته أيدى

المحبة بفرح وسرور، وأصبح سؤال المحبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن (الذخائر المحمدية) متكرراً وملحاً خصوصاً بعد أن أزعج ظهوره أهل الجفوة الذين يجحدون فضل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم منكرين ومعارضين، فثارت ثائرتهم على ما جاء في ذلك الكتاب من حقائق أثبتتها الصلاح من كتب السنة والسيرة.

فهذا الكتاب لما قرئ له، فمن قرأه بعين المحبة ارتاح قلبه، وهدأت نفسه إذ هو نسمة رواحة عطرة فواحة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قرأه بعين الجحود والنكران اشتعلت في نفسه نيران الحقد والبغض فثارت ثائرته، وعميت بصيرته، فصار يهرف بالهذيان، ويتكلّم بما لا يعقله إنس ولا جان.

ومصداق ذلك تجده في هذه القصة ذات المغزى العميق، وهي قصة رواها ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه في شرحه لقصيدة أبي مدين رضى الله عنه فقال: زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد - رضى الله عنه - وقال: هل هنا أحد من اجتمع بأبي يزيد؟ فأشار إلىشيخ كبير في السن كان حاضراً هناك، فقال له: هل سمعت شيئاً من كلام أبي يزيد؟ فقال: نعم. سمعته يقول: (من زراني لا تحرقه النار)،

فاستغرب السلطان ذلك الكلام فقال : كيف يقول أبو يزيد ذلك ، وأبو جهل رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحرقه النار؟ ! فقال ذلك الشيخ للسلطان : أبو جهل لم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما رأى يتيم أبي طالب ، ولو رأه عَزَّلَهُ اللَّهُ لم تحرقه النار . ففهم السلطان كلامه وأعجبه هذا الجواب منه . ومعنى هذا الكلام أن أبو جهل لم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتعظيم والإكرام والأسوة والاعتقاد بأنه رسول الله ، ولو رأه بهذا المعنى لم تحرقه النار ، لكنه رأه بعين الاحترار واعتقاد أنه يتيم أبي طالب فلم تنفعه تلك الرؤية .

ولقد قال تعالى في كتابه الحكيم : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى . . . » فأفاد أنه عَزَّلَهُ اللَّهُ بشر يوحى إليه ، وما كان الله ليوحى إلى بشر إلا إذا أصبح وكأنه قطعة من النور في صفاء نفسه وطهارة قلبه وارتقاء روحه .

سأل الله – تعالى – أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينير به القلوب والأرواح ، ويرقي بها مراقي النجاح والفلاح إنه سميع قريب مجيب .

وها هو الكتاب الآن بين أيدي المحبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثوبه القشيب وتبوييه الجديد بما وضحته وشرحه وحققه تلميذ من تلاميذ الشيخ المالكي

المخلصين المحبين لرسول الله فضيلة الأستاذ جمال فاروق
جزاه الله خير الجزاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

عبد ربه الغنى

عبد الغنى صالح الجعفرى

صاحب دار جوامع الكلم

للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة

١٧ ش الشیخ صالح الجعفری

الدراسة مركز الجعفرى الإسلامي

ت : ٩٢٧٣٦٧

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص رسوله محمدًا صلوات الله عليه وآله وسلامه بالآيات والمعجزات وحباه بالفضائل والمزايا ورفع مكانته إلى أعلى الدرجات. فكان ذكره مرفوعاً عند أهل الأرض والسماء، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن كتاب الذخائر المحمدية الذي كتبه السيد محمد بن علوى بن عباس المالكى الحسنى ليشهد له بنور العلم وصدق المعرفة، والشىء من معدنه لا يستغرب فهو من سلالة بيت النبوة اللى جمعت له المكارم والفضائل كلها فأهل هذا البيت هم ينابيع الخير لهذه الأمة وهم سبب نعيمها وسفينة نجاتها^(١)، يجب أن نعرف لهم حقهم وأن نودهم لأجل قربتهم من النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه. فهم الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم: «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربي».

(١) إشارة إلى حديث: «إن مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي ذر، انظر الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٦٨٦.

فإذا عرفت الأمة لأهل هذا البيت قدرهم وسارت على هدى نبيها كان ذلك سبباً في سعادتها وصلاح أحوالها.

وإذا تنكرت لذلك وأهملت هذا الجانب وراحت تعلى من شأن من ليسوا أهلاً للتعظيم والحب والتوقير والتكريم كان ذلك منها انحرافاً عن السلوك الحميد والنهج القوي.

فقد روى مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام فيما رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتي رسول ربى عز وجل فأجيئه وإنى تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسکوا بكتاب الله عز وجل وخذلوا به، وحث فيه ورغم فيه ثم قال: وأهل بيتي أذركم الله عز وجل في أهل بيتي (ثلاث مرات) فقيل لزيد: من أهل بيته، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: بلى إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده وهم آل على وآل عقيل وآل العباس، وفي رواية الترمذى: «فانظروا كيف تختلفونى فيهما»^(١) هذا ويرجع سبب اهتمامى بهذا الكتاب

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه جـ ٧ م ٤ ص ١٢٢ ورواه الترمذى في صحيحه «كتاب المناقب بباب مناقب أهل بيته» جـ ٥ ص ٦٢١ ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٣ ص ١٧ .

إلى أنني قرأت في إحدى الصحف المصرية اعتراضاً على بعض القضايا التي تناولها فضيلة المؤلف وإن شئت فقل على الكتاب بمجموعه فدفعني ذلك إلى مزيد البحث والمذاكرة مع بعض أهل العلم فاجتمع عندي جملة من التعليقات والبحوث اطلع فضيلة المؤلف على بعضها فأشار عليّ بإثباتها ومزيد تقييحاً فشرح الله صدرى لذلك لاسيما وقد وجدت عند بعض المعارضين ممن قصر باعهم في العلم وضيق نظرهم في الفهم تحاماً وانتقاداً بغير هدى ولا برهان.

وإنني لأنحص بمزيد من الثناء والشكر الأخ / محمد الهادي عبيد التونسي الذي فتح الله عليه بنور العلم والمعرفة،أشكر له ما تفضل به من المراجعة والبحث فيما يتعلّق ببعض ما ورد في هذه التعليقات فجزاه الله خير الجزاء ونفع به بلاده وعباده.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتنا وأن يجعله هداية وإرشاداً لمن نظر بعين الإنصاف وأراد أن يعرف الذخائر المصطفوية والخصائص المحمدية.

والله الموفق والهادي لما فيه الصواب

كتبه

جمال فاروق العقاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآلها وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فهذه مباحث لطيفة وفوائد شريفة مختلفة ومتنوعة لا يجمعها باب ولا يربطها فصل ولا يتصل بعضها ببعض ، وإنما يربطها شيء واحد ذلك أنها تتعلق بحضرت المصطفى صلى الله عليه وآلها وسلم وهذه هي النقطة الجامدة بين مباحث هذا الكتاب .

وهو ليس جهد سنة ولا ستين . بل هي ثمرات مطالعات طويلة ونتائج مدارسة قديمة اشتغلت بجمعها وتقييدها منذ عرفت نفسي أن طلاب العلم الشرييف غذاؤهم المطالعة بل هي رؤحهم وريحانهم وقرة أعينهم .

ومنها خواطر في تفسير بعض الحقائق النبوية أو تحليل ما قد يستشكله بعض الناس في هذا الباب وردت على قلبي معانها فأثبتتها خشية ضياعها . وما كنت أود إظهار هذه المجموعة المباركة لأنني مشتغل بجمعها ولكن أشار على من لا تسعني مخالفته بإبراز ما يمكن إبرازه لاستفادة منه من يحب ذلك . وما بقى تكون منه مجموعة أخرى في إطار آخر ، فانشرح صدرى لهذا

الأمر. أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة
لوجه الكريم آمين ..

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى

نسبة الشريف:

«صلى الله عليه وآله وسلم»

* هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ^(١) بن هاشم ^(٢)
ابن عبد مناف ^(٣) بن قصي ^(٤) بن كلاب ^(٥) بن مرة بن كعب بن لؤي

* هكذا جرت عادة المتقدمين ممن كتبوا في سيرة المصطفى وفضائله أن يبدأوا بذكر نسبة الشريف وهذا في أغلب كتب السير لأن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة .
(١) عبد المطلب اسمه شيبة الحمد ، لأنه ولد وفي رأسه شيبة مع رباء حمد الناس له ، وإنما قيل عبد المطلب لأن عمه المطلب لما جاء به من عند أخواله بني النجار بالمدينة صغيراً ، وكان مردفه وراءه أخذ يقول لمن سأله عنه : هذا عبدى . اهـ «مورد الصفا في سيرة المصطفى» ص ١٧ .

(٢) هاشم ، اسمه عمرو العلا لعلو رتبته ، ولقب بـ «هاشم» له شeme الشريد للناس في مجاعة أصابتهم ، ولذا قال الشاعر :

عمرو العلا هاشم الشريد لقومه رجال مكة مستون عجاف «مورد الصفا»

(٤) قصي ، اسمه زيد ، أو يزيد وسمى بذلك لتقاصيه ، أوى بعده عن عشيرته ، وقد حاز قصي من الشرف ما لم يحظ أحد قبله من آبائه فقد اجتمعت له حجابة البيت وسقاية الحج والرفادة (أى طعام الحج) .

والندوة (أى الشورى) فلا يتم أمر إلا فى بيته ، واللواء فلا تعقد راية الحرب إلا بيده ، وعهد بها كلها قبل وفاته إلى ولده عبد الدار ولكن إخواته نازعوه فيها ولم تطب نفوسهم بجعلها في يده وكانت الحرب تتشبث بينهم لولا أن عقلاءهم جعلوا الرفادة والسقاية في بن عبد مناف فبقيتا فيهم إلى أن وصلنا إلى العباس بن عبد المطلب ثم لبنيه . أما الحجابة فبقيت في بنى عبد الدار إلى اليوم ، وبقى فيهم اللواء أيضاً حتى أبطله الإسلام وجعله حقاً للخليفة يضعه فيمن يشاء .

(٥) كلاب . اسمه حكيم ، وقيل عروة ، وسمى بذلك لولوعه بحب الصيد بالكلاب .

غالب بن فهر^(٦) بن مالك بن النضر^(٧) بن كنانة بن خزيمة^(٨) بن مدركة^(٩) بن إلياس^(١٠) بن مصر^(١١) بن نزار^(١٢) بن معد^(١٣) بن عدنان^(١٤) ... إلى الخليل إبراهيم عليه السلام.

(٦) فهر هو مجتمع قريش عند الأكثر ، وإليه تنسب قريش وما كان فوق فهر فليس بقريشى بل هو كناني على الصحيح ، ولقب فهر بقريش لأنه كان يفترش : أى يفتش عن حاجات الناس فيقضيها لهم . وقيل لأن قومه تقرموا به أى تجمعوا .

(٧) النضر اسمه قيس ، ولقب بذلك لضاراته وحسنه .

(٨) خزيمة ، تصغير خزنة (واحدة من الخزن) وهو شد الشيء وإصلاحه ، وهذا الاسم موجود في أسماء الأنصار .

(٩) مدركة ، اسمه عمرو ، سمي بذلك لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه .

(١٠) وقيل إلياس بكسر الهمزة وفتحها : ضد الرجاء سمي بذلك لأنه ولد وأبوه في سن الكهولة وإذا كان إلياس فهو موافق لاسم إلياس النبي عليه السلام ومعناه مأخوذ من رجل إلياس وهو الشجاع الذي لا يفر ، ويدرك عن النبي أنه قال : لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً ، وذكر أنه كان يسمع في صلبه ثانية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج ، وهو أول من أهدى البدن للبيت الحرام « الروض الأنف للسهيلي » .

(١١) مصر . بضم الميم وفتح الضاد ، غير مصروف للعلمية والعدل ، وهو من المضيرة أو اللين الماضر الذي كان يحب شربه ، وهو الحامض ، واسمه عمرو وكنيته أبو إلياس . وكان عاقلاً حكيماً ومن حكمه : من يزرع شرراً يحصد نذاماً ، وخير الخير أرجله ، فاحملوا أنفسكم على مكرورها ، واصرروا عن هواها فيما أفسدتها ، فليس بين الصلاح والفساد إلا فوق (أى شيء قليل) . « السيرة النبوية في ضوء القرآن والستة » محمد محمد أبو شهبة .

(١٢) نزار بكسر النون وهو من النزء « القليل » وكان أبوه حين ولد ونظر إلى النور بين عينيه - وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد ﷺ . فرح فرحاً شديداً به ، ونحر وأطعم ، وقال إن هذا كله نذر لحق هذا المولود ، فسمى نزاراً لذلك . « السهيلي » .

(١٣) معد بفتح الميم والعين وتشديد الدال وأصله من القوة ومنه اشتقاء المعدة . « السهيلي » .

(١٤) عدنان « فلان » من العدن وهو الإقامة ، وحكى الزبير : أن عدنان أول من وضع أنصبة الحرم ، وأول من كسا الكعبة . « أبو شهبة » .

(اتفاق علماء الأنساب إلى عدنان واضطراب النسبيين بعد ذلك) .

قال الحافظ العراقي في ألفية السيرة النبوية .

قد أجمعوا إلى هنا في الكتب
أصحه حواه هذه النظم
« مورد الصفا »

وهو ابن عدنان وأهل النسب
وبعده خلق كثير جم

= وكفر الإمام مالك (رحمه الله) رفع النسب إلى آدم ، لما في ذلك من الاضطراب ، والاختلاف وأيضاً فهو علم لا ينفع وجهاً لا تضر ، وهذا النسب الراكي (إلى عدنان) متفق عليه بين علماء الأنساب قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : أجمع العلماء على أن رسول الله إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه ، وروى من طريق ابن عباس (كذا قال السهيلي) أنه لما بلغ عدنان قال : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثة » .

وكذلك اتفق النسابون على أن عدنان ينتهي نسبه إلى اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فهو جد النبي الأعلى . والنسب فوق إبراهيم لا يصح فيه طريق لما فيه من التخلط وتغيير الألفاظ وسبب ذلك أنها نقلت من كتب عبرانية وقع فيها التحرير والتبدل .

ولادته ...

«صلى الله عليه وآلـه وسلم» :

ولد ﷺ يوم الاثنين في شهر ربيع الأول من عام الفيل ، قيل ثانية وقيلثالثة ، وقيل ثانى عشره ، وهذا هو المشهور عند الجمهور . ويوم الاثنين يوم مبارك ، فقد جاء عن الإمام أحمد أنه قال ابن عباس : ولد رسول ﷺ يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ، وقيل : إنه ولد مختوناً مسروراً أى مقطوع الختان ، ومقطوع السرة ^(١) .

وليلة مولده عليه الصلاة والسلام وقعت عجائب وغرائب : فمنها انتكاس كثير من الأصنام ليتئذ لوجوها وسقوطها من أماكنها . ومنها ظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد . ومنها اضطراب إيوان كسرى ، وسقوط الشرفات وخمود النيران ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ^(٢) .

(١) (القول في أنه ﷺ ولد مختوناً) . اختلف العلماء في مسألة ختانه ﷺ على ثلاثة أقوال : القول الأول : أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً وهو قول أبي الفرج بن الجوزي واختاره السيوطي في الخصائص .

القول الثاني : أنه ﷺ ختن يوم أن شقت الملائكة صدره عند حلية السعدية [أخرجه الطبراني في الأوسط] .

القول الثالث : أن جده عبد المطلب هو الذي ختنه يوم سابعه وهذا الحديث ذكره ابن القيم في زاد المعاد ج ١ ص ١٨ ، ١٩ وضعفه . =

= خلاصة القول: الذين ينكرون أن النبي ولد مختوناً لا يستندون إلى خبر صحيح بل العكس فقد وردت عدة أحاديث ساقها السيوطي (رحمه الله) منها ما أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سواتي» صححه الضياء في المختارة .
وقال الحاكم في المستدرك: تواترت الأحاديث أنه ولد مختوناً «الخصائص الكبرى ج ١ ص ٩٠» .

وقد درج البعض في زماننا هذا أن أي حديث فيه فضيلة للنبي ﷺ أو خصوصية له أو كرامة يسارعون إلى إنكاره والطعن فيه دون ثبت أو رجوع إلى كتب العلم وأقوال العلماء .
(٢) هي بحيرة من همذان وقم في بلاد فارس على جادة حجاج خراسان وهي بحيرة كبيرة أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكانت ترکب فيها السفن ويأسف إلى ما حولها من البلدان / انظر تقويم البلدان لأبي الفداء .

حواضنه ومراضعه:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

أول من أرضعه عَلَيْهِ الْكَفَافُ أمّه السيدة آمنة الزهرية ثم أرضعته ثوبية الأسلمية أياماً، وثوبية هي جارية أبي لهب أعتقها لما بشرته بولادته عَلَيْهِ الْكَفَافُ كما روى ذلك البخاري معلقاً وأنه رؤى بعد وفاته فأخبر بأنه يخفف عنه في كل يوم اثنين لعتقه ثوبية فرحاً بولادة رسول الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ وقد عدّها ابن منده في الصحابة – وفي ذلك خلاف بين أهل العلم ^(١) – وكانت ثوبية تدخل على رسول الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ بعدما تزوج خديجة فتكرّمها عَلَيْهِ الْكَفَافُ وتكرّمها خديجة، وكان عَلَيْهِ الْكَفَافُ يبعث إليها بعد الهجرة بالكسوة والصلة حتى ماتت.

ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فأخذته معها إلى بلادها وراء الطائف فيبني سعد وأقام عندها فيبني سعد أربعة أعوام على الصحيح فنالت برضاعته خيراً كثيراً، وأيّ خير من سعة الرزق ورقد العيش. وكانت الشيماء، وهي بنت حليمة السعدية تحضنه مع أمها، وقد ردّت حليمة خوفاً عليه بعد حادث شق الصدر وهو ابن خمس سنين.

ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين، إحداهما بعد تزويجه خديجة جاءت تشکوا إليه الجدب فأعطتها السيدة خديجة عشرين رأساً من غنم وبكريات، والمرة الثانية يوم حنين وحضرته عَلَيْهِ الْكَفَافُ أيضاً

(١) وقال ابن الأثير: اختلف في إسلامها، وقال أبو نعيم: لا أعلم أحداً أثبت إسلامها غير ابن منده، اهـ [أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٧ ص ٤١ دار الشعب].

أم أيمن بركة الحبشية، وكان ورثها من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها زيد بن حارثة.

نشأتها :

«صلى الله عليه وآلـه وسلم» :

نشأ عَلَيْهِ الْكَرَمُوتُورْكَيْسُون يتيمًا إذ مات والده وهو حَمْلٌ ^(١) وكفله جده عبد المطلب، ولما بلغ عَلَيْهِ الْكَرَمُوتُورْكَيْسُون ست سنين خرجت به أمـه إلى المدينة المنورة ومعها أمـيـنـ برـكـةـ الحـبـشـيـةـ تحـضـنـهـ تـنـزـوـرـ بـهـ أـخـواـلـهـ منـ بـنـيـ النـجـارـ فأـقـامـتـ بـهـ عـنـدـهـمـ شـهـرـاـ ثمـ رـجـعـتـ بـهـ فـمـرـضـتـ فـىـ الطـرـيقـ فـمـاتـ وـدـفـنـتـ بـالـأـبـوـاءـ فـرـجـعـتـ بـهـ أـمـيـنـ حـاضـتـهـ إـلـىـ مـكـةـ إـلـىـ جـدـهـ عـبدـ المـطـلـبـ وـقـيلـ :ـ إـنـ أـمـهـ حـمـلـتـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ مـكـةـ فـدـفـنـتـ بـهــ حـكـىـ ذـلـكـ اـبـنـ الـجـوزـيـ فـىـ الـوـفـاءــ ثـمـ تـوـفـىـ جـدـهـ وـعـمـرـهـ عَلَيْهِ الْكَرَمُوتُورْكَيْسُون ثـمـانـ سـنـينـ فـكـفـلـهـ عـمـهـ أـبـوـ طـالـبـ بـوـصـيـةـ مـنـ جـدـهــ،ـ وـهـ شـقـيقـ أـبـيـهـ عـبـدـ اللهــ فـصـارـ أـبـوـ طـالـبــ هـوـ الـحـامـيـ لـهـ مـنـ أـعـدـائـهــ،ـ السـغـوفـ عـلـيـهــ،ـ وـكـانـ أـبـوـ طـالـبــ فـقـيرـاـ فـأـثـرـىـ وـكـثـرـ مـالـهـ بـبـرـكـةـ كـفـالـتـهـ لـلـمـصـطـفـىـ عَلَيْهِ الْكَرَمُوتُورْكَيْسُونـ وـلـمـاـ بـلـغـ اـثـنـيـ عـشـرـ سـنـةـ خـرـجـ مـعـ عـمـهـ أـبـيـ طـالـبــ إـلـىـ الشـامــ وـلـكـنـ عـمـهـ رـدـهـ خـوـفـاـ عـلـيـهـ مـنـ يـهـودـ لـمـاـ خـوـفـهـ مـنـهـمــ الرـاهـبـ بـحـيـراــ.

ثم خـرـجـ عَلَيْهِ الْكَرَمُوتُورْكَيْسُونـ مـرـةـ ثـانـيـةـ إـلـىـ الشـامــ مـعـ مـيـسـرـةـ غـلامــ خـدـيـجـةـ فـىـ تـجـارـةـ لـهــ.

(١) هذا هو المشهور وهو الذي رجحه ابن كثير وغيره لأنـهـ قـيلـ :ـ إـنـ أـبـاهـ مـاتـ وـلـهـ ثـمـانـيـةـ وـعـشـرـونـ شـهـرـاــ،ـ وـقـدـ تـوـفـىـ أـبـوهـ عـنـ خـمـسـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ عـلـىـ الصـحـيـعــ :ـ مـالـكـيـ (ـالـمـؤـلـفــ).

أحواله قبل البعثة:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

كان عليه السلام قبل البعثة متديناً ومتعبداً، ببغض الأصنام ويكره الحرام وكان يشتغل برعى الغنم ويقول: ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم، فقيل له: وأنت، قال: نعم. رواه البخاري.

وكان يشتغل بالتجارة، وقد كان السائب بن أبي السائب يشاركه في التجارة حتى إنه قال له يوم الفتح: مرحباً بأخى وشريكى. كان لا يدارى ولا يمارى وقام على تجارة خديجة وسافر لأجل ذلك إلى الشام ورجع بأرباح وفيه لم تكن في الحسابان. وكان عمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة.

أسماوه:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

ومن أسمائه عليه السلام أنه قال: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحasher الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب فلا نبى بعدى. وفي رواية: أنا المقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة، وفي صحيح مسلم: ونبي الملhma.

وسماه الله في كتابه: بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ورؤفاً رحيمًا ورحمة للعالمين، ومحمدًا وأحمد وطه (١) ويس (٢) ومزملاً

(١) (٢) أما (طه ويس) فالقول المختار فيما كالقول في فوائج السور، واختيار بعض المفسرين أنها من أسماء النبي عليه السلام وروى القاضي عياض في ذلك أخباراً وأشاراً ذكرها في الشفاعة، واستدل البعض على أنها اسم للنبي بدلالة عود ضميم الخطاب عليه السلام =

ومدثراً وعبدًا في قوله تعالى: «وَأَنَّهُ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ» سماه عبد الله ، ونذيرًا مبينًا في قوله جل ثناؤه: «وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمَبِينُ» ومذكراً في قوله تقدست أسماؤه: «إِنَّمَا أَنْتَ مَذْكُورٌ» وقد ذكر غير ذلك وأكثر هذه الأسماء صفات .

من علامات النبوة:

أول علامات النبوة المحسوسة هي: شق صدره الشريف . وهذا الشق قد حصل له عليه السلام أول مرة وهو صغير السن عند حلية وكان في الرابعة من عمره على الصحيح . وأما المرة الثانية فقد شق صدره الشريف عليه السلام وهو ابن عشر سنين ^(١) وأما المرة الثالثة فقد شق صدره الشريف عند مجىء جبريل بالوحى حين نبىء ^(٢) وأما المرة الرابعة فهى ليلة الإسراء كما ورد فى الصحيحين . واعلم أن جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة

= في قوله تعالى: «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِشَفَقَى» وفي سورة «يس» «إِنَّكَ لَمِنَ الْمَرْسَلِينَ» وهذا غير مسلم لهم في بقية الفواتح كما لا يخفى ولافائدة من النزاع حول هذا فقد قال كثير من أهل العلم: إن فواتح السور فيها أسرار ومعان يفتح الله بها على من يشاء من أهل المعرفة والعلم .

(١) ثبت ذلك في حديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم ، وانظره في شرح الزرقاني : مالكى (المؤلف) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي كذا في شرح المواهب : مالكى (المؤلف) .

فلا يستحيل شيء من ذلك^(١).

(١) يحاول بعض المستشرقين ومن تأثر بهم من المسلمين إنكار شق صدره الشريف متعللاً بأنه ليس لهذا العمل مبرر معقول ، وأن الاستدلال عليه بقوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » غير مقبول ، ويحملون ما جاء ، في الآية الكريمة على أنه أمر معنوي ليس معناه الشق المادي وإنما معناه الاتساع والانفساح لتقدير المعارف والحقائق الإيمانية كما جاء في قوله تعالى حكاية عن الكليم عليه السلام : « رب اشرح لي صدري » وكما جاء في قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » .

وللرد على هؤلاء نقول : إن شق الصدر الشريف لم يؤخذ من هذه الآية وإنما من الروايات التي ثبتت صحتها ، وهى رواية ابن اسحق فى السيرة النبوية ورواية الامام مسلم فى صحيحه ورواية أبي يعلى وأبى نعيم وابن عساكر ، بل إن شق الصدر ليلة المعراج مروى فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث ، وقال بعض العلماء المحققين : إنها متواترة ، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن عرض لذكر الروايات الدالة على شق الصدر وتكرره : « وجميع ما ورد عن شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له ، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شيء من ذلك ، وقال القرطبي فى المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء والمعراج : لأن رواته ثقات مشاهير ، وطبعي أن من صدق به ليلة الإسراء والمعراج يلزمـه التصديق به فى الصغر ، وعند البعضـه ما دام الأمر ثابتـاً بالرواياتـ التي يـتحـجـ بها .

فعلى هذا يكون نقد المنكرين لشق صدره عليه السلام من ناحية السند غير مقبول ، وأما كون هذا العمل ليس له مبرر معقول ، فنقول : إنها عملية أجريت بيد القدرة الإلهية لإظهار مزيد الفضل والعنابة والمنة والعطاء لحبيبه ومصطفاه عليه السلام وقد ذكر المؤلف (أمد الله في عمره وبارك فيه) في الحكمـةـ والفائدةـ منـ شـقـ صـدرـهـ عليه السلامـ كـلامـاـ شـافـياـ كـافـياـ فـلـيـرـاجـعـ فـيـ مـوـضـعـهـ مـنـ هـذـاـ الـكـتـابـ صـ ٢٠٢ـ ٢٠٧ـ .

ومن علامات النبوة خاتم النبوة، واختلفت الأقوال في صفتة وأشهرها ما جاء أنه كبيضة الحمامنة وأنه بضعة لحم ناشزة «أى مرتفعة» في ظهره عند ناغض كتفه اليسرى يزهو بالنور وتعلوه المهابة وينفح بالطيب.

الرؤيا الصالحة:

وهي من علامات النبوة فقد كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وكانت تسلم عليه الأحجار والأشجار وتظلله الغمامه .

أولاده:

«صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم»:

أولاده عليهم السلام أولهم القاسم، وبه كان عليه السلام يكتنِي، وعبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب غير الطاهر، وزينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة رضى الله عنهم.

مات البنون قبل الإسلام أطفالاً، والبنات أدركن الإسلام وهاجرن معه وكلهن من خديجة رضي الله عنها.

و ولد له عليه السلام بالمدينة إبراهيم من مارية و مات إبراهيم ابن سبعين
ليلة ، و قيل سبعة أشهر ، و قيل ثمانية أشهر ، وكلهم ماتوا في حياته
إلا فاطمة فتأخرت بعده سبعة أشهر . وكانت زينب وهي أكبر بناته
رضي الله عنها عند أبي العاص بن الربيع وقد أسلم فولدت له علياً
مات صغيراً ، وأماماً و هي التي جاء أنه حملها في صلاته ، تزوجها

على بعد فاطمة خالتها بوصية منها، ثم أخلف عليها المغيرة بن نوافل بن الحارث بن عبد المطلب فولدت له يحيى ومات عند المغيرة.

وكانت فاطمة رضي الله عنها عند على رضي الله عنه فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً رضي الله عنهم فمات محسن صغيراً، وولدت رقية وزينب، وأم كلثوم، ماتت رقية قبل البلوغ، وتزوجت زينب عبد الله بن جعفر فولدت له علياً ومات وتزوج أم كلثوم رضي الله عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١) فولدت له زيداً وخلف عليها بعده عوف بن جعفر، ثم أخيه عبد الله.

وأما رقية فكانت عند عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فولدت له عبد الله وتوفيت يوم جاء زيد بن حرثة بشيراً بالفتح يوم بدر، فتزوج رضي الله عنه أم كلثوم أختها، وماتت عنده في شعبان سنة تسع.

زوجاته:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

زوجاته رضي الله عنه: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها عاشت معه قبل الوحى خمس عشرة سنة وبعده إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنين وماتت عنده. ثم سودة بنت زمعة رضي الله عنها، كبرت

(١) وقد قال رضي الله عنه في سبب زواجهما: «والله ما بني حاجة إلى النساء ولكنني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كل نسب وصهر ينقطع يوم القيمة إلا نسيبي وصهرى» رواه ابن عساكر عن عبد الله بن عمر (رضي الله تعالى عنه).

عنه فأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة رضى الله عنها وقالت:
لا حاجة لي في الرجال وإنما أريد أن أحشر في زوجاتك بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

ومن خصائصها أنها انفردت بالنبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بعد موت خديجة ثلاثة
أعوام، وقد ماتت سنة خمس وخمسين من الهجرة.

ثم عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنها، تزوجها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بمكة قبل
الهجرة بستين، وقيل: بثلاث وھي بنت ست أو سبع وبنى بها في
المدينة وهى بنت تسع، وماتت عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة.
وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك، ولم يتزوج بكرًا غيرها
وتُكَنِى بـ «أم عبد الله»^(١).

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهمَا، رُوِيَ أَنَّه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طلّقها فنزل جبريل فقال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تراجع
حفصة فإنها صوامة قوامة، وفي خبر قال: رحمةً لعمر رضى الله
عنْهِ، وتوفيت سنة خمس وأربعين وقيل غير ذلك.

وتزوج بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أم حبيبة «رملاة بنت أبي سفيان» رضى الله عنهمَا وهى
بالحبشة وأصدقها عنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ النجاشي أربعمائة دينار وولى نكاحها
عثمان بن عفان رضى الله عنه، توفيت رضى الله عنها سنة أربع
وأربعين، وتزوج بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أم سلمة هند بنت أمية رضى الله عنها وماتت
سنة اثنتين وستين وهى آخرهن موتاً، وقيل ميمونة رضى الله عنها.

(١) كناها رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بأم عبد الله ابن اختها أسماء وأبواه الزيير، وقيل لسقط كان
لها.

وتزوج عليه السلام زينب بن جحش رضي الله عنها، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين وهي أولهن وفاة وأول من حمل على نعش. وتزوج عليه السلام جويرية بنت الحارث سُبیت فی غزوة بنی المصطلق ثم أعتقها عليه السلام وتزوجها وتوفيت سنة ست وخمسين. وتزوج عليه السلام ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها خالة خالد بن الوليد رضي الله عنه وعبد الله بن عباس رضي الله عنهمما وهي آخر من تزوج عليه السلام وتوفيت سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ست وستين، فإن ثبت ذلك فهى آخر من مات منهم. - هؤلاء غير خديجة الالاتي مات عنهم -. .

وتزوج عليه السلام صفية بنت حبي بن أخطب رضي الله عنها من ولد هارون عليه الصلاة والسلام. سبیت من خيبر فأعتقها عليه السلام وجعل عتقها صداقها، وتوفيت سنة خمسين. وتزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة أم المساكين رضي الله عنها سنة ثلاثة من الهجرة. ولم تلبث عنده عليه السلام إلا شهرين أو ثلاثة وماتت. وهؤلاء ثبت على التحقيق دخوله بهن ومعاشرته لهن وقبورهن معروفة بالبقيع إلا السيدة خديجة رضي الله عنها فإنها بالحجون بمكة والسيدة ميمونة فإنها بوادي سرف ^(١)، قبل وادى فاطمة بقرب بمكة.

وتزوج عليه السلام فاطمة بنت الصحاح وخيرها عليه السلام حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه السلام ثم كانت بعد ذلك تتقط البر وتقول : أنا الشقية اخترت الدنيا .

(١) سرف : بالسين بالمهملة .

وتزوج عليه السلام أسف أخت دحية الكلبي رضى الله عنه : وخولة بنت الهذيل ، وقيل : بنت حكيم ، وهى التي وهبت نفسها له عليه السلام وقيل تلك أم شريك .

وأسماء بنت كعب الجوني رضى الله عنها ، وطلقتها عليه السلام قبل الدخول .
وامرأة من غفار فرأى عليه السلام بها بياضاً فألحقها بأهلها . وتزوج عليه السلام أميمة فلما دخل عليه السلام عليها قالت : أعود بالله منك فقال : منع الله عائذة الحقى بأهلك . وعالية بنت ظبيان طلقها عليه السلام حين دخلت عليه . وبنت السلطان وماتت قبل أن يدخل عليها . ومليلة الليثية ، قال بعضهم : وهى التى استعاذت فسرحها عليه السلام ، وخطب عليه السلام امرأة من أبيها فوصفها له ثم قال : وأزيدك أنها لم تمرض قط ، فقال عليه السلام : ما لهذه عند الله من خير فتركها ^(١) .

وكان صداقه لنسائه عليه السلام خمسمائة درهم لكل واحدة . هذا أصح ما قيل إلا صفة وأم حيبة .

إخوته من الرضاع :

« صلى الله عليه وآله وسلم » :

حمزة وأبو سلمة (عبد الله بن عبد الأسد) أرضعتهما معه عليه السلام ثوبية (جارية أبى لهب) بلبن ابنها مسروح بن ثوبية ، وحمزة وأبو سلمة من السابقين الأولين .

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (أرضعته رسول الله عليه السلام حليمة السعدية) وقد أسلم .

وعبد الله وأسية والشيماء (أولاد حليمة من زوجها الحارث بن عبد العزي السعدي) .

(١) روى ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلاً ، : « لا خير في مال لا يرزا فيه وجسد لا ينال منه » وذلك لأن الأمراض والبليا مكرفات للذنوب والخطايا .

وهو لاء الشلاة وأبواهم الحارت ذكرهم في الإصابة (ابن حجر) من جملة الصحابة وفي الأخير خلاف بين العلماء :

«صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم»:

أما أخواه فالأسود بن وهب جاء إلى النبي ﷺ وعلمه كلمات ولقنه دعاء نقله (الزرقاني) في شرح المawahب، وخاله أيضاً عبد يغوث بن وهب والد الأسود الذي كان من المستهزئين، وخالته فريضة بنت وهب.

موالیہ:

«صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم»:

زيد بن حارثة، وأعتقه عليه السلام وابنه أسامة، وثوبان، وأبو كيشة. سليم [شهد بدرًا] وأعتقه عليه السلام وتوفي يوم استخلف عمر، وأئنسته وأعتقه، وشقران [واسمه صالح] قيل ورثه من أبيه، وقيل اشتراه عبد الرحمن بن عوف وأعتقه. ورباح الأسود النبوي وكان يأذن عليه أحياناً إذا انفرد وهو الذي أذن لعمر بن الخطاب بالدخول وأعتقه عليه السلام. ويسار الراعي النبوي، [وقتله العرنيون]، وأبو رافع أسلم (وحبه له العباس) فأعتقه حين بشره بإسلام العباس وزوجه سلمى (مولاها له) فولدت له عبيد الله.

أبو مويهبة وأعتقه، وفضالة (مات بالشام)، ورافع
(مولى سعيد بن العاص) وأعتقه، ومدעם (وهبه له رفاعة

الجذامى) قتل بوادى القرى . وكركرة (نوبى أهداه له هوذة بن على) وأعتقه ، وزيد (جد بلال بن يسار) ، وعبيد ، وطهمان ، ومأبور القبطى (من هدية المقوقس) ، وواقد ، وأبو واقد ، وهشام ، وأبو ضمرة (من الفى وأعتقه) ، وحنين ، وأبو عثيб (واسمه أحمر) ، وأبو عبيد ، وسفينة (وكان لأم سلمة) فاشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ مدى حياته ، فقال لها لو لم تشرطى على ما فارقته . وكان اسمه رباحا ، وقيل مهران ، وأبو هند وأعتقه ﷺ وأنجشة الحادى ، وأبو لبابة ، وقد عدوا أكثر من ذلك .

ومن النساء سلمى (أم رافع زوج أبي رافع) ورثها من أبيه ، ومارية وريحانة وقىصر (أخت مارية) وميمونة بنت سعد ، وحضرة ، ورضوى .

قال ابن الجوزى : موالي النبي ﷺ ثلاثة وأربعون ، وإماهة إحدى عشرة رضى الله عنهم أجمعين . واعلم أن هؤلاء الموالى لم يكونوا موجودين فى وقت واحد للنبي ﷺ بل فى أوقات مختلفة . وذكر الشيخ صديق حسن خان فى شرحه على بلوغ المرام : أنه ﷺ أعتق ٦٣ نسمة (عدد سنى عمر) .

خدمه ﷺ وبعض أصحاب الوظائف:

أنس بن مالك ، وهند وأسماء (ابنا حarithة) ، وربيعة بن كعب

الأتلسيون، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر، وبلال، وسعد (مولى أبي بكر) ومخرمة بن أبي النجاشي، وكبير بن شداح، والليثي، وأبو ذر الغفارى، وأيمان بن أم أيمن، وأسلع بن شريك، ومهاجر (مولى أم سلمة)، ونعميم بن ربيعة الأسلمى، وأبو الحمراء (هلال بن العارث)، وأبو السمح واسمه إباد.

ومن النساء: بركة (أم أيمن الحبشية) والدة أسامة بن زيد، وخولة (جدة حفص)، وسلمى (أم رافع - زوج أبي رافع)، وميمونة بنت سعد (أم عياش) مولاية رقية بنت النبي ﷺ.

وكان يضرب الأعناق بين يديه على بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، ومحمد بن سلمة، وعااصم بن ثابت، والضحاك بن سفيان، وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه عليه الصلاة والسلام بمنزلة صاحب الشرطة، وكان بلال على نفقاته، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسى على خاتمه، وابن مسعود على سواكه ونعله وطهوره، وأبو رافع (واسمه أسلم) على ثقله، وعقبة ابن عامر الجهنى كان صاحب بغلة رسول الله ﷺ ويقود به فى الأسفار، وكان أسلم بن شريك بن عوف صاحب راحلة النبي ﷺ ينزل الرحل عنها، ويضعه عليها.

وكان خالد بن يسار بن عوف الغفارى هو صاحب بُدن النبي ﷺ هو وحسان الأسلمى ، وناجية بنت جنوب الأسلمى ، وكان ذر بن أبي ذر الغفارى هو راعى لقاح رسول الله ﷺ بالغابة .

وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ، وأنجشة يحدو بالنساء .
 وكان الضحاك بن سفيان بن كعب يقوم على رسول الله ﷺ بسيفه .
 وكان بطلاً يعد بمائة فارس وحده وكان عبد الرحمن بن عوف أمين رسول الله ﷺ على نسائه ، ولما أراد نساء النبي ﷺ الحج فخرجن في الهوادج عليهن الطيالسة ، وكان أمامهن عبد الرحمن بن عوف ، ووراءهن عثمان بن عفان ، وكانوا لا يدعان أحداً يدنو منهن ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يعلم الوفود بنفسه ، وأحياناً يأمر من يفعل ذلك بتعليمهم كيف يحيّون النبي ﷺ وكيف يسلّمون عليه ، وكيف يجلسون بين يديه ، كما ذكر ذلك ابن إسحاق في قصة وفـد ثقيف : « وأن أبو بكر خرج إليهم يعلّمهم ذلك » ، وكان ﷺ يستخدم غلاماً يهودياً في بعض شؤونه المنزلية ، وقد عرض عليه الإسلام فأسلم ثم مات بعد ذلك .

وكان ﷺ يقوم بنفسه على أشياء ولا يكلها إلى أحد ، كالصدقة والوضوء بالليل . روى ابن سعد عن زياد (مولى عياش بن أبي ربيعة) قال : خصلتان كان لا يكلهما رسول الله ﷺ لأحد (١) الوضوء من الليل إذا قام وإعطاء السائل (٢) .

حرسـه

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

حرسه سعد بن معاذ يوم بدر ، وحرسه أبو بكر أيضاً يومئذ

(١) أي غالباً وإن فقد يقوم بها غيره معه . مالكي (المؤلف) .

(٢) لعل ذلك كان منعاً لإخراج السائل ورعايته لمشاعره .

بالعرישن ، وذكوان بن عبد قيس ، ومحمد بن مسلمة بأحد ، والزبير يوم الخندق ، وعباد بن بشر ، وسعد بن أبي وقاص ، وأيوب (بخيبر) ، وبلال (بوادي القرى) ، ولما نزلت : «وَاللَّهُ يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ» ترك عَزِيزَ اللَّهِ الحرس .

رسـلـهـ إـلـىـ الـمـلـوـكـ :

«صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ»:

عمرو بن أمية الضمرى ، وهو أول رسول يبعثه عَزِيزَ اللَّهِ إلى النجاشى (أصحمة) ومعناه عطية ، فوضع كتاب رسول الله عَزِيزَ اللَّهِ على عينيه ونزل من سريره وجلس على الأرض وأسلم ومات فى حياة النبي عَزِيزَ اللَّهِ فى سنة تسع فصلى عليه (١) .

ودحية بن خليفة الكلبى أرسله إلى ملك الروم «قيصر» وهو هرقل . فثبتت عنده نبوة النبي عَزِيزَ اللَّهِ فهم بالإسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك .

وعبد الله بن حذافة السهمى أرسله عَزِيزَ اللَّهِ إلى كسرى ملك فارس فمزق الكتاب ، فقال عَزِيزَ اللَّهِ : «مزق الله ملكه كل ممزق» .

وحاطب بن أبي بلترة أرسله عَزِيزَ اللَّهِ إلى المقوقس فقارب الإسلام ، وأهدى النبي عَزِيزَ اللَّهِ مارية وسيرين ، والبلغة الشهباء (دُلُل) وألف دينار وأثواباً عشرين .

(١) أي صلاة الغائب ، وهى أول صلاة صلبت على من غاب من موتى المسلمين .

وقد ذكر أهل السير أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث ستة نفر في يوم واحد سنة سبع فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم ^(١).
وعمرٌ بن العاص أرسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جيفر وعبد (ابن الجلندي)
ملكي عمان، فأسلمما وخليا بين عمرو وبين الصدقه والحكم
بينهم، فلم يزل حتى توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلطٌ بن عمرو العامري
أرسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هودة بن على صاحب اليمامة فأكرمه، وبعث
للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقول له: ما أحسن ما تدعونا إليه وأجمله، وأنا خطيب
قومٍ وشاعرٍ لهم فاجعل لي بعض الأمر فأبى عليه السلام، ولم
يسْلِمْ هودة.

وشجاع بن وهب الأسدى أرسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحارث بن أبي شمر
الغساني (ملك البلقاء بالشام) فرمى بالكتاب، وقال: أنا سائر
إليه فمنعه قيسر.

والهاجر بن أبي أمية المخزومي أرسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحارث
الحميري في اليمن.

والعلاء بن الحضرمي أرسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوي (ملك
البحرين) فأسلم.

وأبو موسى الأشعري بعثه إلى اليمن، ومعه معاذ بن جبل،
فأسلم عامة اليمن وملوكهم من غير قتال.

(٢) فتح الله عليهم فتعلموا لغة القوم ، وهذا من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كتابه:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

وممن كتب له عليه الصلاة والسلام الخلفاء الأربع، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبي بن كعب، وثابت بن قيس بن شناس، وخالد بن سعيد، وحنظلة بن الربيع، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وشرحيل بن حسنة، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وحذيفة ابن اليمان، وكان معاوية وزيد بن ثابت أ Zimmerman بذلك وأخصهم به^(١).

(١) وذكر السيوطي في الإنقاـن أكثر من أربعين كاتباً للوحـى.

من عجائب مولده

«صلى الله عليه وآلـه وسلم»

أخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهمَا - قال : كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حُمِّلَ برسول الله ﷺ وربّ الكعبة ، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً ، وفرّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً ، وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء : أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ﷺ ميموناً مباركاً - الحديث . قلت : ذكر هذه القصة الحافظ القسطلاني وقال : سندها ضعيف (١).

(١) مما ينبغى التنبه إليه أن كثيراً من المؤلفين في السير والموالد والتاريخ أسرفوا في ذكر العجائب التي اقتربت بميلاده ﷺ وفيها الكثير مما لم يصح ، وما هو مختلف ، لكن هناك أشياء وأمور ثابتة صدقها التاريخ والواقع منها ارجحاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته ، وغيرهن بحيرة ساوة وخמוד نار الفرس التي لم تخمد من ألف عام / انظر السيرة النبوية للدكتور محمد محمد أبو شنبه ص ١٨١ .

من عجائب نشأته

«صلى الله عليه وآلـه وسلم»

أخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخهما وابن طغر بك السياق في «النطق المفهوم» عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال، قال: إنني كنت أحدهه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجنته حين يسجد تحت العرش، قال البيهقي تفرد به أحمد بن إبراهيم الجيلي وهو مجهول، وقال الصابوني: هذا حديث غريب الإسناد والمتن، وهو في المعجزات حسن، و(المناغاة) المحادثة، وقد ناغت الأم صبيها: لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة. وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي أنه عليه السلام تكلم في أوائل ما ولد^(١)، وذكر ابن سبع في الخصائص: أنه في مهده كان يتحرك بتحرير الملائكة.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال: كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطم رسول الله عليه السلام تكلم فقال: الله أكبر كثيراً

(١) وصل عدد الذين تكلموا في المهد إلى عشرة ذكر ذلك الشنقيطي (رحمه الله) في زاد المسلم ونظم السيوطى أسماءهم فقال:

ويحيى وعيس والخليل المكرم
وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
يقال لها تزنى ولا تتكلم
وفي زمن الهادى المبارك يختتم

تكلم في المهد النبي محمد
ومُبُرّى جريج ثم شاهد يوسف
وطفل عليه مر بالآلة التي
وماشطة في عهد فرعون طفلها

والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فلما ترعرع كان يخرج
فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم — الحديث. كذا في
المواهب :

من عجائب المولد الشرييف

ومن عجائب ولادته (عليه السلام) ما أخرجه البيهقي وأبو نعيم
عن حبان بن ثابت ، قال : إنني لغلام ابن سبع سنين ، أو ثمان ،
أعقل ما رأيت وسمعت ، إذا يهودي يصرخ ذات غداة : يا معاشر
يهود ، فاجتمعوا إليه ، وأنا أسمع ، قالوا : ويلك ، مالك ؟ قال :
طلع نجم أحمد ، ولد به في هذه الليلة .

وعن عائشة قالت : كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة
التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال : يا معاشر قريش ، هل ولد فيكم
الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلم ، قال : انظروا فإنه ولد في هذه الليلة
نبي هذه الأمة بين كتفيه علامه ، فذهب اليهودي معهم إلى أمه ،
فأخرجته لهم ، فلما رأى اليهودي العلامة خرّ مغشياً عليه ، وقال :
ذهبت النبوة من بني إسرائيل ، يا معاشر قريش أما والله ليسطون
بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب — رواه يعقوب بن
سفيان بإسناد حسن كما قاله في فتح الباري .

(كذا في المواهب : ٢٣) .

ليلة المولد وليلة القدر

اختلف في وقت ميلاده عليه السلام قال الحافظ القسطلاني :
والصحيح أن ولادته عليه السلام كانت نهاراً . وقيل : ليلاً . فإن
قلت : إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلاً ، فـأيـهـماـ أـفـضـلـ
ليلة القدر ، أو ليلة مولده عليه السلام ؟ .

أجيب بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه
ثلاثة (١) :

(١) ورأيت في نسخة علق عليها المؤلف بخطه : «وفهم بعض الجهات أن المفاضلة بين ليلة
القدر وليلة المولد المتكررة في كل عام وغاب عن عقولهم أن المقصود بليلة المولد : أى التي
مضت وانقضت وقع فيها الميلاد حقيقة وهي كانت قبل ليلة القدر قطعاً بلاشك» اه . هذا ولقد
شبع بعض المعاصررين على ما ذهب إليه المؤلف بأن ليلة الميلاد أفضل من ليلة القدر ، ولم نجد
لهذا التشنيع سبباً مقبولاً إلا أن يكون داء الصدر ومرض القلب ! !
فأولاً : السيد المؤلف لم يبتعد هذا القول ولم يأت به من عند نفسه ويكتفى أنه سبقه إليه الإمام
القسطلاني في المواهب ، وذكر الإمام النبهاني في جواهر البحار أن الإمام الطحاوي نقله عن بعض
علماء الشافعية .

ثانياً : القول بأن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر لا يصادم نصاً شرعياً صريحاً أو حتى غير
صريح من كتاب أو سنته ، فليس هناك ما يفيد أن ليلة القدر هي أفضل الليالي على الإطلاق بل
الذى ورد أنها ليلة مباركة وأنها خير من ألف شهر وأنها ليلة نزول القرآن الكريم ، وهذا كله لا يعني
أنه ليس هناك ليلة أفضل منها فقد نقل ابن القيم (رحمه الله) عن شيخه ابن تيمية أنه سئل أيهما
أفضل ليلة الأسراء أم ليلة القدر ؟ فقال : إن ليلة الأسراء – إن قصد بها الليلة التي أسرى فيها رسول
الله صلوات الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل في غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا
صحيح . اهـ زاد المعاد -

فهذا ابن تيمية يذهب إلى تفضيل ليلة الأسراء على ليلة القدر لأنه حدث فيها للنبي صلوات الله عليه وسلم ما لم
يحدث في غيرها فكيف بالليلة التي كانت سبباً لحدوث كل نعمة وفضيلة لهذه الأمة ومنها حدوث
ليلة القدر ؟ .

ثالثاً : إذا كانت ليلة القدر حازت هذا الشرف كله بنزول القرآن فيها ، فكيف بليلة تجلى فيها
الحق تبارك وتعالى على الوجود بميلاد سيد الكائنات الذي كان القرآن بعض معجزاته المؤيدة له ؟ =

أحداً : أن ليلة المولد ليلة ظهوره بِعِزَّةِ اللَّهِ وليلة القدر معطاة له ، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع في ذلك ، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل .

الثاني : أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره بِعِزَّةِ اللَّهِ فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصل المرتضى فتكون ليلة المولد أفضل .

الثالث : أن ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمّة محمد بِعِزَّةِ اللَّهِ وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت به النعمّة على جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أعمّ نفعاً ، فكانت أفضل فيا شهراً ما أشرفه وما أوفر حرمته . !

لياليه كأنها لآلئ في العقود ، ويما وجهاً ما أشرفه من مولد فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعاً وحسنه بديعاً .

يقول لنا لسان الحال من

وقول الحق يعذب للسميع

= ربماً : المؤلف (أمد الله في عمره) لم يجعل هذا القول عقيدة واجبة الاتباع بل هو اجتهاد مشكور واعتقاد متوكٍ لمن رزقه الله صفاء الفطرة ونقاء الطوية وشفافية الحس الإيماني .

فوجھی والزمانُ وشهرٌ وضعی

ربيعٌ فی ربيعٍ فی ربيعٍ

(كذا فی المواهب : ٢٧)

من لطائف الميلاد النبوی

وإنما كان مولده في شهر ربيع على الصحيح، ولم يكن في المحرم ولا في رجب ولا في رمضان ولا غيرها من الأشهر ذات الشرف^(١) ، لأنه عليه السلام لا يتشرف بالزمان وإنما يتشرف بالزمان به ، وكذلك المكان ، فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة لتُتُّوِّهم أنه تشرف بها ، فجعل الله تعالى مولده عليه السلام في غيرها ، ليظهر عنایته به وكرامته عليه ، وإذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين ، ولم يجعل الله تعالى في يوم الاثنين - يوم مولده عليه السلام - من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة المخلوق فيه آدم من الجمعة ، والخطبة ، وغير ذلك من العبادات إكراماً لنبيه

(١) لابن الحاج في مدخله في ذلك رأى جميل : وهو أن الربيع مصدر أنس ومظہر بهجة في لفظه ودلاته فناسب ذلك ولادته عليه السلام ولأن في شريعة الرسول عليه السلام من الاعتدال وموافقة النفوس ما يتناسب ولطف وقت الربيع ، ثم لأنه عليه السلام لا يتشرف بالأئمة أو الأمكنة ، بل تشرف به الأئمة والأمكنة ، لعظيم مكانته وجليل فضله ، وقد انفقوا على أن أشرف بقعة في الأرض هي البقعة التي ضمت جسد الشرييف عليه السلام ، فلماذا لا يكون الشهر الذي ولد فيه من أفضل الشهور واليوم الذي تشرف بولادته من أفضل الأيام ؟ [المدخل جـ / ٢ ط دار الحديث].

عليه السلام بالتخفيض عن أمهاته بسبب عناء وجوده ، قال تعالى :
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ومن جملة ذلك عدم
التكليف ^(١) .

حول قصة الغرانيق

خلاصة هذه القصة أنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قرأ : « والنجم إذا هوى » حتى بلغ
﴿أَفَرَأَيْتَ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزِ وَمِنَةَ الْثَّالِثَةِ الْأُخْرَى﴾ ألقى الشيطان في
أمنيته ، أى في تلاوته : تلك الغرانيق العلا . وإن شفاعتهن
لترجى ، فلما ختم السورة سجد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وسجد معه المشركون
لتوفهم أنهم ذكر آلهتهم بخير ، وفشا ذلك في الناس ، وأظهروا
الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ، وكان بها من المسلمين عثمان
بن مظعون وأصحابه ، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم
وصلوا معه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وقد أمن المسلمون بمكة ، فأقبلوا سراعاً من
الحبشة .

والغرانيق في الأصل : الذكور من طير الماء ، واحدتها غربونق ،
وغربونق سمي به لبياضه ، وقيل هو الكركي ، والغربونق أيضاً :

(١) كل ما اختص به يوم الجمعة من فضائل جعل المؤلف سبب ذلك هو خلق آدم عليه
السلام في ذلك اليوم وأقول إكمالاً لفائدة : بأن آدم عليه السلام ما استحق هذه الفضائل إلا
لأن نور محمد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كان في صلبه ، ومن عظيم نعمته سبحانه وتعالى أنه اختص بهذه الأمة
بهذا اليوم العظيم المبارك وهذاها إليه بعد أن ضل عنده اليهود والنصارى فبدل اليهود به يوم
السبت والنصارى يوم الأحد .

الشاب الأبيض الناعم ، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقر لهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع ، ولما تبين للمشركين عدم ذلك ، رجعوا إلى أشد مما كانوا عليه .

وقد تكلم القاضى عياض (رحمه الله) فى الشفا على هذه القصة وتهين أصلها بما يشفى ويكتفى . وقال الإمام فخر الدين الرازى (مما لخصته من تفسيره) هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها - قال الله تعالى : «**وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهُوَيْ** * **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ**» وقال الله تعالى : «**سَنَقْرِئُكَ فَلَا تَنْسِى**» وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعونون . وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه : «أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قرأ سورة النجم وسجد وسجد معه المشركون والإنس والجن ، وليس فيه حديث الغرانيق . بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها أبته حديث الغرانيق ، ولاشك أن من جوز على الرسول الأعظم تعظيم الأواثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان نفي الأواثان ، ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعيه ، وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشائع أن يكون كذلك . ويبطل قوله تعالى : «**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** بَلْغْ مَا أَنْزَلْ إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعِلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ» فإنه لا فرق فى الفعل بين النقصان فى الوحى وبين الزيادة فيه . فبهذه الوجوه

عرفنا على سبيل الإجمال : أن هذه القصة موضوعة ، وقد قيل : إن هذه القصة من وضع الزنادقة ولا أصل لها - انتهى .

قلت : وقد ساق الحافظ القسطلاني كلاماً في هذا الموضوع لا طائل تحته . وما نقلناه في هذه المسألة هو الحق إن شاء الله تعالى ^(١) .

(١) لقد تطاول كثير من المستشرقين والمبشرين من أعداء الإسلام ومن تأثر بهم من أدعيائه على مقام النبي الأعظم ﷺ بسبب هذه القصة التي ذكرها بعض كتاب السيرة ، وبعض المفسرين - الذين لا تحقيق عندهم للروايات ، ولا يعنون بالتمييز بين الصحيح والضعيف ، والغث من السمين عن أيتهم لحشد الروايات والإكثار منها - في سبب رجوع مهاجري العجاشية وأنه نزل بسببها آية الحج ، هذا وقد حكمت الصنعة الحديثية والقواعد الأصولية على بعض علمائنا كالحافظ ابن حجر والأمام السيوطي (رحمهما الله) فقالوا : إن للقصة أصلاً تدل عليه كثرة الطرق التي رویت بها لكنهم أتوا هذه القصة بما يتفق مع عصمتها ^{عليها السلام} .

ويبين هنا بطلان هذه القصة سنداً ومتناً ولغة وعقلاً ، ثم نذكر التأويل الذي ارتضاه ابن حجر وما يلزم منه ونختتم بالتفسير الصحيح لآية الحج . وهي قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أميته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » الآيات وأخرج البزار وإبى مردويه عن شعبة عن أبي شر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأخرجها كذلك ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن شعبة أيضاً عن أبي شر عن سعيد بن جبير . كما قال الحافظ ابن حجر - وقال البزار لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد ، وبعد أن ذكر الحافظ من خرج هذه القصة ومنهم ابن اسحق في سيرته عن محمد بن كعب وموسى بن عقبة عن ابن شهاب - قال : وكلها ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد ابن جبير الأولى .

هذا وقد طعن في هذه القصة كثير من المحدثين ومن المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ، قال الإمام ابن خزيمة : إنها من وضع الزنادقة ، وصنف في ذلك كتاباً ، وقال الإمام البهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وقال القاضي عياض في الشفا : « إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقه بسند متصل . الخ . = »

= وكذلك أنكر هذه القصة الامام أبو بكر بن العربي والامام أبو منصور الماتريدي حيث قال : « والصواب أن قوله « تلك الغرانيق العلا » الخ من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوها بين الضعفاء وأرقاء الدين ليترابوا في صحة الدين » تفسير ابن كثير والبغوي .

ومما يدل على بطلان القصة من ناحية السند اضطراب الرواية فيها اضطراباً فاحشاً ، وليس من شك في أن الاضطراب يذهب الثقة بها كما هو مقرر في علم أصول الحديث . وأيضاً مما يدل على افتلال القصة ما ذكره الشيخ محمد عبده أن وصف العرب لآلهتهم بالغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك كان جارياً على المستheim إلا ما جاء في معجم ياقوت من غير سند ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان .

أما دليل بطلان هذه القصة من ناحية العقل فهو :

١ - أجمعـت الأمة عـلـى أن عـصـمـة الأنـبيـاء أمرـ واجـبـ من أمـورـ الـدـينـ الـلـاـ خـلـافـ فـيـهـ والـأـخـذـ بـهـذـهـ القـصـةـ هـدـمـ لـهـذـاـ الـأـمـرـ الـوـاجـبـ الـمـجـمـعـ عـلـيـهـ إـذـاـ كـانـ الـمـحـقـقـونـ يـقـولـونـ : إـنـ الـخـبـرـ الشـابـتـ إـذـاـ كـانـ حـدـيـثـ آـحـادـ لـيـصـلـحـ لـإـثـبـاتـ أـمـرـ مـنـ أـمـورـ الـعـقـائـدـ فـكـيـفـ بـهـدـمـ أـمـرـ مـعـلـومـ مـنـ الـدـينـ بـالـضـرـورةـ بـخـبـرـ ضـعـيفـ أوـ مـخـتـلـقـ؟ـ .

٢- إن قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ - وهو ما صدرت به الآية - يدل على أن هذا الم يكن أمراً خاصاً به ﷺ بل كان عاماً في كل رسول ونبي ، ومع هذا لم يأتنا نص من كتاب ولا سنة يفيد أن نبياً أو رسولاً من الأنبياء والرسل السابقين لسيدنا محمد ﷺ لبس له الشيطان وتكلم على لسانه .

وأما التأويل الذى ارتضاه ابن حجر وبعه السيوطى فهو أن الشيطان ترصد سكتة من سكتاته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أثناء قراءته فنطق بهذه الكلمات محاكياً نفحة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فظنها الناس من قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. [فتح البارى ج ١ ص ٣٥٥] وهذا تأويل ضعيف عند النظر والتأمل يوقع القائل به فيما فر منه وهو تسلط الشيطان على النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فالسلط عليه بالمحاكاة كالسلط عليه بالإجراء على لسانه كلاماً لا يجوز فقد أقر رئيس الشياطين بأنه لاسلطان له على عباد الله المخلصين فكيف بسيد الأولين والأخرین؟ وأيضاً لو كانت القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها من الآيات فقبلها : «أفرايتم اللات والعزى ومنة الثالثة الأخرى» وبعدها : «ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضئى إن هى الا أسماء» الخ فيكون النظم على هذا مفككاً والكلام متناقضاً فكيف تقبله عقول السامعين وكيف يسجد له المسلمين والمشركون؟ .

= وأخيراً نرى الأوفق والأصح في تفسير آية الحج ما ذكره أهل العلم والمعرفة ومنهم الشيخ الدباغ ونقله عنه ابن المبارك في كتاب الإبريز وخلاصته : أن الصواب في هذه القصة مع ابن العربي وعياض ومن وافقهما في نفي هذه القصة لا مع ابن حجر ، فقط ما وقع للنبي ﷺ شيء من هذا وإنما لارتفاع الثقة بشرعيته وبطل حكم العصمة وصار كغيره من الناس يتسلط عليه الشيطان ، ومعنى التمني في الآية أن أي نبي ورسول يتمنى الإيمان لأمته ويحبه لهم ثم الحال يختلف في أمهه فمن كفر منهم فقد ألقى الشيطان الوساوس القادحة له في الرسالة ، ومن آمن منهم ينسخ الله من قلوبهم هذه الوساوس الشيطانية ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة . وما أجمل هذا التفسير الذي يتناسب مع الآية ويكون ما يلقى الشيطان راجعاً لأفراد الأمة لا إلى نبيها ورسولها بدليل قوله تعالى : « ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسيه قلوبهم وإن الظالمين لف شاق بعيد » وإلى هذا (أي تفسير التمني) مال الإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه - كتاب التفسير - سورة الحج ، ونقل ذلك في كتابه السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة (الدكتور محمد محمد أبو شهبة) .

إظهار حقيقة

إظهار حقيقة ما ينسب إلى الإمام أبي حنيفة «رضي الله تعالى عنه» في حق أبي المصطفى عليه السلام وثبت رجوع الملا على القاري عن رأيه في حقهما، كتب عن ذلك الشيخ مصطفى الحمامي في النهضة الإصلاحية ما خلاصة: «ظهرت رسالة منسوبة للشيخ ملا على القاري» بعنوان: «أدلة معتقد أبي حنيفة الإمام في أبي حنيفة عليه السلام» تكلم فيها عن والدى رسول الله عليه السلام كلاماً كان الواجب ألا يتكلمه لأن هذا الكلام يؤذى حضرة سيد الوجود مولانا رسول الله عليه السلام ومنكر عظيم أن يؤذى حضرة الرسول عليه السلام.

فقد أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر أن درة ابنة أبي لهب موت برجل فقال: هذه ابنة عدو الله أبي لهب، فأقبلت عليه فقالت: ذكر الله أبي لنسابته وشرفه، وترك أباك لجهالته، ثم ذكرت للنبي عليه السلام فخطب الناس فقال: «لا يؤذين مسلم بكافر» معنى هذا لا تذكروا الكفار ذكراً يشمتز منه المؤمن ويتألم به وليس بكثير على المؤمن أن يُكرم حتى لا يتعرض لأقارب الكفار تعرضاً يؤذيه ويغضبه، وإذا كان هذا في أي مؤمن بالنسبة لأهله الكافرين فأولى ثم أولى أن يراعى مع رسول الله عليه السلام فالآدب الإسلامي أن لا يذكر أهله عليه السلام الذين ماتوا على الكفر ذكراً لا يليق بقرباته عليه السلام فكيف بأبويه الكريمين العظيمين؟ .

وأخرج ابن مردوه عن ابن عمر وأبي هريرة، وعمار بن ياسر (رضي الله عنهم) أنهم قالوا: «قدمت دُرّة بنت أبي لهب مهاجرة فقال لها نسوة: أنت دُرّة بنت أبي لهب الذي يقول الله (أى فيه) «تبت يدا أبي لهب» فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فخطب فقال: «أيها الناس مالى أوذى فى أهلى ، فوالله إن شفاعتى لتناهى بقرباتى حتى إن حكمًا ، وحاء ، وصدا وسلبها (أسماء قبائل) تناهى يوم القيمة بقرباتى ، وهذا الحديث نص فى الموضوع . فإنه ﷺ اهتم بمسألة ذكر عمه أبي لهب بما ذكر ، حتى قام خطيباً بين الناس - ينهاهم عن مثل ذلك بقوله : (أيها الناس : مالى أوذى فى أهلى) .

وإذا كان هذا غضبه من أجل أبي لهب ، وقد مات كافراً قطعاً ، فكيف يكون غضبه من أجل أبويه الكريمين العظيمين ، وقد ماتا على الفطرة ؟ كما سيأتي الكلام عن ذلك . إن شاء الله .

إن غضبه ﷺ لابد أن يكون عظيماً على من يشير أى إشارة إلى إهانة حضرتى هذين الوالدين العزيزين اللذين أكرمهما الله إكراماً لا يضاهى بإكرام بابراز سيد الوجود وصفوة الخلق ﷺ . ولاشك أن فاعل ذلك إنما تسبب في لعن نفسه وطردها من رحمة الله ، فإن ربنا يقول في كتابه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَؤْذُنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْدَ لَهُمْ عَذَابًا مَهِينًا﴾ . ولننتقل من هذا إلى الكلام عن هذه المسألة فنقول : «من الافتراء الفاحش على الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (رضي الله عنه) : أن يسند إليه أنه يعتقد أن

أبوى رسول الله ﷺ غير ناجين يوم القيمة . بل هما مع الكفار في نار جهنم خالدين فيها أبداً ، نعم ذلك افتراء عظيم على هذا الإمام العظيم ، وإذن من الإفك أن تُعْتَدُونَ تلك الرسالة بهذا العنوان : (أدلة معتقد أبي حنيفة الإمام في أبوى الرسول عليه السلام) على أن معتقده فيهما أنهما كافران .

فإن قال القاريء : إن ملا على القاريء ، نقل في صدر هذه الرسالة : أن هذا قاله في كتابه الفقه الأكبر ، مانصه : «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر» وإذا كان هذا قوله في كتابه المنسوب إليه فكيف تسميه افتراءً عظيماً؟ وأنا أقول : إن الذي قاله الرجل في الفقه الأكبر ليس ما ذكر . بل الذي قاله ، نصه : «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الفطرة وأبو طالب مات كافراً» . هذا الذي رأيته أنا بعيني في الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - رأيته في نسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ترجع كتابة تلك النسخة إلى عهد بعيد ، حتى قال لي بعض العارفين هناك إنها كتبت في زمن العباسيين ، وهذه النسخة ضمن مجموعة رقمها ٣٣٠ من قسم المجاميع بتلك المكتبة ، فمن أراد أن يرى هذه النسخة من الفقه الأكبر بعينه فعليه بتلك المكتبة . وهو يجدها . هناك بهذا النص الذي نقلناه هنا . ولا يظن القاريء أن رؤيتي هذه ترجع إلى عهد بعيد لا يظن هذا وليتتأكد أنها كانت في موسم الحج الفائت (سنة ١٣٥٤ هـ) بينما

ويبين وقت كتابة هذا يوم الخميس ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ
خمسة شهور وبضع شهر، لأنى كنت بالمدينة إلى أوائل شهر ذى
الحجّة من سنة أربع وخمسين ^(١).

ومن تأمل وجد أن النقل الذى بنسخة «ملا على قارى»، به
بليتان:

البلية الأولى، أنه كذب – يخالف النسخة القديمة التى مر
ذكرها.

والبلية الثانية، أن التدليس دخله، فإن الذى يقرأ (وأبو طالب
مات كافراً) بعد النص الذى نقله (ملا على) يقول: معتبرضاً
حالاً: إذا كان والدا رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتا على الكفر وأبو طالب
كذلك، فكان حق الكلام أن يكون هكذا: «ووالدا رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وأبو طالب ماتوا كفاراً» لا أن يذكر كفر أبيه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده، ويدرك
كفر أبي طالب عقبه وحده.

أما نسختنا هذه فواضح جداً ما بها من إفراد كفر أبي طالب،
إن الحكمين حينئذ مختلفان فيذكر ما يقيد إيمان أبيه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم
ينص على كفر أبي طالب.

ولعل القارئ يتدارر إلى ذهنه أن لفظ (الكفر) الذى ينقله:
«ملا على»، حرف عن لفظ (الفطرة) الذى بنسختنا التى نبهناك

(١) الكلام للسيد مصطفى الحمامي وليس للسيد محمد علوى المالكى كما يتوهم
وذلك بسبب طول النقل.

عليها . ونقلنا لك هذا منها - فإن اللفظين بينهما قرب ظاهر، وهل ذلك التحريف مقصود؟ إن حذف الحكم على أبي طالب يقول ذلك . نقول هذا ولا ندرى هل هذا الحذف من المؤلف أم من الناشر؟ .

وهذه الرسالة باطلة من أصلها لأن صاحبها رجع عما كتبه بتلك الرسالة بما كتبه في شرحه على الشفا للقاضي عياض ، وكلامه هذا في موضوعين من هذا الشرح :

الموضوع الأول برقم ٦٠١ والموضع الثاني برقم ٦٤٨ من طبعة استانبول الصادرة ١٣١٦ هـ فاما الموضوع الأول فذكر صاحب الشفا : «أن أبو طالب قال للنبي ﷺ وهو رديفه بذى المجاز عطشت وليس عندي ماء . فنزل النبي ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء ، فقال : اشرب ، قال بعد هذا «ملا على قارى» ما نصه : «قال الدلنجي : الظاهر أن هذا كان قبلبعثة ، يعني فيكون من الإرهاصات ، ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ، ولعل فيه إيماء إلى أنه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات في أواخر الزمان قريب الألف من السنوات عين في عرفات ، تصل إلى مكة وحواليها من آثار تلك البركات ، هذا وأبو طالب لم يصح إسلامه ، وأما إسلام أبوه ففيه أقوال . والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من علماء الأمة كما بينه السيوطى في رسائله الثلاث المؤلفة» .

وأما الموضع الثاني ، فقال فيه الشيخ (رحمه الله) ما نصه : « وأما ما ذكروا من إحياءه عليه الصلاة والسلام ، أبويه ، فالأصح أنه وقع على ما عليه الثقات من الجمهور كما قال السيوطى فى رسائله الثلاثة المؤلفة ، اهـ .

وبهذا فقد كفانا مؤلف الرسالة نفسها وهو الشيخ « ملا على القارى » مؤنة الرد عليها برجوعه إلى الحق والصواب ، وهكذا كان العلماء الأكابر لا يتتظر منهم إلا الرجوع إلى الصواب إن أخطأوا ، والإنابة إلى ربهم إن عصوا ، والمبادرة إلى الكمال إن عرجوا إلى نقص ، والنهاوض إلى الذروة إن سقطوا فيما هو أحاط من ذلك المقام الأسمى .

وليس هذا فقط ما يدل على نجاة أبويه عليه السلام بل هناك طريق آخر يدل على نجاتهما - رضى الله عنهم - وهو أنهما ماتا في فترة لم يكن فيها رسول الله ينذر أهلها ، ويعلمهم ما هو الواجب عليهم نحو ربهم ، ولا نحو بعضهم بعضاً ، وطال عليهم الأمد ، وهو بتلك الحالة ، فإنهم من عهد سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام - لم يرسل إليهم رسول . وإن مما معذوران عند ربهم ، كسائر العرب الذين كانوا في تلك الفترة . وأحب أن تطيل النظر في قوله تعالى : ﴿ يس وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ * إِنَّكَ لِمَنِ الْمَرْسَلِينَ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتَنذِيرِ قَوْمًا ﴾

ما أنذر آباءهم فهم غافلون》 ﴿لَتُنذَرُ قَوْمًا
ما نذَرَ آباءُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يعتذر عن غفلتهم وبعدهم عن
الواجب لمولامهم أصولاً وفروعاً، بأن آباءهم لم يأتهم نذير بإذاره،
فيعلموا أن لخالقهم عليهم حقوقاً يجب أن تراعى في باطنهم
وظاهرهم، فلما كان آباءهم هكذا نشأوا على ما كان عليه آباءهم
من ترك الواجبات.

ولعلك فهمت من الآية فرقاً عظيماً بين الولد ينشأ بين والدين
صالحين أو بين والدين فاسقين، فإن الأول ينشأ عارفاً الدين
حريصاً على اتباعه كوالديه، والثاني بالعكس. ومن هذا ما يحكى
ربنا عن قوم السيدة مريم - رضى الله عنها - إذ يقولون لها قبل أن
تبين لهم الحقيقة: «يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت
أمك بغيّاً». أى عجيب فعلك هذا المنكر، وأبواك ما كانوا من
أهلة، ويصرح بنفي العذاب عن أولئك العرب - أهل تلك الفترة -
قوله تعالى: «وَمَا كُنَا مُعذِّبِينَ حَتَّى نُبَثِّ رَسُولًا». يقول ربنا: أنا لا
أعذب أحداً من عبادي على تركه أى أصل أو أى فرع، إذا كان
بعيداً عن عهد الرسول، وبدل الشرائع المتقدمة، ولم أبعث إليه
رسولاً ينبهه ويفهمه أن ما تركه لا يجوز تركه، فإن تعذيبه حينئذ
يكون على غير جريمة في نظره، وربنا الحكم العدل لا يعذب،
على غير جريمة أبداً، وأبواه عَزَّلَهُ اللَّهُ كل معاصريهما لم يكن في
زمنهم شرائع غير مبدلة، ولا كان رسول، بل بعث عَزَّلَهُ اللَّهُ بشرعيته

بعد موتهما بزمن طويل ، فإن والده توفي وهو يَسِّرِ اللَّهُ فِي بَطْنِ أَمَّهُ في بطن أمه ، وأما أمه فماتت وهو في نصف العقد الأول من حياته الكريمة أو يزيد قليلاً ، وإنـ هـما ناجـيـاـنـ لاـ يـعـذـبـهـمـ اللهـ تـعـالـىـ ،ـ كـإـخـوـانـهـمـ أـهـلـ هـذـهـ الفـتـرـةـ ،ـ وـأـكـثـرـ عـلـمـاءـ الـأـمـةـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـمـ عـلـىـ هـذـاـ .

ولعلك تقول : قد وردت أحاديث تدل على أن بعض أهل تلك الفترة معدبون ، فيقاس الباقى على ذلك البعض .

وإنـاـ نـقـولـ :ـ إـنـ تـلـكـ الأـحـادـيـثـ لـمـ تـرـتـفـعـ عـنـ دـرـجـةـ الـأـحـادـ منـ الأـحـادـيـثـ ،ـ وـهـلـ تـقـفـ تـلـكـ الـأـحـادـ أـمـامـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـىـ ؟ـ لـعـلـكـ تـبـادرـ إـلـىـ قـوـلـكـ :ـ لـاـ ثـمـ لـاـ ،ـ وـيـمـكـنـكـ أـنـ تـقـولـ :ـ عـلـىـ فـرـضـ صـورـةـ التـعـارـضـ ،ـ لـاـ تـعـارـضـ ،ـ وـتـقـفـ تـلـكـ الأـحـادـيـثـ عـنـدـ الـأـشـخـاصـ الـذـينـ ذـكـرـتـهـمـ لـمـعـانـ فـيـهـمـ وـحدـهـمـ يـسـتـحـقـونـ بـهـاـ النـارـ ،ـ وـإـذـنـ كـيـفـ يـصـحـ الـقـيـاسـ عـلـىـ أـنـ لـاـ قـيـاسـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ ؟ـ .ـ وـلـعـلـكـ تـقـولـ :ـ إـنـ وـالـدـيـهـ يَسِّرِ اللَّهُ وَرَدَ مَا يَمْسِهِمَا فِي إِيمَانِهِمَا .

وـإـنـاـ نـقـولـ لـعـلـ الذـىـ وـرـدـ كـانـ قـبـلـ أـنـ يـحـيـيـهـمـ اللهـ تـعـالـىـ لـلـإـيمـانـ بـهـ يَسِّرِ اللَّهُ فِإـنـ هـذـاـ الإـحـيـاءـ كـانـ وـلـاـ شـكـ [ـعـلـىـ ماـ عـلـيـهـ الـأـجـلـاءـ مـنـ الـأـمـةـ وـهـمـ الـجـمـهـورـ الثـقـاتـ -ـ كـمـاـ يـصـفـهـمـ «ـمـلـاـ عـلـىـ قـارـىـ»ـ]ـ وـكـيـفـ إـذـنـ يـمـسـ إـيمـانـهـمـ بـعـدـ هـذـاـ الإـحـيـاءـ ؟ـ وـلـاـ تـغـفـلـ عـمـاـ قـلـنـاهـ قـبـلـاـ مـنـ أـنـ الـآـيـاتـ الـقـطـعـيـةـ دـلـتـ عـلـىـ نـجـاتـهـمـ ،ـ فـلـاـ يـعـارـضـهـاـ ذـلـكـ الذـىـ وـرـدـ آـحـادـاـ .ـ عـلـىـ أـنـ ذـلـكـ الـواـرـدـ تـكـلمـ عـلـىـ قـيـمـتـهـ الـعـلـمـاءـ كـلـامـاـ يـجـعـلـكـ لـاـ تـلـتـفـتـ إـلـيـهـ .ـ كـيـفـ لـاـ وـلـلـحـافـظـ السـيـوطـيـ وـحـدـهـ رـسـائـلـ ثـلـاثـةـ فـيـ

هذا الموضوع كما قال مولانا الشيخ ملا على قاري . بقى أن يقال : على رجوع ملا على قاري عن رسالته . نحن لا ندرى أئمّ الأمراء المتأخر ليكون عليه المعوّل ، أهى الرسالة ؟ وإذن ملا على قاري يكون قد رجع عن القول بنجاة الوالدين (رضي الله عنهم) أم ما قاله في شرح الشفا ؟ وإذن يكون قد رجع عن القول بأنهما من الكفار وصمم على القول بإيمانهما ، وإذا تتكلّم عن هذه النقطة نقول :

الأمر ظاهر على تقدير أن المتأخر كلامه على الشفا ، أما على تقدير أن الرسالة هي المتأخرة فالأمر يبدو في بادئ النظر صعباً ، والذى يعطى الموضوع حظه من النظر والتأمل يراه في غاية السهولة ، فإن الشيخ صرّح في شرحه على الشفا أن القول بإسلام الوالدين متفق عليه بين الأجلة من الأمة ، وهو ما عليه الجمهور من الثقات ، وإذا لو رجع عن هذا إلى القول الثاني الذي تتضمنه الرسالة يكون مخالفًا لما اتفق عليه الأجلة ، والذى عليه الجمهور من الثقات ، وأى قيمة لقول يخالف فيه قائله ما اتفق عليه الأجلة من الأمة ؟ إنه قول في ناحية وجمهور الثقات من الأمة في ناحية أخرى . إنه إذن يكون قد رجع عن الحق ، وقال ما بطّلاته من أوضح الواضحات ، فإذا أضفت إلى هذا أن أبا حنيفة - رضي الله عنه - يقول : إن الوالدين ماتا على الفطرة (أى الإسلام) بطل قول ملا على قاري وأين ملا على من الإمام الأعظم ؟ وإن ملا على لم يكتب رسالته إلا بعد أن رأى تلك الكلمة المحرفة منسوبة إلى

الإمام - رضى الله عنه - فلما رأها كتب ما كتب متكتئاً على أبي حنيفة ، ومستنداً إليه ، وقد تقدم الجواب عنها ، وأنها محرفة الأصل لها ، وقد ذكر الآلوسي وهو أحد أئمة السلف الثقات - في تفسيره عند قوله تعالى : « وتقلبك في الساجدين » أن القول بإيمان أبويه عليه السلام قول كثير من أجيال أهل السنة ، ثم قال ما نصه : « وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما - رضى الله عنهم - على رغم أنف على القاري وأضرابه بضد ذلك .

وبعد فإن الله تعالى جعل نبيه عليه السلام رحمة للعالمين ، ولقد كان والله رحمة حتى لعميه أبي طالب وأبى لهب اللذين رأياه بأعينهما وسمعا دعوته بأذنيهما وصمما على الكفر به حتى ماتا .

إن هذين لقربابتهما منه عليه السلام جاءت السنة النبوية تخبر أن الله يُخفف عن الأول العذاب دائماً ، ويقال : إنه يخفف عن الثاني في بعض الأوقات . بل كان والله رحمة لكل الكفار الذين جاهروه بالتكذيب ، فإن الله تعالى يقول فيهم : « وما كان الله ليغذبهم وأنت فيهم » إذن كيف لا يكون عليه السلام رحمة لوالديه وقد ماتا على الفطرة كما يعتقد الإمام الأعظم (رضى الله عنه) وجمهور الأمة الثقات (١)؟ .

(١) (خلاصة الكلام فيما يجب نحو والدى المصطفى عليه الصلاة والسلام) .
لقد أحسن المؤلف (أكرم الله) فيما ذهب إليه وقرره بشأن الأبوين الكريمين اللذين خرج منها منبع الأنوار كلها وأصل الرحمات جميعها . =

= لكن بقيت عدة نقاط يجب التنبيه إليها حتى نخلص إلى الأدب والتوقير لحرمة النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم .

أولاً : أرى أن الخوض في الحكم على أبوه عليه السلام بعد نجاة يعد تطاولاً على مقام النبوة وإيذاء لحضرته عليه السلام - بل كان ينبغي أن يكون العلم بنجاتهما مسلماً ومعلوماً عند أهل الإيمان فلا يحتاج إلى بحث وما دفع المؤلف إلى الكتابة عن هذه المسألة إلا أنها نعيش في عصر كثر فيه الجفاء وتطاول في الأدعية فكان لزاماً علينا جميعاً أن نزيل الشبهة التي تعلق بها هؤلاء الناس .

ثانياً : الأدلة القطعية ثبتت نجاتهما فكيف نلجم إلى معارضتها بأخبار شاذة وأحاديث آحاد؟

هل بعد قوله تعالى : «وَمَا كَنَا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» نص أو خبر يتمسك به أحد؟ اللهم إلا من كان متعاماً عن الحقائق أو في نفسه شيء يحتجبه عن رؤيتها .

وكذلك قوله تعالى : «ذَلِكَ أَن لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مَهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ» ثم تعالوا نتساءل !! إذا كان الله لا يعذب المشركين والكافار الذين اتخذوا الله من دونه وسجدوا للأصنام وشربوا الخمر واقترفوا ظاهر الإثم وباطنه ، حتى يبعث إليهم رسولًا مع أنه ثبت شركهم وكفرهم وسوء فعلهم فهم ليسوا بمعذبين إلا إذا أتاهم رسول يقيم عليهم الحجة وصدق الله إذ يقول : «رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَلِذَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ» بعد الرسول » فالسؤال الذي نتحدى به من يقول بأن أبوه عليه السلام في النار ، بأي ذنب استحقا أن يكونا في النار ؟ هل يستطيع أن ثبت أنهما كانا مشركين أو كافرين ؟ هل يستطيع أحد أن ثبت أنهما عبداً للأصنام أو سجدا لها أو شربا الخمر أو اقترفا الزنا ؟ .

بل الذي يطالع كتب السير يجد ما يدل على مكارم صفاتهما وطيب فعالهما وطهارة أصلهما ورجاحة عقلهما . ولم ينقل عنهما تعظيم لوثن أو سجود لحجر مما يجعلنا نقطع بأنهما كانا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي توحيد الخالق جل جلاله .

إذاً فلم ثبت عليهما شيء يستحقان به دخول النار ولا الخلود مع الكفار، هل ذنبهما هو خروج الرحمة المهدأة من بينهما ؟ اعتبروا يا أولى الأ بصار !

هذا وقد قسم الشيخ محى الدين بن عربى أهل الفترة في الباب العاشر من الفتوحات إلى ثلاثة عشر قسماً ، حكم لستة أقسام بالسعادة وأربعة بالشقاء وثلاثة بأنهم تحت المشيئة ، وقال الشيخ الشعراوى في اليساقية والجواهر (ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩) ما رأيت هذا التقسيم لأحد غيره .

= فاما السعداء . ١ - قسم وحد الله بنور وحده في قلبه - ويدخل في هذا القسم والدا المصطفى ﷺ - كقين بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فإن قسماً كان إذا سئل هل لهذا العالم إله؟ يقول : البعثة تدل على البعير وأثر الأقدام على المسير الخ وأما سعيد بن زيد فكان يسجد ويقول : إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم كما في صحيح البخاري ... وقال الشيخ محيي الدين : يسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتنع بفكر وذلك لأنه ذكر المخلوقات واعتبر فيها ، ولذلك يبعث أمة وحده كما ورد لا تابعاً ولا متبعاً .

٢ - قسم وحد الله بما تجلى في قلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا رؤية ولا نظر ولا استدلال . فهذا على نور من ربه .

٣ - قسم ألقى في نفسه واطلع من شدة نوره وصفاء سره على منزلة سيدنا محمد ﷺ وسيادته وعموم رسالته باطنًا من زمن آدم إلى زمانه (أى الذي ألقى في نفسه) فآمن به (أى بمحمد ﷺ) في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربها وهو قوله تعالى : « ألم كان على بيته من ربها ويتلوه شاهد منه (أى يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيمة في ضياء من خلفه وفي باطنية محمد ﷺ » .

٤ - قسم اتبع ملة حق من تقدمه كمن تهود أو تنصر أو اتبع ملة إبراهيم ... وإن كان ذلك ليس بواجب عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثاً إليه ، فهذا يحشر مع تبع ذلك النبي يوم القيمة .

٥ - قسم طالع في كتب الأنبياء فعرف شرف سيدنا محمد ﷺ فآمن به وصدق وإن لم يكن دخل في شرع نبي قط من تقدم لاسمها إن كان قد أتى بمكارم الأخلاق كحكيم بن حرام وأضرابه فهذا يحشر مع المؤمنين بسيدنا محمد ﷺ لا مع العاملين بشرعية .

٦ - قسم آمن بنبيه (الذى أرسل إليه) وأدرك رسالة محمد ﷺ وأمن به فله أجران . وأما الأشقياء .

١ - قسم عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقى مطلق .

٢ - قسم أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقى .

٣ - قسم عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء نظر أو تقليد فذلك شقى .

٤ - قسم أشرك عن تقليد محض فذلك شقى .
وأما من هو تحت المشيئة =

= ١- قسم أشرك عن نظر أحاطا فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته .
٢ - قسم عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه .

٣ - قسم عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر إليه لضعف مزاجه عن قوة غيره . فهذه أقسام الفترات بين إدريس ونوح وبين عيسى ومحمد ﷺ . اهـ .
هذا وما يدل على أن الآبوبين الشريفين بل وجده عبد المطلب (رضي الله عنهم) كانوا على التوحيد ما جاء عنهم في كتب السير فقد قال عبد المطلب عندما جاء أبرهة بجيشه لهدم الكعبة : أما الإبل فإنها لي وأما البيت فإن له ربًا سيحميه . فهل مثل هذا القول يصدر عن مشرك عابدوثن ؟ وإلا كان قد توجه إلى الأصنام والآلهة التي كانت حول الكعبة . وجاء عن عبد الله والد النبي ﷺ لما راودته امرأة عن نفسها على أن تعطيه مائة من الإبل وذلك لما رأت نور النبوة في وجهه ﷺ فقال .

أما الحرام فالمممات دونه
والحل لا حل فأستعين
بحمى الكريم عرضه ودينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه ؟
فمثل هذا الخلق الرفيع لا يمكن أن يصدر عن المشركين عبد الأصنام الذين يفعلون كل منكر وقبيح ولا يتعرفون عن شيء من هذا .
وما جاء عن أمه آمنة (رضي الله عنها) من الأخبار في شأن حمله ﷺ وولادته الكثير مما نقلته كتب السير أنها رأت كأن نوراً خرج منها أضاءت له قصور الشام .
وما أخرجه ابن سعد عن الواقدي بسنده أنها آتت بين النائم واليقظان فقال لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، فقولي : «أعيذه بالواحد من شر كل حاسد» الخصائص للسيوطى ج ١ أليس هذا كله كافيا في أنها رضي الله عنها كانت مؤمنة موحدة ؟
فهل بعد هذا كله لمجرد حديث حكم العلماء بشذوذه ومنهم من تأوله في أبي طالب نترك الأدلة القطعية وتلغى عقولنا ؟

ثالثاً : ينحصر استدلال القائلين بأن والدى الحبيب ﷺ فى النار فى حديثين من الأحاديث الشاذ :

(أولهما) : حديث مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : «استأذنت ربي أن أستغفر لأمى فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي » .
ولا يستدل بهذا الحديث على أن والدته ﷺ فى النار لأمور .

- = ١ - إذنه تعالى لرسوله ﷺ بزيارة قبرها يدل على أنها ليست كافرة لأنها عن أن يقوم على قبور الكفار والمنافقين بقوله تعالى : « ولا تقم على قبره » الآية .
- ٢ - ليس في هذا الحديث الظني الشاذ تصريح بأن أمه ﷺ في النار وإنما هو استنباط سقيم مبعشه مرض في القلوب .
- ٣ - لا يدل عدم الإذن له ﷺ بالاستغفار لأمه على شركها أو كفرها لأنه يتحمل أنه لم يؤذن له في ذلك الوقت ثم أذن له بعد ذلك كقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا .. » الآية مع أنه قبل ذلك كان يطلب من النبي ﷺ قتال الكفار فيقول : لم يؤذن لي بعد ، أو أن النهي عن الاستغفار يكون لرفع توهם أن أمه (رضي الله عنها) من أخطأ وأذنب فاستحق العذاب فيحتاج إلى استغفار ، قال تعالى : « وما كنا معدّين حتى نبعث رسولاً » .
- (ثانيهما) : حديث : أن رجلاً قال : يارسول الله أين أبي؟ قال : (في النار) فلما فقى دعاه فقال : (إن أبي وأباك في النار) رواه مسلم . والجواب على هذا الحديث من وجوه .
- ٤ - يتحمل أن النبي ﷺ أراد قوله : (أبي) عمه أبو طالب ، وهذا من الشائع في لغة العرب تسمية العم أباً ومن ذلك قوله تعالى : « قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل .. » الآية ، فإسماعيل عم يعقوب (عليهما السلام) .
- هذا الحديث قال عنه الشيخ السيوطي في مسائل الحنفـا في والـدى المصطفـى : قوله ، « إن أبي وأباك في النار » لم يتفق عليه الرواـة ، وإنما ذكره حمـاد بن سـلمـة عن ثـابـت ، وقد خالـفـه مـعـرـمـ عن ثـابـت ، فـلـمـ يـذـكـرـ : إن أبي وأباك في النار ولكن قال له : إذا مررت بـقـبـرـ كـافـرـ فـبـشـرـهـ بالـنـارـ ، وـهـذـهـ الـلـفـظـةـ لـدـلـالـةـ فـيـهاـ عـلـىـ والـدـهـ ﷺ بـأـمـرـ الـبـتـةـ ، وـهـوـ أـبـتـ منـ حـيـثـ الـرـوـاـيـةـ ، فـإـنـ مـعـمـراـ أـثـبـتـ منـ حـمـادـ ، وـإـنـ حـمـادـ تـكـلـمـ فـيـ حـفـظـهـ ، وـوـقـعـ لـهـ أـحـادـيـثـ مـنـاكـيرـ ذـكـرـواـ أـنـ رـبـبـهـ دـسـهـاـ فـيـ كـتـبـهـ ، وـكـانـ حـمـادـ لـاـ يـحـفـظـ فـحـدـثـ بـهـ فـوـهـ وـمـنـ ثـمـ لـمـ يـخـرـجـ لـهـ الـبـخـارـيـ شـيـئـاـ ، وـلـاـ أـخـرـجـ لـهـ مـسـلـمـ فـيـ الأـصـوـلـ إـلـاـ مـنـ روـيـتـهـ عنـ ثـابـتـ .
- وقد قال الحاكم في المدخل : ما خرج مسلم ل Hammond في الأصول إلا من حدثه عن ثابت وقد أخرج له في الشواهد عن طائفة ، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حدثه واتفق على التخرير له الشيخان فكان لفظه أثبت ثم وجدنا الحديث ورد من حيث سعد بن أبي وقاص بمثيل رواية معمر عن ثابت عن أنس ، فروى البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهرى ، عن عامر بن سعد عن أبيه : أن أعرابياً ، قال لرسول الله ﷺ أين أبي؟ قال : في النار قال : فأين أبوك؟ قال : حينما مررت بقبر كافر . الخ =

= وهذا الإسناد على شرط الشيختين ، فتعين الاعتماد . على هذا اللفظ وتقديمه على غيره
اـهـ «مسالك الحنفـاـ» هذا وقد عرف العلماء الحديث الشاذ بأنه ما خالف فيه الثقة من هو
أوثق منه وهذا ينطبق على الحديث المتقدم فى صحيح مسلم . وبهذا يرتفع الإشكال الذى
أوقع الكثيرين فى الحكم بأن ولدى المصطفى ﷺ فى النار، نعوذ بالله سبحانه وتعالى من
هذا القول الشنيع ونستغفره سبحانه وتعالى ونتوب إليه .

رابعاً : علينا أن نسلك فى مثل هذه الأمور ما سلكه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم
بإحسان إلى يوم الدين وأن نكف عن لغو القول وسوء الخدام وأن نحفظ أنفسنا من الوقوع
فى الزلل والبهتان .

يا والدَى المصطفى

قال العلامة السيد محمد أمين كتبى ، فى الأبوين الكريمين :
يا والد المصطفى نلت الکمالات

وجئت بالخير للماضى وللات
ما مثل ما نلت من فضل وقد جمعت
لك المفاخر بابن كامل الذات
لقد سمت على الآباء منقبة
كبير وذكرأ جميلاً فى السمات
يا بعل آمنة من خُصّصت شرفاً
حاما كما الله عن كل الخطئات
آمنتا برسول الله معجزة
وأنتما الآن فى فردوس جنات
وقد رأيت السيوطى الإمام بنى
بيتاً من العلم من أقوى الروايات
وقال : إن نجاة الوالدين غدت
حقاً بتحقيق سادات وإثبات
فانظر رسائله إن شئت تلف بها
نور اليقين على تلك الرسالات

وذاك معتقدٍ حقاً ومستندٍ
مدعماً بأحاديث وأيات
وال المصطفى مع بَرِّ الوالدين له
أعلى المناصب في كل المقامات
يابعل آمنة وهي التي نظرت
نور الشام على بعد المسافات
من كان أهدي إلى الأديان مكرمة
فأنت أهديتهم أنسى الهدىات
أبشر فإن عطاء الله ليس له
حد ويأتي بأنواع المسارات
وأنت أولى بفضل الله من بشر
لم يبلغوا بعض هاتيك المزيات
وهكذا أم خير الخلق فهى لها
حق التقدم في كل الفضيلات
يابت وهب ملكت الخير أجمعه
بوضع من جاء بالسبع القراءات
وجاء بالمعجزات الجُمْ أيسرها
نبع المياه وتسليم الجمادات

وطاف كل سماء وارتقي فرأى
 وكلم الله في ليل المناجات
 هذا هو الحق ما للشك فيه إذا
 من ملجأ عاصم أو من مغارات
 يامن رأى ليلة الإثنين رافلة
 من وضعه في ثياب سندسيات
 يامن رأى ليله الإثنين حالية
 من ذكره بعقود جوهريات
 يامن رأى ليلة الإثنين خالدة
 بيمن طالعها بين البريات
 يا أشرف الخلق قد فقت الورى نسباً
 أباً وأماً وأجداداً وجذّات
 لبيت في صلب إلياس وكان له
 بذلك ذكر جميل في السيدات
 أهدى إلى البيت بُدْنَا وهو أول من
 أهدى ففاز بفضل الأسبقيات

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ جسمه من الآفات الأرضية ونحوها

كتب في هذا البحث الإمام الحافظ الفقيه ابن حجر الهيثمي، قصيدة غراء، وشرحها العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي. شرحاً موجزاً^(١)، ذكرنا أكثره بعد القصيدة.

أما القصيدة فهذا:

فما يُحْصِي المصنّف ما يقول
هلال ليس يَطْرُقَه أَفْوُلُ
كُورِد لَا يَدْنِسُه الْذُبُولُ
جميلٌ لا يُغِيرُه الحلولُ
كذا الآفاتُ لَيْس لها وصولٌ
ولا عظماً، وَأَثْبَتَ ما أَقُولُ
تحييه، وتسمع ما يقولُ
وبَرَّ حيث يأمرها الجليل
يجوز عليه بل لا يستحيل
ويقضيها بما ورد الدليل
دواماً لا يَمْلُ ولا يَمِيلُ
عليه كى يُسَرَّ بها الرسول

توالت الأدلة والنقول
بأن المصطفى حٰي طَرِي
 وأن الجسم منه بقاء لحدٍ
وأنَّ الهاشمي بكل وصفٍ
وأنَّ الدود لا يأتى إليه
ولم تأكل له الغبراء لحمًا
وتأتيه الملائكة كل وقت
وتأتيه بأرزاق حسانٍ
وصومٌ ثم حجٌ كل عام
ويظهر للصلة بماء غيب
يصلى في الضريح صلاة خمس
كذا الأعمال تعرض كل يوم

(١) قامت مكتبة دار جوامع الكلم بطباعة هذه الرسالة تحت عنوان دافعة الشقاق والخلاف في حياة الأنبياء في قبورهم.

إِلَى الْمَوْلَى لِيَقْبَلْ مَا يَقُولُ
لِيغْفِرَهَا وَقَدْ صَفَحَ الْجَلِيلُ
رِيَاضُ مِنْ جَنَانٍ تَسْتَطِيلُ
تَشْرُفُهُ حِينَ حَلَّ بِهِ النَّزِيلُ
وَأَمْلَاكٌ بِأَفْلَاكٍ تَجْوُلُ
وَفَرْدُوسٌ بِهَا خَيْرٌ جَزِيلٌ
إِلَى كُلِّ الْبَقَاعِ لَهُ وَصُولُ
بِأَجْدَاثٍ لَهُمْ ظَلَلٌ ظَلِيلٌ
يَقِينًا غَيْرُ مَا سَكَنَ الرَّسُولُ
بِهِ رَسُلٌ كَرَامٌ وَالْخَلِيلُ
بِإِدْرَاكٍ كَمَا نَقْلَ الْفَحْولُ
تَسْلُمُ حِينَ تَطْلُعُ أَوْ تَرْزُولُ
وَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَهُ قُبُولُ
لَهَا الْحَادِي وَطَابَ لَهَا الْمَقِيلُ
وَأَدْمَعَهُمْ كَسِيلٌ إِذْ يَسِيلُ
وَيَنْظَرُهُمْ إِذَا ازْدَحَمَ الْقُفُولُ
بِأَذْنِيهِ فَقْصُرٌ يَا مَلْوَلُ
يَقِينًا فَهُوَ زَنْدِيقٌ جَهُولٌ

فَإِنْ كَانَتْ صَلَاحًا قَامَ يَدْعُو
وَإِلَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَهُوَ يَدْعُو
وَبِقُعْتَهُ التَّى ضَمَّتْهُ حَقًا
كَذَا اللَّهُدُ الذَّى ضَمَ الطَّوَایا
وَأَفْضَلُ مِنْ سَمَوَاتٍ وَأَرْضٍ
وَمِنْ عَرْشٍ وَمِنْ جَنَاتٍ عَدِينٍ
وَفِي الْقَبْرِ الشَّرِيفِ تَرَاهُ حَيًّا
وَكُلَّ الْأَنْبِيَاءَ كَذَاكَ حَقًا
وَلَمْ تَعْلَمْ مَقَابِرَهُمْ بِأَرْضٍ
وَفِي حَبْرَوْنَ أَيْضًا ثَمَّ غَارٌ
وَلَوْلَا أَنَّهُ حَيٌّ حَرِيٌّ
لَمَا سَعَتِ الشَّمُوسُ إِلَيْهِ حَقًا
وَمَا كَانَ الْحَجِيجُ إِلَيْهِ يَسْعَى
كَذَاكَ النَّوْقُ فِي الْوَادِي يَنَادِي
تَمَدَّ رَقَابَهَا شَوْقًا إِلَيْهِ
وَيَلْقَاهُمْ إِذَا وَفَدُوا عَلَيْهِ
وَيَسْمَعُهُمْ إِذَا صَلَوَا عَلَيْهِ
وَمِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ هَذَا بَطَهُ

عُبِيْدُ هِيَتْمِي مُسْتَجِير
عَلَيْهِ اللَّهُ صَلَى كُلَّ وَقْتٍ
مَدِي الْأَيَّامِ مَا شُدَّتْ حَمْوَلٌ
وَآلِ الصَّحَابَةِ مَا تَدَانِي
مِنَ الْأَقْطَارِ سَيْلٌ إِذْ يَسِيلُ

شرح قصيدة ابن حجر الهيثمي

في إثبات حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

شرح هذه القصيدة العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقطي ،
وقد قرأت شرحه هذا ، واستفدت منه هذه الفوائد الآتية :

قوله : (الذُّبُول) أى الجفاف واليس على طول الزمان . قوله
(وأثَبْتَ ما أَقُول) أى ثبت قولى بالأحاديث الصحاح . كما أخرجه
النسائي فى سنته فى «كتاب الجمعة» ، فقد روى النسائي هنا ،
عن أوس بن أوس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قدْ حَرَمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) .

وأخرجه ابن ماجه فى سنته فى باب ذكر وفاة النبي عليه الصلاة
والسلام ورواه أيضًا فى كتاب الجمعة عن شداد بن أوس عنه عليه
الصلاه والسلام ، ورواه غيرهما كأبي داود .

وقد جاء فى حياة الأنبياء أحاديث كثيرة من جملتها أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى
موسى يصلى فى قبره ، وغير ذلك .

قوله : (وتأتى به بأرزاق) أى لأنه جمع له بين الشهادة والنبوة لأنه ثبت عنه أن أكلة خير كانت سبباً لشهادته عليه السلام مع كون حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم أعلى من حياة الشهداء ، وقد قال تعالى : « ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » والرزرق ليس مقصوراً على رزق الحياة الدنيا ، وإلى كونه مقتولاً بالسم يشير قوله تعالى : « أفإن مات أو قتل » : الآية » ففيها إشارة إلى أنه إن كان مات على فراشه بحسب الظاهر فهو مقتول بحسب الواقع في نفس الأمر .

قوله : « وصوم ثم حج : البيت » أى لما ثبت من حياته هو وغيره من الأنبياء في قبورهم حياة حقيقة بأبدانهم ^(١) ، ولا يلزم من ذلك أن تكون أبدانهم محتاجة إلى الطعام والشراب الدنيويين ، لأن

الكلام على الحياة البرزخية وحياة الأنبياء في قبورهم

يخطيء كثير من الناس في فهم المراد بحياة الأنبياء في قبورهم فيظنون أنها كحياتنا التي نعيشها في هذه الدنيا ومن هنا يأتي للبس والإنكار والاعتراض . وإننا إذ نقرر هذه المسألة نقول :

أولاً : ما معنى الموت ؟

يظن الكثيرون أن معنى الموت هو عدم الحياة وأن الميت معدوم أو عدم قدسي ولا وجود له ومن هنا جاء التخليط والتخيط وسوء الفهم ، والحقيقة أن هذا الفهم من الناحية الشرعية الثابتة بالنص القاطع خطأ محض ... !!

فمفهوم الموت شرعاً أمر وجودي لا عدمي لقوله تعالى : « الذي خلق الموت والحياة ... الآية » فالموت مخلوق وهو أمر وجودي لا عدمي ، وحقيقة الموت هي انتقال من عالم إلى عالم ومن حياة إلى حياة ، وتبدل نشأة بنشأة كما قال تعالى : « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم ونشئنكم فيما لا تعلمون » .

= وقد تكون الحياة بعد الموت أكمل وأتم وإلى هذا يشير ما يروى عن الإمام على (كرم الله وجهه) بقوله :

«الناس نیام فإذا ماتوا انتبهوا» .

ثانياً : وهذه الحياة التي بعد الموت هي ما يسمى بالحياة البرزخية ، وهي عامة لكل الناس مسلمهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم وإن بللت أجسامهم وفنيت أجسادهم . وعلى هذا فهي تكون :

للأنبياء ، كما أشار إلى ذلك حديث مسلم الذي رواه أبو هريرة وذكره المؤلف وحديث مسلم كذلك الذي رواه أنس بن مالك في حياة سيدنا موسى عليه السلام وأنه قائم يصلى في قبره وغير ذلك من الأحاديث .

وللشهداء ، كما صرّح قوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لِمَنْ يقتل في سبيل الله أموات بل أحياه ولكن لا تشعرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تحبسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياه عند ربهم يرزقون ﴾ وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أعلى منزلة وأكمل حياة من الشهداء ، وللخوار : يحدثنا القرآن الكريم عن قوم فرعون فيقول : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، وللمعصاة والمذنبين : فقد أخرج البخاري (رضي الله عنه) : أن النبي ﷺ من بقرين فأخبر أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير » الحديث . وهل يعذب من ليس فيه حياة؟ .

ثالثاً : تعلق الروح بالبدن في البرزخ نوع آخر من التعلق معاير للتعلق الدنيوي مغایرة كلية يكون من قبل الروح لا من قبل البدن ، أى أن البدن في هذا الموطن لا يقتضيه كما اقتضاه في الدنيا ، ولذا كان غير مشروط بالبنية والتأليف ولا بتلك الآلات والقوى وما يتبعه من الحياة كذلك ، ومن تأمل كيف أنشأ الله الجنين في بطنه أمه وكيف أعده لتعلق النفس به .. الخ عرف أن التعلق البرزخي وأثاره مغاير للتعلق الدنيوي وأن هذه النشأة على عكس النشأة الأولى ، فهو تعلق روحي محضر مهما كان البدن بقى أو تفرق ، قرب أو بعد فعنده اتصال الروح به يحيا حياة برزخية يشعر بواسطتها بنعيمه أو بعذابه ، فالنعم والعذاب لابد أن يقعما على حي شاعر حياة وشعوراً لانقين به وبموطنه الخاص . (راجع المطالب القدسية في أحكام الروح وأثارها الكونية) محمد حسين مخلف .

= رابعاً : إذا كانت الحياة البرزخية عامة لكل الناس مسلمهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم ، فإن حياة كل نوع تغاير النوع الآخر فهى حياة متفاوتة ففى الأنبياء أتم منها فى الشهداء وفى الشهداء أتم منها فى غيرهم على تفاوت فى ذلك الغير لكنهم جميعاً يشتركون فى وصف الحياة ، وهذه الحياة حقيقة فى كل نوع وإن كنا لا نحس بها لأن البرزخ شىء آخر بمعزل عن أذهاننا وإدراكنا ، وقد جعل الله أمر الآخرة وما يتصل بها غيباً ، يتضاع هذا عند قراءة قوله تعالى : «فلولا إذا بلغت العحلقوم وأنتم حينئذ تنتظرون ، وتحن أقرب إله منكم ولكن لا تبصرون» فالملك ينزع الروح من الميت ويختابه والحاضرون لا يرون ولا يسمعون .

خامساً : ما يمتاز به الأنبياء فى حياتهم البرزخية

- ١ - لا تأكل الأرض أجسادهم (كما ورد فى الأحاديث الذى ذكرها المؤلف) .
- ٢ - حياتهم أكمل وأفضل وأقوى من حياة غيرهم وأن موتهم إنما هو راجع إلى أنهم غيروا عنا بحيث لاندرتهم ، وإن كانوا موجودين أحياء .

سادساً : قد يكشف الله لمن يشاء من عباده عن بعض أسرار هذه الحياة البرزخية ، فقد ذكر ابن تيمية الحرانى : أن سعيد بن السيب كان يسمع الأذان لكل وقت بأذنيه من القبر الشريف زمان وقعة الحرة ، لأنه مكث فى المسجد ثلاثة أيام لا يستطيع الخروج .. إلى غير ذلك مما رأه وسمعه الأولياء الصالحون وقد ذكر العلماء من ذلك الكثير والكثير . [راجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية] .

ذلك عادى لا عقلى ، فالملائكة عليهم السلام أحياه ولا يحتاجون إلى الطعام والشراب وليسوا مقصورين أيضًا على طعام الدنيا وشرابها .

قوله : «ويقىضها» أى الصلاة ، أى يؤدىها تلذذًا بها لا وجوبًا عليه . قوله : «يصلى فى الضرير صلاة خمس» وليس الصلوات الصادرة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم على سبيل التكليف ، بل على سبيل التلذذ بها ، فيصير ذلك من جملة النعيم لهم ، وفي صحيح مسلم مرفوعاً : «إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» .

قوله : «كذا الأعمال تعرض كل يوم : البيت» يشير به إلى أحاديث وردت في ذلك منها : ما أخرجه ابن سعد في طبقاته عن بكر بن عبد الله المزنى مرسلاً : «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنت مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شرًا استغرت لكم»^(١) .

(١) حديث عرض الأعمال على النبي ﷺ
قال الحافظ ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ^{٤/٢٤} عن هذا الحديث رجاله رجال الصحيح ، وهذا الحديث روأه البزار في مسنده كما في كشف الأسنان ^{١/٣٩٧} بإسناد رجاله رجال الصحيح ، وقال السيوطي في الخصائص ^{٢/٢٨١} سنه صحيح وقال الحافظان العراقيان - الزين وابنه ولـي الدين - في طرح التثريـب ^{(٣) / ٢٩٧} إسناده جيد ، ورواه ابن سعد بإسناد حسن مرسلاً (كما ذكر المؤلف) وصنف الشـيخ عبد الله الغـمارى رسـالة فـى بيان صـحتـه ، لكن ادـعـى بعضـ المـعاـصـرـين ضـعـفـ هـذـاـ حـدـيـثـ لـأنـهـ يـعـارـضـ حـدـيـثـ آخـرـ فـىـ الصـحـيـحـ وـهـوـ : «يـذـادـ عـنـ الـحـوـضـ أـقـوـامـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـأـقـولـ يـارـبـ أـمـتـ ، فـيـقـالـ لـىـ : إـنـكـ لـاـ تـدـرـىـ مـاـ أـحـدـثـ بـعـدـكـ » فـأـقـولـ : سـحـقاـ لـمـ بـدـلـ بـعـدـيـ رـوـاهـ الـبـخارـيـ . أـجـابـ عـنـ هـذـاـ التـعـارـضـ الـمـعـصـومـ الـحـافـظـ اـبـنـ حـجـرـ فـىـ فـتـحـ الـبـارـىـ ^{١١/٣٨٥} ، فـقـالـ : إـنـ الـذـيـنـ يـذـادـونـ هـمـ الـمـنـاقـقـونـ وـالـمـرـتـدـونـ فـهـؤـلـاءـ لـاـ تـعـرـضـ أـعـمـالـهـمـ عـلـيـهـ فـىـ الـدـنـيـاـ لـخـرـوجـهـمـ مـنـ أـمـتـهـ حـقـيـقـةـ فـهـذـاـ يـجـمـعـ بـيـنـ الـحـدـيـثـيـنـ وـيـتـفـقـ الـتـعـارـضـ .

قال العزيزى فى شرح الجامع الصغير، وذلك فى كل يوم كما ذكره المؤلف، وعده من خصوصياته، وتعرض عليه أيضاً مع الأنبياء والآباء يوم الاثنين والخميس اـهـ بلفظه.

قال الحفنى فى حاشية الجامع الصغير فى معنى : تحدثون إلخ أى تذكرون لى ما يشكل عليكم، ويحدث لكم أى يذكر لكم من قبلى ما يزيل عنكم ، اـهـ المراد منه .

قوله : (رياض) لما صَحَّ عنه (القبر روضة من رياض الجنة) الحديث ، وإذا كان كذلك فبقعته التى ضمت جسده الشريف رياض من جنات إلخ كما قال الناظم (رحمه الله تعالى) .
قوله (وأفضل من سموات وأرض . . . البيت).

قال القسطلانى فى المواهب اللدنية : «وأجمعوا على أن الموضع الذى ضم أعضاء الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض ، حتى موضع الكعبة ، كما قاله ابن عساكر والباجى والقاضى عياض ، بل نقل التاج السبکى كما ذكره (السيد السمهودى فى «فضائل المدينة») عن ابن عقيل الحنبلى أنها (أى البقعة التى قُبر فيها رسول الله ﷺ) أفضل من العرش ، وصرح الفاكهانى بتفضيلها على السموات ، ولفظه ، وأقول (أنا) : وأفضل من بقاع السموات ثم قال : ولا أرى من تعرض لذلك ، والذى أعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه وقد جاء أن السموات شرفت

بمواطئ قدميه ، بل لو قال قائل : إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السموات لتشرفها بكونه عَزَّلَهُ اللَّهُ حالاً فيها لم يبعد ، بل هو عندي الظاهر المتعين» اهـ وحکاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها ، ودفنهم فيها ، ثم قال بعد ذكر الخلاف في ذلك ، أى (ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة) . قال شارحه (الزرقاني) : فإنه أفضل إجماعاً ، وإلى ما ذكره وأشار بقوله :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما

قد حاط ذات المصطفى وحوها

ونعم لقد صدقوا بساكنها على

كالنفس حين زكت زكي مأواها ^(١)

(١) أفضلية البقعة التي ضمت أعضاءه الشريفة عَزَّلَهُ اللَّهُ على ما عداها من البقاع .
أولاً يجب التنبيه إلى أن أفضلية هذه البقعة باعتبار الساكن فيها عَزَّلَهُ اللَّهُ لا لذاتها حتى يفهم المعترض ماساقه المؤلف من نقول أكابر العلماء بشأن أفضليتها على جميع البقاع حتى موضع الكعبة والسموات ، والعرش وغير ذلك ، وما نقله ابن القيم في ب丹ع الفوائد بوضوح هذا ، فقد نقل عن ابن عقيل من كبار أئمة الحنابلة أنه سئل أيهما أفضل حجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أو الكعبة ؟ فقال : إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وإن أردت وهو فيها فلا والله لا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح ». [انظر ب丹ع الفوائد ج ٣ ص ١٦٨ ط القاهرة].

ثانياً : جاء في كتاب عدة الأنابة في أماكن الإجابة [مخطوط - بمكتبة الأزهر] للعارف بالله عبد الله بن إبراهيم ميرغنى الحسيني .

أن الإمام الشافعى رضى الله عنه والدارقطنى قالا عن حديث أصحاب السنن : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولو لا أنى أخرجت منك ما خرحت » هذا الحديث يدل على فضل مكة علىسائر البقاع إلا ما ضم أعضاءه الشريفة عَزَّلَهُ اللَّهُ فإنه أعظم منها بالإجماع بل ذلك أفضل من العرش وما حواه بلا نزاع .

هذا وقد نقل القاض عياض في الشفا الإجماع على ذلك .

قوله : «وفي القبر الشريف تراه حياً» فمن جملة أدلة ذلك ما رواه البيهقي في كتاب «الأنبياء» وصححه من حديث أنس رضي الله عنه أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» كذا رواه أبو يعلى والبزار وابن عدى وقد ألف البيهقي كتاباً عظيماً في حياة الأنبياء ، جمع فيه أدلة كثيرة صريحة فيما أشار له العلامة ابن حجر في هذه القصيدة من «حياة الأنبياء» وسائر تصرفاتهم في قبورهم ، وللجلال السيوطي رسالة في ذلك سماها «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» وقد طبعت بمطبعة هندية وهي في خزانتى حرسها الله (۱) .

قال القسطلاني في المawahب اللدنية : ولاشك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ، ونبينا عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضليهم (أى بالنصوص والإجماع) وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته أكمل وأنعم من حياة سائرهم اهـ قلت : ولا سيما إن نظرنا إلى كونه قتل بسم اليهودية . كما صرح عنه عليه الصلاة والسلام .
قوله : (وكل الأنبياء كذلك حقاً) .

التشبيه في كونهم أحياء يصلون في قبورهم مثل نبينا محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم ، ففي

(۱) وهذه الرسالة أيضاً طبعت في مصر بـ مكتبة عالم الفكر ميدان سيدنا الحسين بتحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود .

صحيح مسلم عن النبي ﷺ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى ، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوة ، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به أصحابكم» [يعنى نفسه] فحانت الصلاة فأتمتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال لـي قائل يامحمد : هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فناداني بالسلام اـه .

وأخرج مسلم في باب فضائل موسى عليه السلام من رواية أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى في قبره ». وفي رواية لمسلم عن أنس أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «مررت على موسى وهو يصلى في قبره» اـه .. إلى غير ذلك .

قوله : «وفي حَبْرُون» بفتح الحاء المهملة ثم موحدة ساكنة وهي بلدة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وكونه عليه الصلاة والسلام هو وابنه إسحاق وابنه يعقوب وابنه يوسف عليه وعليهم الصلاة والسلام في داخل الدائر الذي بناء عليهم سليمان عليه الصلاة والسلام في الغار الذي في وسط مسجد الخليل الآن وهو محقق كما جزم به ابن الحاج في المدخل وجزم به غيره أيضاً .

قوله : «لما سعت الشموس» أى العلماء بشد رحالهم لزيارته عليه الصلاة والسلام ، فالعلماء هم الشموس الساعية إليه بعد موته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

قوله (وينظرهم إذا ازدحم القفول) .

وذلك كما قاله القسطلاني وغيره : «عبارة عن إقبال خاص والتفات روحي يحصل من الحضرة النبوية إلى عالم الدنيا ، وقوالب الأجساد الترابية ، وتنزل إلى دائرة البشرية ، حتى يحصل عند ذلك رد السلام ، وهذا الإقبال يكون عاماً شاملًا حتى لو كان المسلمون في كل لمحـة أكثر من ألف ألف لوسعهم ذلك الإقبال النبوـي والالتفـات الروـحـانـي ، ولقد رأـيتـ منـ ذـلـكـ ماـ لاـ أـسـتـطـعـ أنـ أـعـبرـ عـنـهـ أـهـ بـلـفـظـهـ .

«مس الشباك النبوى والتمسح به»

ينبغى للزائر أن لا يقبل القبر الشريف ولا يمسحه بيديه ، ولا يلصق بطنه وظهره بجداره أو بالحاجز المستور بالكسوة أو الشباك ، فإن كل ذلك مكره ، لما فيه من استعمال خلاف الأدب فى حضرته صلوات الله عليه وسلم ، وقصد التبرك لainفى الكراهة ، لأنه جهل بما يليق من الأدب ، ولا اغترار بما يفعله أكثر العوام ، فإن الصواب الذى قاله العلماء وأطبقوا عليه خلافه ، كما صرخ به النسوى فى إياضه .

وأطال ابن حجر فى المنح والجوهر ، فى ترجيحه ، قال في الإحياء : «مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى» اهـ وذكر سيدى عبد الوهاب الشعراوى ما يوافق ذلك .

وعن الزعفرانى : أن ذلك من البدع التى تنكر شرعاً ، فحينئذ يكون الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر فى حياته صلوات الله عليه وسلم وهذا هو الصواب المعتمد كما تقدم ، فلا تغتر بالجهلة العوام الذين يفعلون خلاف ما ذكرناه ، بل اتبع الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلاله ولا تغتر بكثرة الهالكين ، والأدب فيما وافق الشرع لا فيما أحدهه الإنسان من غير أن يشمله دليل شرعى ، هذا وكالقبر الشريف فى جميع ذلك مشاهد الأنبياء والأولياء .

نعم . إن غلبه حال صحيح أو وجد صادق فلا كراهة في
جميع ما يصدر عنه اعتراض عليه ، فمن كان له في ذلك قصد
صالح ، وحمله عليه فرط الشوق والحب الطافح ، جاز له ذلك ،
سيما لمن هو على قدم الوقوف في مقام الخضوع والإنسار ،
ورفع الأكف بالذل والافتقار ، إذ كما يطلب الخضوع بالقلب
يطلب كذلك بالجوارح .

وإن تمريج الخد والوجه واللحية بتراب الحجرة الشريفة وأعتابها
في زمن الخلوة المأمون فيها توهم عامي مخدوراً شرعاً يسببه أمر
محبوب حسن ، فلا اعتراض على فاعله فقد تغلب المحبة
والشوق على بعض الناس فترفع الحجب عن نظره وبصره فيكون
كالمشاهد لوجهه المكرم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المماس لحبيبه حتى يخرجه ذلك
عن قياس العادات إلى حقائق النازلات ، أذاقنا الله سبحانه وتعالى
ذلك والمحسينين إلينا وذرارينا بمنه وجوده وكرمه آمين .

وعلى ذلك يحمل ما جاء عن بلال (رضي الله عنه) من أنه لما
زار النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قادماً من الشام جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر
المعظم .

وعن ابن عمر (رضي الله عنه) أنه وضع يده اليمنى عليه ، وعن
أبي أيوب الأنباري (رضي الله عنه) أنه التزمه ووضع وجهه عليه .

وعن فاطمة (رضي الله عنها) أنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ لما دفن أخذت قبضة من تراب قبره الشريف وجعلتها على عينها وبكت وقال منشدة هذين النبيين :

ما ذا على من شم تربة أحمـدـ أن لا يشم مـدى الزـمانـ غـواـلـياـ
صـبـتـ عـلـىـ مـصـائـبـ لـوـ آـنـهـ صـبـتـ عـلـىـ الـأـيـامـ عـدـنـ ليـالـيـاـ
وقد وضع الشيخ الإمام السبكى وجهه على بساط دار الحديث
التي مستها قدم الإمام النسوى (رحمه الله تعالى) كما أشار إلى ذلك بقوله :

وفي دار الحديث لطيف معنى إلى بسط لها أصبـوـ وـأـوىـ
لـعـلـىـ أـنـ أـنـالـ بـحـرـ وـجـهـىـ مـكـانـاـ مـسـهـ قـدـمـ النـسـاوـىـ

وكان سيدى العارف بالله «الحسن البكرى» يمرغ وجهه ولحيته على البيت الحرام، وبحجر إسماعيل، ونحو ذلك. قال بعض العلماء: وجواز هذا بحسب حال الفاعل - كما رأيت - فإن أهل الأدب يعرفون الأدب، وغيرهم ينبغي لهم الزجر عن هذا.

لكن قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل ما يستحق التعظيم من آدمى وغيره. فأما تقبيل الآدمى فمعلوم من «كتاب الأدب» وأما غيره فقد سئل أحمد بن حنبل (رحمه الله) عن تقبيل منبر النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ

المنيف وقبره الشريف ، فلم ير فى ذلك بأساً ، وذكر الخطيب ابن جملة : أن عبد الله بن أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) قال : سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ وي فعل بالقبر مثل ذلك ، يريد بذلك التقرب إلى الله تعالى ، فقال : لا بأس بذلك .

ونقل عن أبي الصيف اليمني (أحد علماء مكة المشرفة) من علماء الشافعية : جواز تقبيل المصحف ، وكتب الحديث ، وقبور الصالحين ، وقول هؤلاء كلهم أعنى الحافظ ومن بعده صريح فى جواز هذا من كل أحد .

نعم قولهم المذكور بالجواز ، لا ينافي الكراهة فإنه يجوز فعل الشيء وهو مكروه ^(١) ، وقصد التبرك والاستشفاء لainفي الكراهة لأنه جهل بما يليق من الأدب كما علمت .

فلا عبرة بذلك القصد فى نفى الكراهة زجراً لهم عن التهجم على مقامه ﷺ بما لم يؤذن لهم فيه . ثبت بهذا أن قول هؤلاء المذكورين محمول أيضاً على من به استغراق في المحبة وشدة الشوق في الذي يحمله على ذلك ، فإن الشغف الذي يحصل

(١) يقصد المؤلف (أكرم الله) بهذا أن القائلين بالكراهة ليس لذات الأمر في نفسه وإنما لما يقع بسببه من سوء الأدب وما لا يليق من الجهلة والعوام فإذا أمن هذا انتفت الكراهة وعاد الأمر إلى الجواز .

حتى للمحب قد يستغرقه يكون ما يفعله لا يلام عليه ، فإنه قد تعرية حالات لا يطيق دفعها ، إلا بأن يحدث منه فعل ذلك .
ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك ، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم ، والناس تختلف مراتبهم في ذلك ، كما تختلف في حياته عليه السلام فأناس حين يرونـه عليه السلام لا يملكون أنفسهم ، بل يبادرون إليه ، وأناس فيهم أئمة يتأخرون ، والكل على خير .

أفاد هذا كله السيد السمهودي في «ذروة الوفا بما يجب لحضرـة المصطفى» وابن حجر في «الجوهر» والفاكهـي في «حسن التوسل» .



«زيارة النبي ﷺ من أفضل الأعمال (١)»

في رأي الحافظ ابن القيم

قال الإمام الحافظ ابن القيم في قصيده المشهورة بالنونية :

إذا أتينا المسجد النبوي صلـ سـيـنـا التـحـيـة أـوـلـاً ثـتـانـ

(١) قال القاضي عياض «رحمه الله» : زيارة قبر النبي ﷺ سنة مجمع عليها وفضيله مرغوب فيها . وقال بعض المالكية : إنها واجبة ، لحديث ابن عمر (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال : من حج ولم يزني فقد جفاني » قالوا : جفاء النبي ﷺ محرم ، وترك المحرم واجب ، اهـ وإلى هذا أميل رعاية لحق المصطفى ﷺ وتنظيمها لحرمنه ، وإذا كان ﷺ شرع وسن لنا زيارة الأموات عموماً ، فما بالك بزيارة سيد الوجود ﷺ الذي هو سبب كل خير وجود ؟ وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حثنا على المعجز إلهـ في قوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمـ » فينبغي ألا ينزع أحدـ في شأن الزيارة بعد هذا ، وقد اعترض البعض بأن قوله تعالى « جاءوك » خاص بحياته ﷺ لأن العرب لا تقول : جاءـ إلاـ فيـ حـيـاتـكـ ، فنقول لهم لقد ثبتت حـيـةـ الـأـنـبـيـاءـ فـيـ قـبـورـهـمـ وتـكـلـمـاـ عنـ ذـلـكـ فـيـمـاـ سـبـقـ .ـ كماـ هـذـاـ فـالـآـيـةـ تـشـمـلـ الـمـعـجـزـ إـلـيـهـ حـيـاـ وـبـيـاـ فـيـنـهـ يـسـتـغـفـرـ لـأـمـتـهـ وـهـوـ فـيـ بـرـزـخـ وـتـعـرـضـ عـلـيـهـ أـعـمـالـهـ .ـ كـمـاـ سـبـقـ بـيـانـهـ .ـ صـ ٧٢ـ .ـ وـقـدـ حـكـيـ أـبـنـ كـثـيرـ (ـ رـحـمـهـ اللـهـ)ـ عـنـ تـفـسـيرـ هـذـهـ الـآـيـةـ قـصـةـ الـعـتـبـيـ أـنـ رـأـيـ اـعـرـابـيـ أـمـامـ قـبـرـ النـبـيـ ﷺ يـخـاطـبـ النـبـيـ ﷺ وـيـتـلـوـ وـيـسـتـشـهـدـ لـلـمـعـجـزـ إـلـيـهـ بـهـذـهـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـ ثـمـ يـتـوـسـلـ بـهـ ﷺ وـيـسـتـشـفـعـ لـذـنـبـهـ :ـ الـقصـهـ

هـذـاـ :ـ إـذـاـ كـانـ الـزـيـارـةـ مـشـرـوعـةـ وـمـسـنـونـةـ وـهـيـ لـاـ تـأـتـىـ لـمـنـ بـعـدـ مـسـافـةـ إـلـاـ بـشـدـ الرـحالـ فـمـاـ تـوقـفـ عـلـيـهـ الـأـمـرـ الـمـشـرـوعـ وـالـمـسـنـونـ فـهـوـ مـشـرـوعـ وـمـسـنـونـ أـيـضـاـ وـهـؤـلـاءـ الـذـينـ يـحـجـجـونـ بـمـنـعـ الـزـيـارـةـ بـحـدـيـثـ :ـ لـاـ تـشـدـ الرـحالـ إـلـاـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ مـسـاجـدـ .ـ .ـ .ـ الـحـدـيـثـ اـحـتـجـاجـهـ باـطـلـ وـفـهـمـهـ سـقـيمـ فـالـحـدـيـثـ لـاـ يـتـكـلـمـ عـنـ الـقـبـورـ إـنـماـ يـتـكـلـمـ عـنـ الـمـسـاجـدـ ،ـ وـقـدـ كـانـ النـبـيـ ﷺ يـرـكـبـ نـاقـتـهـ إـلـىـ مـسـجـدـ قـبـاءـ وـهـوـ لـيـسـ مـنـ الـمـسـاجـدـ الـثـلـاثـةـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ اـنـ الـحـدـيـثـ وـرـدـ لـيـانـ أـنـضـلـيـةـ الـمـسـاجـدـ الـثـلـاثـةـ ،ـ لـاـ لـنـهـيـ عـنـ شـدـ الرـحالـ إـلـىـ الـمـسـاجـدـ الـأـخـرـىـ ،ـ وـأـيـضـاـ لـوـ أـخـذـنـاـ بـعـمـومـ الـحـدـيـثـ الـلـفـظـيـ ،ـ كـمـاـ يـفـهـمـ مـنـ يـعـرـضـ عـلـىـ شـدـ الرـحالـ لـزـيـارـتـهـ ﷺ لـوـجـبـ أـنـ تـوقـفـ سـاـئـرـ الـمـواـصـلـاتـ عـنـ الـعـمـلـ فـيـ الـعـالـمـ كـلـهـ إـلـاـ إـلـىـ الـمـسـاجـدـ الـثـلـاثـةـ وـلـاـ يـقـولـ بـهـذـاـ إـلـاـ مـقـدـ عـقـلـهـ .ـ وـيـؤـيدـ هـذـاـ مـاـ أـخـرـجـهـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ فـيـ الـطـورـ فـقـالـ :ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ :ـ لـاـ يـنـبـيـ لـلـمـطـيـ أـنـ يـشـدـ رـحالـهـ إـلـىـ مـسـجـدـ تـبـتـغـيـ الـصـلـةـ وـالـصـلـامـ فـيـ الطـورـ فـقـالـ :ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ :ـ لـاـ يـنـبـيـ لـلـمـطـيـ أـنـ يـشـدـ رـحالـهـ إـلـىـ مـسـجـدـ تـبـتـغـيـ الـصـلـةـ فـيـ غـيـرـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ وـالـمـسـجـدـ الـأـقـصـيـ وـمـسـجـدـيـ »ـ قـالـ الـحـافظـ اـبـنـ حـجـرـ :ـ شـهـرـ حـسـنـ الـحـدـيـثـ وـإـنـ كـانـ فـيـ بـعـضـ ضـعـفـ [ـانـظـرـ لـمـزـيدـ الـفـائـدـةـ كـتـابـ الـمـفـاهـيمـ لـلـمـؤـلـفـ صـ ٢٥٩ـ -ـ ٢٦٢ـ طـ الـرـابـعـةـ]ـ .ـ

بتمام أركان لها وخشوعها
 وحضور قلب فعل ذى الإحسان
 ثم اثنىَا للزيارة نقصد الـ
 قبر الشريف ولو على الأجفان
 فنقوم دون القبر وقفة خاضع
 متذلل فى السر والإعلان
 فكأنه ^(١) فى القبر حى ناطق
 فالواقفون نواكس الأذقان
 ملكتهم تلك المهابة فاعتربت
 تلوك القوائم كثرة الرَّجفان
 ولطأ لما غاصلت على الأزمان
 وتفجرت تلك العيون بماهىا
 وأتى المسلم بالسلام بهيبة
 وقارِ ذى علم وذى إيمان
 لم يرفع الأصوات حول ضريحه
 كلًا ولم يسجد على الأذقان
 كلًا ولم ير طائفاً بالقبر أنس
 بوعاً كأن القبر بيت ثان
 ثم اثنى بدعائه متوجهاً
 الله نحو البيت ذى الأركان
 هذه زيارة من غداً متمسكاً
 بشريعة الإسلام والإيمان
 من أفضل الأعمال هاتيك الزيارة
 رة وهى يوم الحشر فى الميزان

«القصيدة النونية لابن القيم ص : ١٨١»

من آداب الزيارة النبوية

أن لا يرفع صوته بمسجد رسول الله ﷺ فقد ثبت أن المنصور
 أمير المؤمنين ، ناظر مالكاً فيه ، فقال له : « يا أمير المؤمنين :
 لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوي ، فإن الله تعالى أدب قوماً ،
 فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُبُونَ أَصْوَاتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَقَوَّى﴾ الآية ، وذم قوماً فقال تعالى :

(١) كان الأولى أن يقول : « فلانه » لثبت حياته ﷺ في قبره كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾
الآية. وإن حرمته ميتاً كحرمه حيأً. فاستكان لذلك المنصور (١).

فانظر يا أخي هذا الأدب العظيم من الإمام مالك والمنصور رحمهما الله تعالى: وفي البخاري عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه أنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كتتما من أهل البلد لأوجعتكم ضرباً ترفعان أصواتكم في مسجد رسول الله ﷺ.

وفي ذروة الوفا للسمهودي، روى عن أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) أنه قال: لainبغى رفع الصوت على النبي ﷺ لا حياً ولا ميتاً. وأن عائشة - رضى الله عنها - كانت إذا وتد الوتد أو ضرب المسamar في بعض الدور المطيفة بالمسجد النبوي الشريف ترسل إليهم أن لا تؤذوا رسول الله - ﷺ - قلت: وإنما فعلت عائشة رضى الله عنها ذلك طلباً للاقتصار على قدر الحاجة في ذلك لأن فعل ما زاد عليه في تلك الحضرة الشريفة ليس من الأدب وهو ﷺ يتأذى من لا يرعى كمال الأدب معه لأنه حي في الدارين.

(١) وبقية الحوار كما رواه القاضي عياض (في الشفا): «وقال يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعوا أم استقبل رسول الله ﷺ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيליך ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوكَ فَاسْتَغْفِرُوكَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾ الآية [الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ٣٥ ط دار التراث] وهذه القصة ذكرها أيضاً الإمام السiski في شفاء السقام والسيد السمهودي في خلاصة الوفا والمحدث القسطلاني في المواهب اللدنية وابن حجر الهيثمي في الجوهر المنظم وقال: «رواية ذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه. وقال الخفاجي في نسيم الرياض: «في هذا رد على ابن تيمية في قوله: «إن استقبال القبر الشريف في الدعاء أمر منكر لم يقل به أحد ولم يرو إلا في حكاية مفراة على مالك [يعني هذه القصة] وأنها كذب محض مجازفة من ترهاته وقوله: «لم ينقل ولم يرو باطل فإن مذهب مالك وأحمد والشافعى (رضى الله عنه) استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعاء وهو مسطر في كتبهم وصرح به النووي في أذكاره وإيضاحه [نسيم الرياض ج ٣ ص ٤٠٣، ٤٠٤ ط المشهد الحسيني].

تخصيص الزائرين بشفاعة خاصة

«من زار قبرى وجبت له شفاعتى» رواه ابن عدى والبيهقي عن ابن عمر (رضي الله عنهمَا) وروى البيهقي عن أنس (رضي الله عنه) «من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيمة».

معنى وجبت له شفاعتى: أى حَقَّتْ وثبتت ولزمت له شفاعتى، أى سُؤالى الله تعالى أن يتجاوز عنه. قال السبكي: يحتمل كون المراد بخصوصه بمعنى أن الزائرين يخضون بشفاعة لا تحصل لغيرهم عموماً ولا خصوصاً، أو المراد: يفردون بشفاعة عمما يحصل لغيرهم، ويكون إفرادهم بذلك تشريفاً وتنويعاً بهم، أو المراد: ببركة الزيارة يجب دخولهم في عموم من تناولهم الشفاعة، وفائدة البشري أن يموت مسلماً.

والحاصل أن فائدة الزيارة: إما الموت على الإسلام مطلقاً لكل زائر.

وإما: شفاعة تخص الزائر أكثر من العامة.

وقوله: شفاعتى، بالإضافة إليه تشريف له بِعِزَّةِ اللَّهِ إذ الملائكة وخواص البشر يشفعون، وللزائر نسبة خاصة فيشفع بِعِزَّةِ اللَّهِ فيه بنفسه. قوله بِعِزَّةِ اللَّهِ في الحديث الآخر: «من زارنى بالمدينة محتسباً» - أى في حياتى وبعد وفاتى متحسباً أى ناوياً بزيارتة وجه

الله وثوابه - كنت له شهيداً وشفيعاً - أى شهيداً للمطیع ، شفيعاً لل العاصي ، وهذه خصوصية زائدة على شهادته عليه السلام على جميع الأمم ، وعلى شفاعته العامة ، قال العلماء : زيارة قبره الشریف عليه السلام من كمالات الحج ، بل زيارته عند الصوفية فرض ^(۱) ، وعندهم الهجرة إلى قبره عليه السلام ميتاً كهي إليه حياً .

قال الحکیم الترمذی : زيارة قبر المصطفی عليه السلام هجرة ، فحقیق
اً لا يخیب زائریه ، بل یوجب لهم شفاعۃ تقيیم حرمة زیارتھم .

(۱) لأن ترك الزيارة عندهم جفاء والجفاء له عليه السلام محرم وترك المحرم فرض ، وهذا ليس بحاجة إلى نص من كتاب أو سنة كما يريد أهل الجفاء ويرحم الله القائل :
إليك وإن لاتشد الرکائب * وعنك وإن المحدث كاذب
هذا وقد ذهب بعض الفقهاء المالکیة إلى وجوب الزيارة له عليه السلام كما هو مبين في بعض
كتب المناک المخطولة وقد أشار القاضی عیاض إلى ذلك في الشیفا .

خصائص المدينة المنورة ومزاياها

عقد لذلك الإمام الزركشى فصلاً خاصاً، وقد اختصرته وذكرت منه المهم الأقرب إلى الموضوع والصحة في هذه المسائل :

الأول : أنه أنشأ أصل مسجدها على يد سيد المرسلين المهاجرن الأولون والأنصار المتقدمون خيار هذه الأمة ، وفي ذلك من مزيد الشرف على غيره ما لا يخفى .

واشتمالها على بقعة هي أفضل بقاع الأرض بالإجماع ، وهي الموضع الذي ضم أعضاء النبي ﷺ ، حكى الإجماع القاضي عياض وغيره ، وفي ذلك قال بعضهم :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحوارها ونعم لقد صدقوا بساكنتها علت كالنفس حين زكت زكي مأواها

الثاني : تحريم صيدها وشجرها على الحلال والمحرم كمكة ، خلافاً لأبي حنيفة لقوله : ﷺ : إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة . (ما بين لابتئها لا يقطع عضاهما ، ولا يصاد صيدها) رواه مسلم .

الثالث : يحرم نقل تراب حرم المدينة أو أحجاره إلى الخارج عن حرم المدينة ، وهذا مبني على عموم تحريم ما بين لابتئها .

الرابع : يستحب المجاورة بالمدينة لما يحصل في ذلك من نيل الدرجات ، ومزيد الكرامات .

الخامس : أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ تربو على الصلاة في غيره بـألف صلاة على ما سبق تفصيله ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » قال النووي : وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل كمكثة .

هكذا قال في شرح مسلم ، وذكر في شرح المذهب : والتحقيق أن صلاة النفل في بيته أفضل من المسجد ، وأن حرم المدينة ليس كمسجدها في المضاعفة .

السادس : أن الله سبحانه عوض قاصده عن الحج والعمرة بأمررين وعد عليهمما ذلك الثواب ، أما الحج ، فذكر ابن الجوزي بإسناده عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة في مسجدي حتى يصلى فيه ، كان بمنزلة حجة ، وأما العمرة فيزيارة مسجد قباء ، ففي الصحيح : « صلاة في مسجد قباء كعمره » .

وفي الصحيح عن ابن عباس (رضي الله عنهما) كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً ، وماشياً فيصلى فيه ركعتين [وفي رواية كان يأتيه كل سبت] ويستحب ذلك .

السابع : يستحب الانقطاع بها ، ليحصل له الموت بها ، وقد كان المهاجرون إلى المدينة يكرهون أن يموتوا بغيرها ، ويسألون الله عز وجل أن يتوفاهم بها . وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول : «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك» .

وبَوْبَ عليه النَّوْءِ فِي الْأَذْكَارِ: بَابُ اسْتِحْبَابِ دُعَاءِ الْإِنْسَانِ أَنْ
يَكُونَ مَوْتَهُ فِي الْبَلْدِ الشَّرِيفِ . وَعَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبْنَى عُمَرَ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَسْتَطَعَ أَنْ يَمُوتْ بِالْمَدِينَةِ فَلِيمِيتْ بِهَا، إِنَّى
أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتْ بِهَا» رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَسْنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ
مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَفِي الْبَابِ عَنْ سَبِيعَةِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ،
وَسَلَلَ عَنْهُ الدَّارِقَطْنِيُّ فِي الْعُلُلِ الْكَبِيرِ فَقَرَرَ صَحَّتِهِ بِمَا يَطُولُ ذِكْرَهُ .

الثامن: اختصاص أهلها بمزيد الشفاعة والإكرام على غيرهم من الأمم.

ففى معجم الطبرانى من حديث القاسم بن حبيب عن عبد الملك بن عباد عن عبد الله بن جعفر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف» وأخرجه البزار فى مسنده باللواو^(١) ثم قال:

(١) أى أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف ، فالاعطف بالواو لا بضم اهـ مالكى (المؤلف).

وعبد الملك بن عباد لا نعلمه روى عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث
بهذا الإسناد.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وغيره: «من صبر على لأواء
المدينة وشدتها كنت له شهيداً، (أو شفيعاً) يوم القيمة».

الحادي عشر: وجود البركة في صاعهم، ومدهم، ومكيالهم، لأن
النبي ﷺ دعا لهم بالبركة فيه.

العاشر: تخصيصها بالبقعة التي بين القبر والمنبر – ففي
الصحيح: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة».

الحادي عشر: أن الدجال لا يدخلها كما لا يدخل مكة، ففي
الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «إن الدجال لا يطأ مكة ولا
المدينة، وأنه يجئ حتى ينزل في ناحية المدينة، فترجف ثلاث
رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق» وفي رواية البخاري عن
أبي بكر عن النبي ﷺ: «لا يدخل المدينة رب المسيح الدجال،
لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان» وفي رواية مسلم
عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: « يأتي المسيح من قبل
المشرق، وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة
وجهه قبل الشام وهنالك يهلك»، وفي الصحيحين أيضاً: «ليس
من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة».

الثاني عشر: أن الطاعون لا يدخل المدينة، وهذا من خصائصها ففى الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» وفي رواية للبخارى من حديثه «لا يقربها الدجال ، ولا الطاعون إن شاء الله». والأنقاب جمع نقب (بكسر النون وضمها) وهو الطريق على رأس الجبل ، وقال الأخفش أنقاب المدينة : طرقها وفجاجها .

الثالث عشر: أنها تأكل القرى ، ففى صحيح مسلم عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون : يشرب ، وهى المدينة .

الرابع عشر: أنها كالكير فى إزالة الخبرت عنها ، ففى الصحيحين من حديث جابر : أن أعرابياً بايع النبي ﷺ على الإسلام فأصابه وعك بالمدينة فقال : يا محمد أقلنى بيعتى ، فأبى رسول الله ﷺ فخرج الأعرابى فقال رسول الله ﷺ : إنما المدينة كالكير تنفي خبتها وتنصرع طيبها» .

الخامس عشر: أنه لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ، كما ثبت فى الصحيح ، وفي معناه قولان أحدهما :

أنه مخصوص بمدة حياته بِعَيْنِ اللَّهِ، الثاني دائم أبداً: ومعنى قوله راغباً عنها أى زاهداً فيها.

السادس عشر: أنه لا يريد أحد أهلها بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص وذوب الملح في الماء، كما ثبت في الصحيح، قال القرطبي : ظاهره أن الله يعاقبه بذلك في النار، ويحتمل أن يكون ذلك كناية عن إهلاكه في الدنيا ، أو توهين أمره ، وطمس كلمته ، كما قد فعل الله ذلك بمن غزاها ، وقاتل أهلها ، كمسلم بن عقبة ، إذ أهلكه الله وصرفه عنها ، وكإهلاك يزيد بن معاوية إثر إيدائه أهل المدينة ، إلى غير ذلك .

السابع عشر: يستحب الصيام بالمدينة والصدقة على سكانها ، وبرهم فهم جيران رسول الله بِعَيْنِ اللَّهِ خاصة أهل المدينة . وقد روى الطبراني بإسناد ضعيف أنه بِعَيْنِ اللَّهِ قال : «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان» .

الثامن عشر: روى عن مالك (رضي الله عنه) أنه كان لا يركب بالمدينة بغلة ، فقيل له في ذلك؟ فقال : لا أطأ راكباً مكاناً وطئة رسول الله بِعَيْنِ اللَّهِ ماشياً ، وكان لا يرفع صوته في مسجد رسول الله بِعَيْنِ اللَّهِ ويقول : حرمة الرسول حياً وميتاً سواء ، وقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا ترْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجْهَرْ بِعَضُّكُمْ لِبَعْضٍ﴾ .

الحادي عشر: لا يجتهد في محراب رسول الله ﷺ لأنّه صواب قطعاً. إذ لا يقر على خطأ، فلا مجال للاجتهد فيه، حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلحة، فإنه لم يكن في زمانه عليه السلام محراب.

الثاني عشر: يستحب الغسل للدخول المدينة، قاله أبو بكر الخفاف (من الشافعية) وصرح به النووي في مناسكه أيضاً.

الحادي والعشرون: روى البخاري: «من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» قاله أبو بكر البرقانى في مستخرجه على الصحيحين في رواية مكى بن إبراهيم، قال هاشم: لا أعلم إلا أن عامراً ذكر من عجوة العالية. قال الحميدى: وهو من أفراد مسلم عن أبي طوالة، عن عامر بن سعد عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ قال: (من أكل سبع تمرات مما بين لابتها حين يصبح لم يضره سُم حتى يمسى، وفي لفظ للحاكم: «من التمر البرنلى» وفي العلل الكبير للدارقطنى: «من أكل مما بين لابتى المدينة سبع تمرات على الريق» وفي لفظ من عجوة العالية». وفي كتاب الأطعمة لعثمان بن سعيد الدارمى من حديث شريك بن عبد الله بن أبي عتيق عن عائشة مرفوعاً: في عجوة العالية شفاء أو ترياق أول البكر على الريق» ومن حديث

شهر بن حوشب عن أبي سعيد وأبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «العجوة من الجنة ، وفيها شفاء من السُّم» قال الخطابي : كونها عودة من السحر والسم إنما هو من طريق التبرك لدعوه رسول الله ﷺ التي سبقت فيها ، لأن طبع التمر أن يفعل شيئاً من ذلك ، والعجوة من أجود تمر المدينة .

الثاني والعشرون : روى بن أبي خيثمة عن يعقوب بن حميد حدثنا كثير بن جعفر بن أبي كثير عن زياد بن زيد عن سهل بن سعد : أن رسول الله ﷺ قال : «من كان له بالمدينة أصل فليمسك ، ومن لم يكن فليجعل له بها أصلاً ولو قصرة» قال الخطابي : القصرة النخلة ، وقرأ الحسن : «إنها ترمى بشرر كالقصر» وفسروه بأعناق النخل .

الثالث والعشرون : ظاهر كلام الأصحاب استحباب صلاة العيد في مسجد المدينة ، لكن روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال : «أصابنا مطر في يوم عيد ، فصلى بنا رسول الله ﷺ في المسجد» أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد وظاهره أنه كان يفعلها في المصلى وكأنه لضيق المكان عليهم .

الرابع والعشرون : روى ابن أبي خيثمة في تاريخه الكبير ، عن مالك : أن المدائن كلها افتتحت بالسيف ، والمدينة افتتحت

باليهود ، ثم ساق بسنده إلى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : « كل البلاد افتتحت بالسيف والرمح ، وافتتحت المدينة بالقرآن ». .

الخامس والعشرون : نقل عن مالك : أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم .

ال السادس والعشرون : قال ابن كج : لو نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء بها ، وجهاً واحداً ، وحکى فيما إذا نذر زيارة قبر غيره وجهان في لزوم الوفاء ، وأقره الرافعى وغيره .

السابع والعشرون : ينبغي للزائر الغريب أن يسلم على النبي ﷺ كلما دخل المسجد أو خرج ، وأما أهل المدينة فقد كره لهم ذلك مالك وغيره ، إلا إذا سافر أحدهم أو قدم من سفر ، قال : وإنما ذلك للغرباء - يعني السلام عند كل دخول وخروج .

قال الباقي : « لأن الغرباء قصدوا لذلك ، وأهل المدينة مقيمون فيها ، والصواب ، استحباب دخول القريب والغريب ، فإنه ﷺ استحب السلام لكل وارد عليه قريباً وغريباً ، ومن الأدب معاملته بذلك بعد وفاته .

الثامن والعشرون : يكره الخروج من مسجد النبي ﷺ بعد الأذان ، وهذا وإن كان عاماً في كل مسجد ، إلا أنه يتأكد هنا . ففي معجم الطبراني الأوسط من حديث عبد العزيز بن أبي حاتم ،

حدثني أبي وصفوان بن سليم عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يسمع النداء في مسجدي هذا ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق» .

الحادي عشر : لعلم المقيم بها عظم محلها ، ويعتقد فيها غاية الإجلال والتعظيم ، ويحذر من إحداث حادث بها ولو بسيراً ، كما روى أن عبد الرحمن بن مهدي كلما قدم المدينة ، ودخل المسجد ، وضع شيئاً كان عليه بين الصفوف ، فأمر به مالك فأخذ فقيل له : إنه فلان ، فعاتبه . وقال : أتفعل مثل هذا؟ أو ما علمت أن النبي ﷺ قال : «من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» فانظر كيف جعل مالك رحمه الله هذا الفعل اليسير ، داخلاً في عموم الحديث .

وجاء أنه استفتى مالك (رحمه الله) في رجل قال : تربة المدينة غير طيبة ، أنه أفتى بضرره .

الثلاثون : ينبغي قصد المدينة للتعلم أو التعليم ، ففي سنن ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن حميد بن صخر عن المقبرى عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو

يُعلّمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو
بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» .

الحادي والثلاثون : ذكر صاحب المباحث : أن العطر والبخور
يوجد لهما من التضوع والرائحة الطيبة بطيبة أضعاف ما يوجد في
سائر البلاد ، وهي في نفسها طيبة وإن لم يكن فيها شيء من
الطيب ، والله در القائل :

ما ذا على من شم تربة أَحْمَدَ

أَلَا يشم مدى الزمان غوايلـا

هذا آخر ما اخترناه ولخصناه من خصائص المدينة المنورة مما
فصله الإمام الزركشى في كتابه «إعلام الساجد» .



فضل المنبر الشريف

مما يدل على فضل منبر رسول الله ﷺ تغليظ اليمين عنده، وقد ورد ذلك في الحديث عن جابر مرفوعاً: «لا يحلف أحد عند منبرى هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تبأ مقعده من النار» أخرجه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجة، وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهم، وروى أبو أمامة بن ثعلبة مرفوعاً: «من حلف عند منبرى هذا بيمين كاذبة يستحل بها مَال امرئ مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١). الفتح ٣٨٥ / ٥.

استحباب زيارة قبر النبي ﷺ عند الحنابلة

قال الإمام ابن قدامة الحنبلي: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من حجّ فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى».

وفى روایة: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» رواه باللفظ الأول سعيد: حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر، وقال أَحْمَدُ فِي رَوْاْيَةِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ يَزِيدِ بْنِ قَسِيْطِ عَنْ

(١) يؤخذ من هذا مضاعفة الإثم وتغليظ الذنب عند الأماكن المعظمة والبقاء المقدسة كما أن أجر الحسنات وجزاء الطاعنات يضاعف بمكة والمدينة وبيت المقدس ووردت بذلك أحاديث وأخبار صحاح .

أبى هريرة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْلِمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحَهُ حَتَّى أَرْدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ» .

وإذا حج الذى لم يحج قط - يعني من غير طريق الشام - لا يأخذ على طريق المدينة، لأنى أخاف أن يحدث به حادث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر طريق، ولا يتشغل بغيره، ويروى عن العتبى . قال : كنت جالساً عند قبر النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمًا» وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفت بالقاع أعظمه فطاب من طيئن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكته فيه العفاف وفيه العجود والكرم

ثم انصرف للأعرابى فغلبتني عينى فنمت فرأيت النبى ﷺ فى النوم . فقال : ياعتى الحق بالأعرابى فبشره أن الله قد غفر له (ج ٣ ص ٥٥٧).



فضل الركائب التي تحمل الزائرین

قال القاضی عیاض فی الشفاف :

حکى عن بعض المریدین أنه لما أشرف على المدينة المنورة
أنشاً يقول متمثلاً :

رفع الحجاب لنا فلاح لنا ظری قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطیُّ بلغن أرض محمد ظهورهن على الرجال حرام
قربتنا من خیر من وطیء الثری فلها علينا حرمة وذمام

الحرمة «الاحترام» والذمام العهد».

قال الشيخ النبهانی فی المجموعة ج ٤ ص ٨٣ : البیتان
الأخیران هما من کلام أبي نواس فی مدح الأمین بن هارون الرشید
، وقد أصاب هذا الشيخ الذی نقلهما إلى مدح النبی فإنہ هو
المستحق لل مدح بهما عليه الصلاة والسلام .



كرامات لزائر قبر رسول الله

صلى الله عليه وآلـه وسلم

- قال بعضهم لزائر قبر الرسول ﷺ عشر كرامات^(١) :
- إحداهن : يعطى أرفع المراتب .
 - الثانية : يبلغ أنسني المطالب .
 - الثالثة : قضاء المأرب .
 - الرابعة : بذل المواهب .
 - الخامسة : الأمان من المعاطب .
 - السادسة : التطهير من المعايب .
 - السابعة : تسهيل المصائب .
 - الثامنة : كفاية النوائب .
 - التاسعة : حسن العواقب .
 - العاشرة : رحمة رب المشارق والمغارب .
- ولقد أجاد من قال :

هنيئاً لمن زار خير السورى
وحط عن النفس أو زارها
فإن السعادة مضمونة
لمن حل طيبة أو زارها

(١) يخصص هذا الفضل بمن زاره صادقاً محتسباً ، وعليه فيكون الأجر على قدر نية الزائر فلامفهوم لهذا العدد بل ما عند الله لا يحصر ولا يعد لمن كمل عنده الاستعداد في طلب المدد وهذا مقصد المؤلف .

هيئة الروضة النبوية وتحديدها

اختلقو في هيئة الروضة وتحديدها على أقوال :

(الأول) : أنها ما سامت كلاً من طرفى المنبر والحجرة ، فتؤخذ مستوى فيدخل فيها محاذاة الحجرة من جهة الشمال وإن لم يسامت المنبر ، ومحاذاة طرف المنبر من جهة القبلة وإن لم يسامت الحجرة لتقدمه في جهة القبلة ، فتكون الروضة مربعة وهي ثلاثة الأروقة ، رواق المصلى الشريف ، والرواقان بعده إلى صف اسطوانة الوفود ، وهى التى خلف اسطوانة الحرس ، وذلك هو مسقف مقدم المسجد في زمانه عليه السلام .

ويدخل فيها حينئذ موقف الصف الأول مما يلى الحجرة وجميع المصلى الشريف ، وهذا هو الأولى بالاعتماد .

وظاهر ما عليه غالب العلماء وعامة الناس كما في المنح ورجحه السمهودي في الخلاصة وأصلها ، وتبعه جمع منمن بعده من أئمتنا وغيرهم .

(وعلامة حد الروضة) الآن كما جاء في النزهة على هذا القول الراجح الأساطين المرخمة بالرخام الأبيض والأحمر المذهبة إلى حد النصف منها وعلى أطرافها قصيدة باللغة التركية مكتوبة بالنقر في حد الرخام من أعلى محيطة بها كالطراز مطلية بماء الذهب ، يقال أنها أنشأها السلطان سليم خان ، ودليل هذا القول قوله عليه السلام : « ما

بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة » وهو حديث صحيح متفق عليه .

(الثاني) : أنها ما سامت الحجرة الشريفة والقبر المنيف فقط فتؤخذ غير مستوية فتكون متعدة من جهة الحجرة ضيقه من جهة المنبر ، فتكون منحرفة الأضلاع لتقديم المنبر الشريف فى جهة القبر وتأخر الحجرة الشريفة فى جهة الشام ، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعاه على قدر امتداد المنبر النبوى الشريف ، وهو خمسة أشبار ، كما حرره السمهودى ودليل هذا القول التمسك بظاهر لفظ البينية الحقيقية من الحديث المار ، وحيثذا يخرج عنها موقف الصف الأول مما يلى الحجرة ، فيكون ليس من الروضة .

(الثالث) : أنها تعم جميع المسجد الموجود فى زمانه وهو الذى جزم به السمعانى وغيره . ونقله الرىمى عن الخطيب بن جملة ، واستدل له بقوله عليه السلام : « ما بين بيته ، وهو مفرد مضاد يفيد العموم فىسائر بيته عليه السلام ويفسر هذا (وإن لم يستدل به) رواية صحيحة لأحمد : ما بين هذه البيوت » يعني بيته عليه السلام « إلى محل منبرى » .

(الرابع) : أنها تعم جميع المسجد فى زمانه وبعده ، ونقل رده السمهودى .

وقد يجمع بين الروايات السابقة بأن الروضة تطلق على أماكن متفاوتة في الفضل ، فأفضلها ما بين القبر والمنبر ، ثم ما بين بيته عليه السلام كلها والمنبر ، ثم بقية المسجد في زمانه عليه السلام ثم ما زيد عليه بعده ، ثم ما كان خارجه إلى المصلى .

(وانظر الذخائر القدسية لعبد الحميد قدسی) ص ١٢٧ .



معنى كون الروضة النبوية من الجنة

اعلم وفقك الله أنَّه قد اختلف في المراد بقوله ﷺ : « ما يبين بيته ومنبرى روضة من رياضة الجنة » هل هو على الحقيقة أو على المجاز ، فالذى عليه مالك هو الأول ، فقال : إنها روضة من رياض الجنة تنقل إليها وليس كسائر الأرض تذهب وتغنى » ووافقه على ذلك جماعة من العلماء ، وصححه ابن الحاج ، وقال ابن أبي جمرة : « ويحتمل أن تلك البقعة نفسها الآن من الجنة ، كما أن الحجر الأسود منها ، وتعود روضة فيها .

وقيل : مجاز ، بمعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة أو هي كروضة من الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بملازمة العبادة فيها سيمًا في عهده ﷺ .

وقد رجح الحافظ ابن حجر العسقلاني القول الأول في موضع من الفتح . ونظر في الثاني وقال : إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة ، والخبر مسوق لشرف تلك البقعة على غيرها . اهـ .

فالأول هو الأرجح لوجهه ، وذلك لأن الأصل عدم المجاز إذ لا مقتضى لصرف اللفظ عن ظاهره ولعله منزلة ﷺ ولن يكون بينه وبين الأبوة الإبراهيمية في هذا شبه ، فالخليل خص بالحجر من الجنة والحبوب ﷺ بالروضة منها ، وأيضا المخبر بأن الروضة من الجنة هو المخبر بأن الحجر والمقام منها .

ولا ينافي كون الروضة من الجنة حقيقة حصول الجوع والعرى
فيها لاتصافها بصفة دار الدنيا ، كما أن الحجر الأسود ومقام
إبراهيم من الجنة لكنهما لما نزل بهذه الدار اتصفوا بصفاتها ، فلا
يلزم من انتفاء الجوع والعرى عن حل في الجنة انتفاءهما فيما
نقل منها ، وإلا لنفى كون الحجر والمقام من الجنة حقيقة ولا
قائل به والله سبحانه وتعالى أعلم .

(الذخائر القدسية)



المسجد النبوى الشريف

المدرسة الأولى فى الإسلام

المسجد النبوى الشريف هو مهبط الوحي ، وタاج التاريخ الرائع وفجر الحضارة الإسلامية ، والمدرسة الأولى فى الإسلام التى تخرج منها بدور العلماء والأبطال المجاهدون والقادات الفاتحون .

كم جلس فيه الرسول الأكرم يفَقِّه ويُعَلِّم ويَسُوَّس ويَهْبِيء الرجال الذين اصطفاهم الله العليم لدینه وغذاهم القرآن الكريم بهديه وربّاهم المعلم الأعظم بتزكيته وستته فى حجر التقوى ومنت الإيمان فنشأوا رجالاً «صدقوا ما عاهدوا الله عليه» ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من يتظاهر وما بدّلوا تبديلاً »، هؤلاء الأحرار الذين فطموا أنفسهم عن الشهوات ، فانطلقت تسبح فى ملکوت الله تذعن للحق وتصدع بالتوحيد ، وتنادى بمحكام الأخلاق ، أولئك الأبطال الذين كانوا السبب فى هداية الأمم وبنوا مجدًا شامخًا ونصروا الأخلاق الفاضلة فنهضت بعد كبوتها وسمت إلى أفق الفخار والخلود .

هذا المسجد النبوى : انظر إليه تغشاه الروعة والهيبة ويحوطه الجمال والجلال ، هل انقطع عنه دوى القرآن منذ نزل فيه أو توقف فيه ذكر الله تعالى بعد أن نشأبه ؟ إنه لم يزل ولن يزال مأرزاً للإيمان ومعقلًا للفضيلة وداراً للعلم ومشهدًا دينياً يأخذ بالنفوس

فلا تملك حين تراه إلا أنها تأنس تارة وترهب أخرى ، تفرح طوراً وتبكي حيناً ، وتقديم وتحجم تمثل لها مواكب الذكر والفكر فتمر بها سراغاً ، وتظهر لها أحداث التاريخ فتتمثل عظة وعبرة ، هنا مجلس الرسول ﷺ مع أصحابه في روضته التي هي من رياض الجنة حيث كان يبلغ رسالات ربه وهذا مصلحة الذي كان يقف فيه لمناجاة مولاه فتقر بذلك عيناه .

وهذا منبره الذي كان يخطب عليه ، كأنه منذر جيش ، يقول : صَبَّحْكُمْ وَمَسَّاَكُمْ فَتَوَجَّلُ الْقُلُوبُ وَتَذَرَّفُ الْعَيْنُونَ وَتَرْتَعِدُ الْفَرَائِصُ ، وهذه حجراته التي كان يأوي إليها فتسقبله أمهات المؤمنين فيتلو فيهن من آيات الله والحكمة ، « رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنَّه حميدٌ مجيدٌ » .

وهذا مصلى تهجده الذي يصلى فيه نافلة من الليل ، يسأل من ربه المقام المحمود ، والهدایة للأمة وإظهار الدين ، يدعو ليلاً ونهاراً ، ويضرع سراً وجهاراً ، وهذه سارية السيدة عائشة (رضي الله عنها) وتلك سارية أبي لبابة (رضي الله عنه) وهذه دار ابن عم الرسول ، ومأوى البطل ، حيث نشأ السبطان سيداً شباباً أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ من الدنيا .

وهذه خوخة الصديق الذي سعد هو والفاروق بصحبته وجواره في الدنيا والبرزخ والأخرى (رضي الله عنهمَا) هذه دار الإيمان فيها

مساكن الصحابة هي - غيل الأسد - ^(١) ، وذلك البقيع الذي دفن فيه ألف من أصحاب الشفيع عليه الصلاة والسلام ، وهذا أحد جبل أهل الإيمان يشرق منه نور التوحيد ، وبقربه كان صراع الحق والباطل ، فنكص الباطل مدبّراً زهوقاً وثبت الإيمان مؤيداً محفوظاً .

وهذا العقيق (الوادى المبارك) منزل الرسول ﷺ ومصلاه .
أجل . هذا مسجد بناء نبى التوحيد وبنته أيدى أهل اليقين .

الله أكبر هذا المسجد العطر وهذه طيبة الفيحاى تزدهر
وهذه الروضة الغناء قد ظهرت من جنة الخلد : لا هم ولا كدر
هذا العقيق وذا سلع وذا أحد يزهو بإيمانه والخلد يتضر
هذه الربوع التى كان الحبيب بها يرعى القلوب وترعاه فتدكر
لقد حظيت بصيام رمضان عدة سنين فى هذا البلد
الطيب ، فأقول : هنا فرض الله علينا الصيام والزكاة ، وهذا باب
جبريل حيث تردد بالتنزيل على السيد الأعظم الجليل ، مجالس
أنس ، ومرابع قدس ، ومنازل قرآن ، وموافق ذكرى ، ما أجمل
هذه البشرى وما أعظم تلك الذكرى ! ! أيام وصل ووصل ، هى
أشرف سنى عمرى وواسطة عقد فخرى فى ضيافة أهل طيبة جيران
المصطفى ، وأهل الصدق والكمال والوفا .

(١) أي موضع الأسد، لأنهم حماة الدين وحراس الشريعة.

في ساكني أكناف طيبة كلّكم

إلى القلب من أجل العبيب حبيب

هناوكمو يا أهل طيبة قد حققا

في بالقرب من خير الورى نلتمس السبقا

في راحلاً عنها لأمر تريده

أتطلب مايفنى ، وترك ما يبقى

بناء المسجد الشريف

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان يصلّى حيث أدركته الصلاة ، فأراد بناء مسجد للصلوة فيه ، وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يصلّى بالناس ، يجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل ابْنِي رافع بن أبي عمرو ، فسأل ﷺ أبا أمامة أن يبيعه أرضا متصلة كانت في يده ليتيمين ، فعرض عليه أسعد أن يأخذها ويغرم عنه ثمنها لليتيمين ، فأبى ﷺ ذلك ، وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال الصديق (رضي الله عنه) .

وكان موضع المسجد نخلاً وخربًا وقبوراً للمشركين ، فأمر عليه السلام بالقبور فغيت وبالعظام فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل قطعت ، وجعلت عمداً للمسجد ، وأمر بعد ذلك باتخاذ اللبّن فاتخذ ، وبنى به المسجد ورفع أساسه بالحجارة ، وسقفه بالجريدة ، وجعلت عمدته جزوعاً (لما شكوا الحر) ، فلما كف عليهم طينه بالطين ، وجعلوا وسطه رحبة ، وقد عمل فيه المسلمون فكانوا يحملون لبنة ، وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين : لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ ، وكان عليه السلام يحمل معهم اللبّن ويقول :

هذا الحمال لا حمال خير هذا أبُرُّ رَبِّنَا وأطهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والهجارة
«رواه البخاري».

ووضع الرسول ﷺ رداءه وهو ينقل فقالوا :

لئن قعدنا والنبي يعمل فذاك منا العمل المضلل
واستمر المسجد على ما هو عليه في زمن الصديق رضي الله عنه لاشغاله بحروب الردة ، وأما الفاروق رضي الله عنه فوسعه ، وزاد فيه دار العباس رضي الله عنه وبناه سيدنا عثمان رضي الله عنه في خلافته بالحجارة والقصّة^(١) ، وجعل عدده حجارة ، وسقفه بالساج^(٢) ، ونقل إليه الحصباء ، من العقيق ، ولم ينزل الخلفاء والملوك يهتمون بعمارة المسجد النبوي الشريف ويبذلون نفائس الأموال في ذلك .

(١) القصّة بالفتح الجُصُّ وهي لغة حجازية.

(٢) نوع من الشجر.

المدينة المنورة تحتفل بمقام النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

روى البيهقى «فى دلائل النبوة» بسنده إلى البراء بن عازب ، قال : «أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، وكانا يقرآن القرآن ، وفي رواية : «فجعلنا يقرئ الناس القرآن ، ثم جاء عمار بن ياسر وسعد وبلال ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ، ثم جاء رسول الله ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحا بشيء قط فرحتهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يسعون فى الطرق ويقولون : جاء رسول الله ﷺ .

وفي رواية أخرى قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطريق ، وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : «جاء رسول الله ﷺ جاء محمد ، الله أكبر ، جاء محمد ، جاء رسول الله ﷺ » فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر . رواه البخارى عن عبد الله بن رجاء ، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن إسرائيل : أنبأنا أبو عمرو الأديب ، قال : أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي قال : سمعت أبي خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا *** من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا *** ما دع الله داع

وفي رواية عن أنس قال : « إني لأسعى في الغلمان وهم يقولون : جاء محمد ، فأسعي ولا أرى شيئاً ثم يقولون : جاء محمد ، فأسعي ولا أرى شيئاً ، حتى جاء النبي ﷺ وصاحبـه أبو بكر فكنا في بعض جدر المدينة ثم بعثنا رجلاً من بعض الـبادـية ليؤذـن بهـما الأنصـار ، فاستقبلـهما زهـاء خـمسـمـائـة من الأنصـار ، حتى انتهـوا إلـيـهـما ، فـقالـتـ الأـنـصـار : انـطـلـقاـ آـمـنـيـنـ مـطـاعـيـنـ ، فأـقـبـلـ رسولـ الله ﷺ وـصـاحـبـهـ بـيـنـ أـظـهـرـهـ ، فـخـرـجـ أـهـلـ المـدـيـنـةـ حـتـىـ إـنـ العـوـاتـقـ لـفـوـقـ الـبـيـوـتـ تـرـأـيـنـهـ ، يـقـلـنـ : أـيـهـمـ هـوـ ؟ أـيـهـمـ هـوـ ؟ قـالـ : فـمـاـ رـأـيـنـاـ مـنـظـرـاـ شـبـيـهـاـ بـهـ يـوـمـئـذـ ! قـالـ أـنـسـ : « فـلـقـدـ رـأـيـتـ يـوـمـ دـخـلـ عـلـيـنـاـ وـيـوـمـ قـبـضـ ، فـلـمـ أـرـ يـوـمـيـنـ شـبـيـهـاـ بـهـماـ ».

وفي رواية أخرى قال أنس : « شهدت يوم دخل النبي ﷺ بالمدينة فلم أر يوماً أحسن ولا أضروا منه ».

وفي رواية عن أنس قال : « قدم رسول الله ﷺ بالمدينة فلما دخل المدينة جاءت الأنصار بـرـجـالـهـ وـنـسـائـهـ فـقـالـواـ : إـلـيـنـاـ يـاـ رـسـولـ اللهـ فـقـالـ : دـعـواـ النـاقـةـ فـإـنـهاـ مـأـمـوـرـةـ ، فـبـرـكـتـ عـلـىـ بـابـ أـبـيـ أـيـوبـ ، قـالـ : فـخـرـجـتـ جـوـارـىـ بـنـىـ النـجـارـ يـضـرـبـنـ بـالـدـفـوفـ وـهـنـ يـقـلـنـ :

نـحـنـ جـوـارـىـ مـنـ بـنـىـ النـجـارـ يـاـ حـبـذـاـ مـحـمـدـ مـنـ جـارـ

فخرج إليهن رسول الله ﷺ فقال أتحبونني ، فقالوا : إى والله يا رسول الله . فقال : أنا والله أحبكم أنا والله أحبكم ، أنا والله أحبكم . (ثلاث مرات) .



من آداب الزيارة النبوية

ينبغى لمن وفقه الله تعالى ، ووصل إلى المدينة المنورة أن يتمسك بالأداب الشرعية في تلك الرحاب الطاهرة والمنازل المباركة ، فيستشعر شرف المكان بالفضل الثابت بالعيان .

إذا دخل المسجد النبوي ، يدخل بسکينة ووقار واحترام وهدوء تام ، ولا يرفع صوته ، لأن رفع الصوت في المسجد منهى عنه ، وهو في مسجد النبي ﷺ أشد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد ثبت أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رأى رجلين يرفعان أصواتهما في المسجد ، فقال : لو أعلم أنكم من أهل البلد لأوجعتكم ضربا ، إن الأصوات لا ترفع في مسجده ﷺ ، مما يفعله بعض جهال العامة من رفع الصوت من أقبح المنكرات ، اهـ .

وليست هناك صيغة مخصوصة للزيارة يسن التزامها ، أو التقييد بها ، بل لو صلى على النبي ﷺ بأى صيغة أو أسلوب كفى ، ويكتفي أن يقتصر على قوله : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا أبا حفص عمر ، كلما دخل المسجد ، فقد كان ابن عمر إذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «إذا قال في سلامه : السلام عليك يا رسول الله يا خيرة الله من خلقه ، يا أكرم الخلق على ربه ، يا إمام المتقين ، فهذا كلّه من صفاته ، بأبيه هو وأمي بِعَيْلَتِهِ» .

وينبغى أن يحترس مما يفعله بعض الجهال أمام الحجرة من تمسح ونحوه ، فلا يتسلّم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ، وألا يتصنّع وجداً أو حالاً أو شوقاً كاذباً ليفعل ذلك ، فإن المتشبّع بما ليس عنده كلبس ثوب زور .

وقد حفظ الله تلك الرحاب من كل ما ينافي التوحيد ، ولا يوجد بين الأمة المسلمة - بحمد الله - من يعتقد فيه ، أو في قبره بِعَيْلَتِهِ اعتقاداً باطلأ ، استجابة لدعائه بِعَيْلَتِهِ حين قال : اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » وتحقيقاً لما أخبر به أنه : « لا يجتمع دينان بجزيرة العرب ، وأن الشيطان قد أليس أن يعبد بالجزيرة إلهًا » .
ولا تظنن أن ما يفعله بعض الناس مما ظاهره ينافي التوحيد إلا صادراً عن جهل يحتاج إلى تعليم وتنبيه .

قال الشيخ ابن القيم :

ولقد نهانا أن نصير قبره عيّداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر ، الذي قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجلب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة جدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيانت

وينبغى لل المسلم أن يتأنب في تلك الحضرة ملاحظاً أنه عَزِيزٌ لِّلْجُنُودِ
يشعر به ويعرفه ، ويرد عليه السلام ، ويعلم موقفه ، وإن حرمته
ميتاً كحرمتها حيّاً .

قال الشيخ ابن القيم :

إِذَا أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ النَّبُوِيَّ صَلَّى
ثُمَّ اشْتَرَنَا لِلزِّيَارَةِ نَقْصَدُ الْقَدْ
فَنَقْوُمُ دُونَ الْقَبْرِ وَقْفَةً خَاضِعُ
فَكَانَهُ فِي الْقَبْرِ حَتَّى نَاطِقٌ
مَلْكُتُهُمْ تِلْكَ الْهَابَةَ فَاعْتَرَتْ
وَتَفَجَّرَتْ تِلْكَ الْعَيْوَنُ بِمَائِهَا
وَإِنِّي الْمُسْلِمُ بِالسَّلَامِ بِهِيَةٍ
لَمْ تُرْفَعْ الْأَصْوَاتُ حَوْلَ ضَرِيحِهِ
إِلَى آخِرِ الْقُصْيَدَةِ :

وينبغى لمن وصل إلى المدينة المنورة أن يجتهد في المحافظة
على الصلاة بالمسجد النبوى المشرف ، فقد ثبت في الصحيحين
عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « صلاة في
مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا
المسجد الحرام » ^(١) .

(١) متفق عليه ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وإبن ماجة وابن حبان والبيهقى فى
شعب الإيمان ، وللحديث روايات مختلفة ومعناها جميعاً واحداً .

قال النووي : وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل . ويعم المسجد القديم وما أضيف إليه من جديد الآن وقبل الآن ، فقد روى عنه عليه السلام أنه قال : « لو بني هذا المسجد إلى صناعه كان مسجدى » وهذا الحديث إن صح فهو من أعلام نبوته عليه السلام .

وينبغى أيضاً أن لا ينسى روضة الجنة في الدنيا ، ففي الصحيح مرفوعاً : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وفي لفظ : « ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة » وأن يجتهد في الصلاة فيها ، لكن بشرط ألا يؤذى أحداً بالمزاحمة والمدافعة ولا يتأخر في الحضور إلى المسجد ، ثم يتوجه إلى الروضة للصلاة فيها فيؤذى المصليين ، ويتحطى الرقاب ، ويقطع الصفوف ، ويشوش على الذاكرين ، ويسبب المخاصمة والمجادلة التي قد تخرج إلى المشاتمة والقول القبيح ، فهو بهذا قد ارتكب الحرام للوصول إلى السنة ، فوقع في الشر من حيث أراد الخير .



المدينة المنورة ، الدار الطيبة والبقعة المحببة المطيبة ، دار السنة والهجرة ، ومدخل الصدق والإيمان . سماها الله تعالى : «طابة» في الصحيح وسماها رسول الله ﷺ : «طيبة» وكان يطلق عليها من قبل : يشرب ، وسميت في القرآن كذلك ، حكاية عن قول من قالها من المنافقين ، والذين في قلوبهم مرض ، وقد جاء النهى عن تسميتها بذلك ، لأنها مأخوذة من «الثرب» وهو الفساد أو من «الثيرب» وهو التوبخ والملامة ، وكان رسول الله ﷺ يكره الاسم الخبيث .

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «من سمي المدينة يشرب فليستغفر الله ، هي طابة» .

وجاء أن من قال : يشرب فكفارته أن يقول : «المدينة» عشر مرات .

والمدينة حرم مقدس مشرف ، ثبت تحريم صورها وشجرها على الحلال ، والمحرم لله ، كما هو مذهب الجمهور لقوله ﷺ في الصحيح (كما عند مسلم) : «إن إبراهيم حرم مكة وإنى

حرمت المدينة ، ما بين لا بيته حرام لا يقطع عضها^(١) ولا يصاد صيدها ». هـ . لكن مكة يضمن صيدها وشجرها ، وفي ضمان صيد المدينة وشجرها خلاف .

والمدينة المنورة بلدة مباركة الطعام والشراب ، لأن النبي ﷺ دعا لأهلها بالبركة في صاعهم ومدهم ومكيالهم ، والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الدجال ، ففي الصحيحين قال رسول الله ﷺ : « إن الدجال لا يطأ مكة ولا المدينة وأنه يجيء ينزل في ناحية المدينة ، فترجف ثلات رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » .

وفي رواية : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة » .

والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الطاعون ، ففي الصحيحين قال ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » والأنقاب جمع نقب ، وهو الطريق على رأس الجبل ، وأنقاب المدينة طرقها وفجاجها .

والسر في ذلك الطاعون وباء عند الأطباء ، وقد صرحت بهم لما قدموها المدينة وأصابتهم أمراض عظيمة وحمى شديدة دعا لهم

(١) كل شجر ينظم له شوك .

النبي ﷺ فكشف ذلك عنهم ، وقال : « اللهم انقل وباءها إلى خم » وخم مكان على ثلاثة أميال من الجحفة التي هي جهة رابغ .

قال القرطبي : الطاعون هو الموت العام الفاشى ، نعني بذلك أنه لا يكون بالمدينة من الطاعون مثل ما يكون في غيرها من البلاد ، كالذى وقع في عمواس ، وقد أظهر الله صدق رسول الله ﷺ فإنه لم يسمع من النقلة ولا من غيرهم من يقول : إنه وقع فيها طاعون عام ، وذلك ببركة دعائه ﷺ حيث قال : « اللهم صاحبها لنا » .

والمدينة المنورة لا تقبل خبشا ، فهي كالكير في إزالة الخبر عنها ، كما في الصحيحين : أن أعرابياً بايع النبي ﷺ فأصابه وعك بالمدينة ، فقال : يا محمد أقلني بيعتي ، أى أعنفي من مبايعتك ، فأبى رسول الله ﷺ ، فخرج الأعرابي ، فقال ﷺ : « إنما المدينة كالكير تنفي خبشا وتنصع طيبها ، أى يخلص وتشتد رأحته ، قال بعضهم : هذا خاص بزمن حياته ﷺ وصح النوى أنه عام يشمل كل زمان .

فقد جاء في الحديث الصحيح : « لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها ، كما ينفي الكير خبث الحديد » قال الزركشى : هذا والله أعلم : زمن الدجال .

والمدينة المنورة لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من

هو خير منه ، ومعنى ذلك أن الذى يخرج عن المدينة راغباً زاهداً فيها ، إنما هو جاهل بفضلها ، وفضل القيام بها ، أو كافر بذلك ، وكل واحد من هذين إذا خرج منها ، فمن بقى من المسلمين خير منه وأفضل منه على كل حال . وقد قضى الله تعالى بأن مكة والمدينة لا تخلوان من أهل العلم . والفضل والدين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى المدينة المنورة المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء الذى جاءت الإشارة إليه فى قوله تعالى : «**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه**» .

وقد سأله أبو سعيد (رضي الله عنه) رسول الله ﷺ عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال : «**هو مسجدكم هذا**» وجاء فى رواية أخرى : أنه المسجد النبوى » .

والحق أن كلاً منهما أسس على التقوى . وقد أخرج الترمذى أن النبي ﷺ قال : «**الصلاه فى مسجد قباء كعمره**» .

وأخرج ابن ماجة بسند جيد عن سهل قال : قال رسول الله ﷺ : «**من تطهر فى بيته ثمأتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة**» ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وقد كان ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً كل سبت ، وتارة يوم الاثنين ، وصبيحة اليوم السابع عشر من رمضان فيصلى فيه .

وقد حث ﷺ على الإقامة بها ، ووعد من صبر على لأوائلها وشدتها أن يكون له شهيداً أو شفيعاً يوم القيمة . ودعا على من أحدث بها وأساء وأتى إثماً ، أو أعان على ذلك فقال : « من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيمة صرفاً ولا عدلاً » أى لا يقبل منه فرضاً ولا نفلاً .

ودعا على من آذى أهلها وأرادهم بسوء بأن يذيه الله في النار ذوب الرصاص ، أو ذوب الملح في الماء » قال : « اللهم اكفهم من دھمهم ببأس » رواه البزار بإسناد حسن .



رأى ابن الجوزى في الاحتفال بالمولد النبوى

قال العلامة الجردانى فى «فتح العلام بشرح مرشد الأنام» : ومن أجل ما ابتدع بل من أجل القربات والطاعات ما جرت به العادة من العناية بالمولد الشريف ، والفرح فيه بسيد السادات ، وإطعام الطعام ، ومواساة المحاویج وقراءة قصة المولد الشريف .

قال ابن الجوزى : ومما جرب : «أن من عمل المولد كان أماناً له في ذلك العام ، وبشري عاجلة بنيل المرام ». وقد جاء أنه عَلَيْهِ الْكَفَافُ لما ولد ذهبت ثوبية ، (جارية أبي لهب) فبشرت مولاهما أبوا لهب بولادته عَلَيْهِ الْكَفَافُ فأعتقها وأمرها برضاعته ، فجوزى بأن يخفف عنه في النار . كل ليلة اثنين ، فإذا كان هذا حال من صرح القرآن بذمه ، فما ظنك بالمسلم الذي يفرح بموالده عَلَيْهِ الْكَفَافُ ، ويفيد ما تصل إليه قدرته في محبته ، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم ، أن يدخله بفضله جنات النعيم .

ومن أجل ما ابتدع أيضاً ما جرت به العادة من قيام الناس ، حين ذكر مولده عَلَيْهِ الْكَفَافُ فيستحب ذلك ، لما فيه من تعظيمه ، وإظهار الفرح به ، والسرور ، بل وأفني بعض الحنفية بكفر من يتركه ، حين يقوم الناس ، ولعمري إذا لم يُقْمَ لقادمه ، ولو عند ذكر مولده ، فلمن يقام ، لكن ذكر العلامة الحلوانى في مواكبه : «أنه ينبغي أو يجب تركه إذا ذكر الخطيب ذلك ، أو أدى القيام إلى التشويش وعدم الإنصات . ١ . هـ .

من أحسن الصيغ للسلام على النبي

صلى الله عليه وآلـه وسلم

ومن أحسن ما يقول الزائر : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله ، سمعت الله يقول : [أو يا خير الرسل . إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً] قال فيه ، « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمًا » وقد جئتكم مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربى ، وفي رواية أخرى : « إني جئتكم مستغفراً ربكم عز وجل من ذنبى ». .

يا خير من دفت بالقانع أعظمـه

طباب من طيبـهن القانع والأكمـم

نفسـى الفداء لقبرـك ساكـنه

فيـه العـفـاف وـفـيه الـجـود والـكـرم

فقد جاء عن محمد العتبى (شيخ إمامنا) (رضى الله عنهما) أنه سمع أعرابياً قال ذلك عند القبر المكرم ، وانصرف ، فرأى العتبى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى المنام ، يقول : يا عتبى الحق بالأعرابى ، وبشره بأن الله قد غفر له .

وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعانى ، أنه روى عن على كرم الله وجهه : أنه بعد دفنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة أيام جاءهم أعرابى ،

فرمى نفسه على القبر الشريف (على ساكنه الصلاة والسلام) ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت : فسمينا قولك ، ووعيت عن الله تعالى كما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك قوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمًا » وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لى إلى ربى ، فنودى من القبر الشريف أنه قد غفر لك .

ذكر هذه القصة شارح الإقناع ، وتقى الدين بن تيمية وابن القيم وابن عساكر وابن الجوزي ، وأقرها الحافظ ابن كثير ، ويتأكد تجديد التوبة في هذا الموقف الشريف ، وسؤال الله تعالى أن يجعلها توبه نصوحاً ، والاستشفاف به عَزَّلَهُ اللَّهُ في قبولها ، والإكثار من الاستغفار والتضرع بتلاوة الآية المذكورة . وأن يقول بعدها : وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، وأتيت بجهلي وغفلتى أمراً كبيراً ، وقد وفدت عليك زائراً وبك مستجيراً ، وجئتك مستغفراً من ذنبي ، سائلأً أن تشفع لى إلى ربى ، وأنت شفيع المذنبين ، المقبول الوجيه عند رب العالمين ،وها أنا ذا معترف بخطيء مقر بذنبي ، متسل بك إلى ربى ، وأسأل الله البر الرحيم بك ، أن يغفر لى ، وي Miyitni على ستك ومحبتك ، ويحضرنى في زمرتك ، ويوردنى وأحبابى حوضك ، غير خزايا ولا نادمين ، واشفع لى يا رسول الله رب العالمين ، وشفيع المذنبين ، فها أنا ذا في حضرتك

وجوارك ، ونزيلاً ببابك ، وعلقت بكرم ربى الرجاء ، لعله يرحم
عبدك وإن أساء ، ويعفو عما جنى ، ويعصمه في ما بقى من
الدنيا ، ببركتك وشفاعتك يا خاتم النبيين ، وشفيع المذنبين .

أنت الشفيع وأمالى معلقة

وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لي

هذا نزيلك أضحت لا ملاذ له

إلا جنابك يا سؤلى ويا أملى

وقال غيره :

ضيف ضعيف غريب قد أناخ بكم

ومستجير بكم يا سادة العرب

يا مكرمي الضيف يا عون الزمان ويَا

غوث الفقر ومرمى القصد والطلب

هذا مقام الذى ضاقت مذاهبه

وأنتم فى الراجا من أعظم السبب

أو يقول بعد الآية المذكورة أيضاً : نحن وفدىك يا رسول الله ﷺ
وزوارك ، جئناك لقضاء حرقك ، والتبرك بزيارتك ، والاستشفاع

بك ، مما أثقل ظهورنا ، وأظلم قلوبنا ، فليس لنا يا رسول الله
شفيع غيرك نؤمله ، ولا رجاء غير بابك نصله ، فاستغفر لنا واسفع
لنا عند ربّك ، واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا ، ويحشرنا في
زمرة عباده الصالحين ، والعلماء العاملين .



فضائل نبوية قرآنية

قال بعضهم :

ألم يُرضك الرحمن في سورة الضحى
 وحاشاك أن ترضى وفيينا مُعذبٌ
 أترضى مع الجاه المنين ضيَّاعنا
 ونحن إلى اعتاب ببابك نُنَسِّب
 أفضها علينا نفحة نبوية
 تلم شتات المسلمين وَرَأْبٌ

وقال غيره :

قرأنا في الضحى ولسوف يعطي
 فَسَرَّ قلوبنا ذاك العطاء
 وحاشا يا رسول الله ترضى
 وفيينا من يعذب أو يسأء

وقال غيره :

كيف السبيل إلى تقصي مدح من
 قال إلله له - وحسبك جاما -

إن الذين يبَايِعُونَكَ إِنْمَا
— فيما يقول — : « يبَايِعُونَ اللهَ »

وقال الشيخ القلقشندي الأديب الكبير المصري :

إِنِّي أَوْمَلُ مَا أَرْجُو بِطَلْعَتِهِ

فوجْهَهُ النَّيْرُ الْمَأْمُونُ مَأْمُولٌ

مَاذَا أَقُولُ وَمَا فِي زَخْرَفِ الشِّعْرِ

مِنْ بَعْدِ مَا فُصِّلَتْ حَمَّ تَنْزِيلُ

« كيف كانت عبادة رسول الله ﷺ قبلبعثة »

إن العلماء اختلفوا : هل كان ﷺ قبل بعثته متبعاً بشرع من قبله أولاً ؟ . فقال الجمهور : لم يكن متبعاً بشيء ، واحتجوا بأن ذلك لو وقع لنقل ، ولما أمكن كتمه ، ولا ستره في العادة ، ولا فخر أهل تلك الشريعة ، واحتجوا به عليه ﷺ فلما لم يقع شيء من ذلك علموا أنه لم يكن متبعاً بشرع نبي قبله ، وذهب طائفة : إلى امتناع ذلك عقلاً ، قالوا : لأنَّه يبعد أن يكون متبعاً ، وقد عرف تابعاً . وذهب آخرون إلى التوقف في أمره ﷺ وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك لأنَّه لا قاطع من الجانبين وإلى هذا ذهب إمام الحرمين .

وقال آخرون : كان عملاً بشرع من قبله ، ثم اختلفوا ، فتوقف

بعضهم عن التعين وأحجم ، وجسر عليه بعضهم . ثم اختلف المعينون ، فقيل : نوح ، وقيل : إبراهيم ، وقيل : موسى ، وقيل عيسى ، وقيل : آدم عليهم الصلاة والسلام ، فهذا جملة المذاهب في هذه المسألة ، وأظهرها الأول ، وهو الذي عليه الجمهوء ، وأبعدها مذهب المعينين ، إذا لو كان شيء لنقل كما مر .

وزعم بعض من لا تحقيق عنده ولا اطلاع على حقائق الكتاب والسنة : أن نبينا ﷺ كان على شريعة إبراهيم ﷺ وليس له شرع منفرد به ، وإنما المقصود من بعثته ، إحياء شرع إبراهيم تمسكاً بظاهر قوله تعالى : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً » فزعمه بالغلط بل بالخرافة أشبه ، ومن ثم قالوا : إن مثله لا يصدر إلا من سخيف العقل ، كثيف الطبع ، وإنما المراد بهذه الآية : الاتباع في التوحيد الخاص بمقام الخلة الذي هو مقام إبراهيم المشار إليه بصيغة : « حنيفاً وما كان من المشركين » والمتسبيب عن تفويضه المطلق لما ألقى في النار ، وجاء إليه جبريل عليهما السلام قائلاً له : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، فوصل غاية من التفويض لم يصل إليها أحد قبله ولا بعده إلا نبينا محمد ﷺ فإنه وصل إليها وارتقي بغايات لا يعلمها إلا خالقه وبارئه المنعم عليه بما لم يؤته لغيره .

ومن ثمَّ يقول إبراهيم «عليه الصلاة والسلام» عند مجىء الناس إليه في ذلك الموقف العظيم للشفاعة العظمى في فصل القضاء قائلين له : إن الله اصطفاك بالخلة : إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، فأعلمهم أنه وإن كان خليلاً لكنه متأخر الرتبة عن غيره ، المنحصرة في نبينا ﷺ ونظير تلك الآية السابقة : «أولئك الذين هدى الله بهداهم اقتده» فالمراد الأمر بالاقتداء في التوحيد وما يليق به من المقامات العلية التي ترجع إلى الأصول لا إلى الفروع ، إذ كان منهم من ليس رسولاً أصلاً كيوسف «عليه السلام» على قول ، والباقيون كانت فروع شرائعهم مختلفة ، فاستحال حمل الأمر على الاقتداء بهم على ذلك .

وقال شيخ الإسلام «السراج البلقيني» في شرح البخاري : «ولم يجيء في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده ﷺ قبلبعثه ، لكن روى ابن اسحق وغيره أنه ﷺ كان يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه ، وكان من نسك قريش في الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من بيته لم يدخل بيته حتى يطوف بالکعبه .

وتحمل بعضهم التعبد على التفكير ، قال : وعندى أن هذا التعبد يشتمل على أنواع ، وهى الاعتزال عن الناس - كما صنع إبراهيم ﷺ باعتزال قومه ، والانقطاع إلى الله تعالى - فإن انتظار

الفرج عباده ، كما رواه على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) مرفوعاً ، وينضم إلى ذلك التفكير ، ومن ثم قال بعضهم : كانت عبادته بِحَلْقَةِ اللَّهِ في حراء التفكير .

(انظر فتاوى ابن حجر الهيثمي).

صلوات مأثورة لرؤية الحبيب

«صلى الله عليه وآلـه وسلم»

نقل الشيخ الغزالى فى الإحياء عن بعض العارفين نقاًلاً عن العارف المرسى (رضى الله عنه) أن من واظب على هذه الصلاة : وهى : «اللهم صلّى على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم : فى اليوم والليلة خمسماة مرة ، لا يموت حتى يجتمع بالنبي ﷺ يقظة » .

ونقل عن الإمام الياافعى فى كتابة «بستان الفقراء» أنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال : «من صلّى على يوم الجمعة ألف مرة بهذه الصلاة وهى : «اللهم صلّى على سيدنا محمد النبي الأمى» فإنه يرى ربه فى ليلته ، أو نبيه ، أو منزلته فى الجنة ، فإن لم ير فليفعل ذلك فى جمعتين ، أو ثلث أو خمس ، وفي رواية زيادة «وعلى آله وصحبه وسلم» .

وفي كتاب «الغنية» للقطب الربانى سيدى عبد القادر الجيلانى [حديث] عن الأعرج عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلّى ليلة الجمعة ركعتين ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وأية الكرسى مرة ، وخمس عشرة مرة » قل هو

الله أحد» ، ويقول في آخر صلاته ألف مرة « اللهم صل على
سيدنا محمد النبي الأمى ، فإنه يراني في المنام ولا تتم له الجمعة
الأخرى إلا وقد رأني ومن رأني فله الجنة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر » ١ . هـ .



مقام العبودية (أشرف مقاماته ﷺ)

«سبحان الذى أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير».

قوله : بعده ، لم يقل بنبيه ولا برسوله ، إشارة إلى أن وصف العبودية أخص الأوصاف وأشرفها لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه بحيث لا يشرك في عبادته له أحداً ، فقد فاز وسعد ، ولذا ذكره الله تعالى في المقامات الشريفة كما هنا .

وفي مقام الوحي قال : «فأوحى إلى عبده ما أوحى» الآية .

وفي مقام الدعوة قال الله تعالى : « وأنه لَمَّا قام عبد الله يدعوه » ولذا قال القاضي عياض (رحمه الله تعالى) :

ومما زادنى شرفاً وتيها وكدت بأخمصى أطا الشريا
دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمدى نبيا
وهناك وجه آخر وهو خوف ضلال أمته به ﷺ كما ضلت أممة
عيسى به عليه السلام ، حيث قالوا : ابن الله .

وقوله : بعده أى بروحه وجسمه على الصحيح ، ثم قال عند قوله تعالى : « إنه هو السميع البصير » المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى ، أى هو السميع للأقوال ، البصير بالأحوال والأفعال ، وقيل : الضمير عائد على النبي ﷺ ، وحكمة الإitan

بهذين الوصفين : « الشَّاء عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ ، حَيْثُ شَاهَدَ مَا شَاهَدَ ، وَسَمِعَ مَا سَمِعَ ، وَلَمْ يَرْغِبْ بَصْرَهُ وَلَمْ يَدْهَشْ سَمْعَهُ فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى » إِشَارَةً إِلَى عَلُوِّ مَقَامِهِ وَرَفْعَةِ شَانِهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ فَيَكُونُ وَيَعْلَمُ اللَّهُ قَدْ وَصَفَ بِأَنَّهُ السَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ .



الفاتح الخاتم (شرح صلاة الفاتح)

«اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفتح لما أغلق»،
أى أنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لأن رسالة كانت بعد
الفترة (زمن الجاهلية) وفتح الله به على عباده أنواع الخيرات
وأبواب السعادة الدنيوية والأخروية ، فكل الأرزاق من كفه ، وفي
الحديث : «أوتيت مفاتيح خزائن السموات والأرض» أى التي
قال الله تعالى فيها : «له مقاليد السموات والأرض»، أى
مفاتيحها ، فقد أعطاها عز وجل لحبيبه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وفي الحديث
أيضاً : «الله معط وأنا القاسم» .

«والخاتم لما سبق» من النبوة والرسالة فإنه لا نبى بعده ولا
رسول يجدد شريعته ، وعيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل من
السماء يكون على شريعة نبينا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ومن أمته ، كما أن الخضر
وإلياس يعبدان الله بشرعيته ومن أمته .

«والناصر الحق بالحق» ، أى ناصر الدين الثابت عند الله ،
الذى قال الله تعالى فيه : «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل
منه» أى إنه فى نصره لدينه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ملازم للحق ودائراً معه ومقوى
للدين الحق بالحجج الحقة وبالقتال الحق المأمور به من الله ، أو
المراد بالحق الثاني هو الله تعالى ، لأنه اسم من أسمائه ، فيكون

(١) والجملة الأولى من هذه الصلاة مذكورة في الصيغة التي كان يعلمها الإمام على بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقد رواها ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلَوُنَ عَلَى النَّبِيِّ . . .» الآية وقال: قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزري: سلاماً الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك علياً. اهـ وسلامة الكندي هذا من التابعين وهو الذي روى الصيغة عن الإمام على (رضي الله عنه): قال الشيخ على القاري في شأن الحديث: وهو موقف وقد صح سنته قال الدلنجي: لكن أعلم وإن صح سنته بأن روايته عنه مرسلة إذ لم يدركه. اهـ وهو مردود بما ذكره ابن حبان أنه روى عن على وروى عنه نوح بن قيس الطاحي. اهـ ومثل هذا لا يقال في الإرسال. انتهي كلام القاري جـ ٢ من شرح الشفاص ١٤٢٤.

هذا وقد اعرض البعض على فضيلة المؤلف في شرحه لهذه الصلاة عندما قال : إن مقايد السمات والأرض (أى مقايتها) أعطاها الله عز وجل لنبيه ﷺ وجعلوا المعنى بعمومه وظنوا أن مقايد السمات والأرض بمعنى الأمر والتدبر والخلق والإيجاد وهو اعتراض غير صحيح وحاشا أن يعتقد هذا مسلم أو يقول به :

وقد جاء في لسان العرب : المقاليد هي المفاتيح جمع إقليد بمعنى مفتاح وهي أيضا ، الخزائن جمع مقلايد بمعنى خزانة ، اهـ . ومعنى الآية أن الله وحده له مفاتيح السموات والأرض وخرزاتها وليس لأحد سواه يقول تعالى : « وعنه مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو » ويقول سبحانه : « وان من شئ إلا عندنا خرزاته » . وما لاشك فيه أن الله تعالى له أن يعطي من مفاتيح علمه وخبره من يشاء من عباده منه وفضلا يقول تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غبيه أحداً إلا من أرتشى من رسوله » وأعظم وأكرم من أسطقني وارتضى من رسله حبيبه محمد ﷺ . وروى البخاري عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) خرج النبي ﷺ يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر . فقال : إنما فرطكم وأنا شهيد عليكم إني والله لأنظر إلى حوضي الآخر وإنى قد أعطيت مفاتيح خزانة الأرض . . (كتاب المناقب وكتاب الجنائز وكتاب المغازي) [فتتح الباري ج ٦ / ٤٧٩].

وأخرج الطبراني عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال : أعطيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس : (التي في قوله تعالى : إن الله عنده علم الساعة) الخ .

وأخرج الطبراني أيضاً والإمام أحمد عن ابن عباس « رضي الله عنهما » عن النبي ﷺ : أعطيت مالم يعط أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمداً وجعل لى التراب طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم » وإذا كان الأمر كذلك فلأنه غصاضة ونکارة في قول المؤلف : إن الله أعطى حبيبه مقاليد السموات والأرض بمعنى المفاتيح ؟ .

يا أيها الرسول بلغ

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ اعلم أن ما أوحى إلى رسول الله ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، قسم أمر بتبلیغه وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عموماً فقد بلغه ﷺ ولم يزد عليه حرفاً ولم يكتم منه حرفاً ، ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله كآيات . « عبس و تولى » ، وأية « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، وسورة تبت يدا أبي لهب ، ولفظ قل من آية ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ وقد شهد الله له بتمام التبليغ حيث أنزل عليه قبل وفاته ﷺ ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ .

وورد أنه قال لعزراiel حين قبض روحه اقبض فقد بلغته .

وما أمر بكتمه ﷺ ولم يبلغ منه حرفاً وهو جميع الأسرار التي لا تليق بالأمة . وما خير في تبليغه وكتمه فقد كتم البعض وبلغ البعض - وهو بعض الأسرار التي لا تليق بالأمة - ولذا ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال : « أعطاني حبيبي جرابين من العلم لو بشّت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم »⁽¹⁾ .

(1) قال الطيب رواينا هذا في صحيح البخاري عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة =

= رضى الله عنه وقال الألوسي في تفسير الآية الكريمة : ان ذلك هو علم الأسرار الإلهية وعلم الحقيقة وإلى هذا وأشار رئيس العارفين « على زين العابدين » حيث قال :

كلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
إلى الحسين ، وأوصى قبله حسنا
لقول لي : أنت من يعبد الوثناء
يرون أقبح ما يائونه حسنا

إنى لأكتم من علمى جـواهـرـه
وقد تقدم فى هذا أبو حسن
فرب جـوهـرـ علم لـوـأـبـوحـ بهـ
ولا سـحلـ رـجـالـ مـسـلمـونـ دـمىـ

(روح المعانى للألوسى ج ٦ / ١٩٠).

وهذا العلم لا يرجع الى أحكام التشريع التى امر بـتـبـلـيـغـها بإبلاغها فإنه لم يكتم منها شيئاً ، وأما من يحتاج بالآية الكريمة على أنه ليس هناك علم خاص من قبيل الأسرار والمعارف الإلهية فقد كذب ووقع في الباطل والضلالة ، فإن الآية لا شأن لها بذلك فهي تأمر النبي بـتـبـلـيـغـهـ بتبلیغ ما أنزل إليه من ربـهـ (من القرآن والأحكام) لا بتبلیغ ما فتح به عليه من المعارف والأسرار وما عرفـهـ الحق سبحانهـهـ من العلوم والأحوال ، وأيضاً يدل سياق الآية على أن التبليغ المأمور به بـتـبـلـيـغـهـ هو تبليغ ما أنزل إليه من القرآن فى أمر خاص بتقریع أهل الكتاب وكشف أباطيلـهمـ ودحضـهمـ لأنـ الآيةـ نـزـلتـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ منـ آخـرـ ماـ نـزـلـ وقدـ أـدـىـ الرـسـوـلـ بـتـبـلـيـغـهـ الرسـالـةـ وأـكـمـلـ الدـيـنـ .

فالمعنى إذا بلغ ما أنزلناه إليك بشأنـهمـ ولا تخـشـ كـيـدـهـمـ فهو مـصـرـوفـ عنـكـ بـدـلـلـلـ « والله يعصـكـ مـنـ النـاسـ » فـيـهاـ ثـبـيـتـ للـنـبـيـ بـتـبـلـيـغـهـ وـطـمـأـنـيـتـ لـقـلـبـهـ ، وـلـيـسـ فـيـ الآـيـةـ مـاـ يـشـيرـ إـلـىـ نـفـيـ
الـعـلـومـ وـالـمـعـارـفـ وـالـأـسـرـارـ التـيـ يـخـصـ اللهـ بـهـاـ مـنـ يـشـاءـ مـنـ عـبـادـهـ . ١ـهـ فـتـأـملـ .

رؤيا النبي

«صلى الله عليه وآلـه وسلم»

عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى فقد رأى فإن الشيطان لا يتمثل بي » أخرجه أحمد والبخاري والترمذى عن أنس .

وقال ﷺ : « من رأى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتزايا بي » أخرجه أحمد والبخاري ومسلم ، عن أبي قتادة رضي الله عنه ، وقال ﷺ : « من رأى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوننى » أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فالنبي ﷺ مظهر من مظاهر الحق ، وكل ما يسمع منه فإنه من الحق .

وقال ﷺ : « من رأى فإني أنا هو فإنه ليس الشيطان أن يتمثل بي » أخرجه الترمذى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وقال ﷺ : « من رأى في المنام فقد رأى إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في بي » أخرجه الترمذى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وقال ﷺ : « من رأى في المنام فقد رأى إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتى » ، أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجة عن جابر (رضي الله عنه) .

وقال ﷺ : « من رأى في المنام فسيرانى في اليقظة » « ولا يتمثل الشيطان بي » أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وهذه الأحاديث كلها في أعلى درجة من الصحة ، وأما ما اتفق عليه البخارى ومسلم فقد قال علماؤنا : إنه يلحق بالمتواتر ، كيف وقد روى ذلك معهما الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة وأبو داود ، فقد ترقى فوق درجة الصحة ولحقت بالمتواتر .

ورويانا في صحيح البخارى ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى في المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتخيل بي ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

فقد جاء لفظ عدم مماثلة الشيطان له من وجوه ، قال : « أن الشيطان لا يتمثل بي » وقال : « لا يتكوننى » ، وقال : « لا يتخيل بي » ﷺ لم يترك لغة من لغات التمثيل إلا وقد ذكرها ، فلم يقع في عدم مماثلة الشيطان له شك ولا شبهة لا في اليقظة ولا في المنام ، قال ابن البارقي : معنى الأحاديث أن رؤياه ﷺ صحيحة وليس بأضعاف أحلام ، ولا من تشبهات الشيطان » ، وقال غيره : إن المراد من رأاه فقد أدركه حقيقة ، فلا مانع يمنع ذلك ، والعقل لا يحيله فيضطر إلى صرفه عن ظاهره .

قالوا : وقد يُرى رسول الله ﷺ على خلاف صفتة ، أو في

مكائن معًا ، أو في أماكن متعددة ، وذلك خلط في صفاته بِعَذَابِهِ في عالم خيال الرائي ، فتكون ذاته بِعَذَابِهِ مرئية . فالإدراك لا يشترط فيه ذلك بخلاف الإبصار ، ولا قرب المسافة ، ولا كونى المرئى مدفوناً بالأرض ولا ظاهراً عليها .

وإنما يشترط كونه موجوداً ، ولم يقم دليل على فناء جسمه بِعَذَابِهِ ، بل جاء في الأحاديث الصحيحة ما يقتضي بقاءه مع جميع الأنبياء ، وورد أيضاً : «أنهم يصلون في قبورهم» وتجري لهم أعمال البر كحياتهم .

وردد أيضاً : أن سعيد بن المسيب في أيام الحرة ، حين هجر المسجد النبوى ، كان لا يعرف وقت الصلاة إلا بأذان كان يسمعه من داخل الحجرة المقدسة ، ولا يبعد أن يكون ذلك لأنبياء ، خاصة ، ولمن شاء الله من خواص عباده ، اهـ . ما قاله العلماء (رضي الله عنهم) .

وقالوا : إن رؤيا النبي بِعَذَابِهِ ممكن لعامة أهل الأرض في ليلة واحدة ، وذلك لأن الأكوناً مرايا ، وهو بِعَذَابِهِ كالشمس إذا أشرقت على جميع المرآيا ظهر في كل مرأة صورتها ، بحسب كبرها وصغرها ، وصفاتها وكدرها ، ولطافتها وكثافتها . كبلور ، أو معدن ، أو تلك ، وبحسب أشكالها من تدوير ، إلى تثليث ، إلى تربع ، إلى غير ذلك من الأشكال والألوان . وكل من رأى النبي بِعَذَابِهِ ، فإنما رأه بحسب صفة نفسه ومرأة قلبه ، فإن رأه بصفة

كمال ، فالكمال في الرأي ، أو بصفة نقص ، فلننحصر في الرأي .

وأما قوله ﷺ : « من رأى في المنام فسيراني في اليقظة » قال العلماء : هو في الدنيا قطعاً ، ولو عند الموت لمن وفق لذلك .

وأما قول من أوله برأيا اليقظة في الآخرة فقد رد عليه العلماء وقالوا : إن الآخرة يراها كل مؤمن رأى في منامه أول لم يره ، كما ورد في أحاديث عدة صحيحة .

بل ويراه الكفار في الآخرة والمنافقون فيعرفون قدره العظيم وشرفه الكبير ﷺ وقد يكون في الدنيا لأهل الكمال من المؤمنين أصفياء البصيرة الذين وصفهم الله تعالى ووصف قلوبهم وعاراتهم بقوله : « كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . نور على نور » وهو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من العلوم والمعارف زيادة على نور الإيمان وتمثيل لقلب العارف وما فيه من المعارف .

فمثل هذا القلب ، هو المؤهل لرؤيا النبي ﷺ في اليقظة وسائر المغيبات أيضاً .

حفظ الله تعالى للنبي ﷺ من مؤمرات اليهود

حاول اليهود أكثر من مرة قتل النبي ﷺ ، وقد ثبت ذلك في مرتبين :

كانت المرة الأولى في محاولة قتل النبي ﷺ يوم ذهب إلى يهود بنى النضير ، يطلب منهم الوفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم معه ، ويطالبهم بدفع دية العامريين اللذين قتلهم عمرو بن أمية الضمرى ، وقد ذهب إليهم النبي ﷺ وحده ، فما كادوا يرونها حتى استقبلوه استقبلاً في ترحيبه مكر خبيث يحمل ريح مؤامرة ، وجلس النبي بعد اللقاء مستندًا إلى حائط منزل واحد منهم ، ودار من خلف النبي همس المؤامرة ، فقد قالوا لبعضهم : (لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فهو وحده ، فمن رجل يظهر على البيت فيطرح صخرة فيريحنا منه) .

وانتهى بهم الرأي إلى اختيار عمرو بن جحاش بن كعب ، فهو أقواهم بنية وأسرعهم حركة ، وأخبروه أن الأمر سيعتبر قضاء وقدراً وأن دمه سيهدر ، وأن محمداً لن تكون له بعد ذلك دية ولا مطالب بدم . وفوق ذلك ستكون قوة المسلمين قد تحطمـت ، وإنهم بذلك سيقضون على الإسلام بقضائهم على نبي الإسلام .

وشعر عمرو في تنفيذ جريمته ، وصعد إلى سطح المنزل الذي يستند على حائط جداره رسول الله ﷺ ، وأمسك بصخرة كبيرة

وألقاها ، ولكن في ومضة عين كان على الكبير قد أنبأ نبيه بالأمر ، فترك مكانه في اللحظة التي سقطت فيها الصخرة .

وكان أيضاً قد وصل إلى مكان النبي نفر كبير من المسلمين ، فقد علموا بذهابه وحده إلى بنى النضير ، فسارعوا باللحاق به ، وما دادوا يرون الرسول حتى أعلمهم بالخبر كله .

وثار المسلمون ، وكادت أن تقع معارك ضارية بين المسلمين واليهود ، ولكن اليهود اعترفوا بجريمتهم ، وطلبوا أن يرحلوا عن المدينة كلها ، كعقاب لهم ، وتركوا المدينة فعلاً ، وفوراً ، وما حولها أيضاً .

وسجل القرآن الكريم جريمة اليهود هذه فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرِّرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

ومرة ثانية : وبعد أن رأى اليهود هزيمتهم في خير ، اجتمع بعده نفر من اليهود سراً واتفقوا على أن يدسوا السم للنبي ﷺ في طعامه ، وبذلك يقضون على رسول الله ، فيعاد لليهود مكانتهم ، ويثاروا من مواقف النبي معهم ، ويتحققوا أملهم الذي انتظروه من مئات السنين ، ويخلوا لهم عالم الدنيا بعد ذلك ، ولا يكون أمامهم غير جماعة النصارى على ظهر الأرض ، عدواً واحداً ليس له ما للإسلام من قواعد ونظم تحكم البشرية وترتبط بين الدنيا والآخرة والناس بعضهم بعضًا .

ومن أجل هذا الغرض اجتمع نفر من اليهود سرًا ، ووقع اختيارهم على زينب بنت الحارث ، فهى صديقة صفية زوجة رسول الله ﷺ وطلبوها منها أن تذهب إلى بيت رسول الله ﷺ وتسأله عن أى الطعام أحب إليه لتهديه إليه ب المناسبة زواجه من صديقتها صفية .

ونفذت زينب بنت الحارث ما أملت عليها وعلمت من رسول الله ﷺ أنه يقبل منها هديتها : شاة مشوية ، فإن أحب أجزائها إليه الذراع .

وجاءت زينب إلى الرسول ﷺ بالشاة المسمومة الذراع ، وقدمتها إلى رسول الله ﷺ وكان معه بشر بن البراء بن معرور ، ولكن رسول الله ﷺ ما كاد يتذوق الذراع حتى رد ما أكله ، وقال : « والله ما أظن إلا أنه السم »^(١) وتوقف عن الأكل ، ولم ينته بشر عن الاستمرار إلا بعد أمر النبي له بالتوقف ، ولكن السم كان كثيراً وقوياً ، فانتشر في دمه فوق بشر لتوه ميتاً .

وأمر النبي ﷺ فجاءوا بزينب بنت الحارث ، واعترفت لرسول الله ﷺ عن جانب من المؤامرة ، وبررت تصرفها بأنها متورة ، فقد مات الكثيرون من أهلها في حرب المسلمين ، وأذل الله على يد النبي قومها ، وضاعت هيبيتهم ، ولم تعد لهم مكانة

(١) وفي رواية صحيحة : أن الذراع هو الذي أخبره بذلك . معجزة له ﷺ . مالكي .

بين الناس ، فتركها النبي ﷺ وحفظ الله رسوله ﷺ ، ولكن آثار السم كانت كامنة في أمعاء رسول الله ﷺ ومن أجل هذا يروى الثقات أن رسول الله ﷺ كان يشكو في مرضه الأخير من معدته ، مع شكواه من صداع في رأسه ، حتى ليقول مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى : « إن رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه عندما دخلت أخت بشر بنت البراء بن معروف تعوده : « يا أخت بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري ^(١) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخير ». وقد ذكرت هاتين القصتين **كتب الأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية** .

(١) الأبهر: عرق ينزل من الدماغ، فهو في العنق الوريد، وفي الصلب الأبهر، وفي القلب الوتين، ومن أي مواضعه انقطع هلك صاحبه، والوريد والوتين مذكوران في القرآن الكريم.

عرض الأعمال على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام الحافظ الشيخ ابن القيم في قصيده المشهورة بالنونية .

د عليه فهو الحق ذو إمكان
ث به فحق ، ليس ذا نكران
أيضاً بآثارِ روين حسان
وعلى أقاربِه مع الإخوان
لوا : رب راجعه إلى الإحسان
هذا وأما عرض أعمال العبا
وأتى به أثر فإن صح الحديث
لكن هذا ليس مختصاً به
فعلى أبي الإنسان يعرض سعيه
إن كان سعيًا سيئاً حزنوا وقا

ولذا استعاد من الصحابة من روى

هذا الحديث عقيبه بلسان

يا رب إنني عائد من خزينةٍ
آخرى بها عند القريب الداني

ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة الـ

محفوف بالرضوان والغفران

لكن هذا ذو اختصاص والذى

للمصطفى ما يعمل الثقلان

«القصيدة النونية لابن القيم ص ١٣٤» .

محافظة عمر بن الخطاب على ميزاب العباس

لأنه وضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة في كتابه « المغني » فصل : « ولا يجوز إخراج الميازيب إلى الطريق الأعظم ، ولا يجوز إخراجها إلى درب نافذ إلا بإذن أهله .

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى : يجوز إخراجه إلى الطريق الأعظم ، لأن عمر رضى الله عنه اجتاز على دار العباس وقد نصب ميزاباً إلى الطريق فقلعه ، فقال العباس : تقلعه وقد نصبه رسول الله ﷺ بيده ؟ فقال : والله . لا نصبه إلا على ظهرى ، وانحنى حتى صعد على ظهره فنصبه » ^(١) .

تعظيم الصحابة لرحل وناقة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

كان للنبي ﷺ خادم يسمى « أسلع » وكان يقوم بترتيب رحل النبي ﷺ يشده عليها وينزله عنها .

وفي ليلة أصابته جنابة ولم يغتسل لبرودة تلك الليلة فلما أصبح أمره ﷺ أن يرحل الناقة له لأن أراد الخروج ذلك اليوم لغرض ما

(١) المغني لابن قدامة : ٤ / ٥٥٤ مالكى .

ولكنه لم يرض أن يقوم بمهمته كعادته لأنه كان جنباً . كره (رضي الله عنه) أن يمس رحله عليه السلام وهو جنب ، فطلب من غيره أن يقوم بذلك .

ويتحدث بنفسه هو عن ذلك فيقول : كنت أرْحَل ناقة النبي عليه السلام فأصابتني جنابة في ليلة باردة ، وأراد رسول الله عليه السلام الرحمة فكرهت أن أرْحَل ناقته وأنا على جنابة ، فأسخت ماة فاغسلت ثم لحقت رسول الله عليه السلام وأصحابه فقال : يا أسلع ، مالى أرى راحلتك تغيرت ؟ فقلت يا رسول الله : لم أرْحلها ، رحلها رجل من الأنصار ، قال : ولم ؟ قلت أصابتني جنابة فأمرته برحيلها .



قصيدة بانت سعاد

قال الشيخ الأديب أبو جعفر البصیر الألییری الأندلسی ، لما ذکر الكعبیة هذه : وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذي لم يوجد له ناسخ .

أنشدھا کعب فی مسجده علیه الصلاة والسلام بحضورته وحضرۃ أصحابه ، وتوسل بها فوصل إلی العفو عن عقابه . فسد عَزَّلَهُ اللَّهُ خلته ، وخلع علیه حلته ، وكف عنه من أراده وأبلغه فی نفسه وأهله مراده ، وذلک بعد اهدار دمه ، فھی کلمة محظوظة حسناتها تلك الذنوب وستر محسانها وجه تلك العيوب . ولو لاھا لمنع المدح والغزل ، وقطع من أخذ الجوائز على الشعراء الأمل فی حجۃ الشعراء فيما سلکوه ، وملائكة أمرهم فيما ملکوه . حدثني بعض شيوخنا بالاسكندرية أن بعض العلماء كان لا يفتح مجلسه إلا بقصيدة کعب فقيل له فی ذلك ، فقال :

رأیت رسول الله عَزَّلَهُ اللَّهُ فی النوم فقلت : يا رسول الله قصيدة کعب أنسدھا بین يديك ؟ فقال : نعم أنا أحبھا وأحب من يحبھا قال : فعاہدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم .

قال الحافظ الكتانی : ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن

ينسجون على منوالها ، ويقتدون بأقوالها ، تبركاً بمن أنسدت بين يديه ، ونسب مدحها إليه ، ولما صنع القاضى محى الدين عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى ﷺ على وزن بانت سعاد قال :

لقد قال كعب فى النبى قصيدة وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
بأن شملتنا بالجوائز رحمة كرحمه كعب فهو كعب مبارك

صانع المنبر النبوى

اختلف فى صانع منبر النبي ﷺ على أقوال :

فقيل : هو «ميمون» وصحيح أو «باقول» بلام أو «باقوم» بميم، أو صباح «بصاد فموحدة كفراب»، أو قبيصة أو كلاب «مولى العباس» أو «تميم الدارى» أو «مينا» بميم فنون فهمزة، أو «إبراهيم». أقوال تسعه، وهل فى سنة سبع أو ثمان؟ اهـ.

وأنشد محدث الشام الشيخ عبد الباقي الحنبلي الأثرى فى تلبية رياض الجنة لشيخه محدث الشام نجم الدين الغزى الشافعى بقوله :

صانع منبر النبي الذى
كان عليه يخطب النبي
صلى وسلم عليه دائمًا
إلهنا المهيمن على
أو باقوم ، أو تميم الدارى
وقيل : اسمه ميمون أو باقول
والقول الأول هو القوى
وقيل إبراهيم أو قبيصة

قال الشيخ عبد الباقي : وزدت متبعًا فقلت مينا :

مينا صباح قيصرهم باقوم كلامهم مينا هو القوى
وللحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقى تأليف سماه « عَرْفُ
العنبر فى وصف المنبر » .

جواز طلب الشفاعة من النبي

«صلى الله عليه وآله وسلم»

قال أنس بن مالك : « سألت النبي ﷺ أن يشفع لى يوم القيمة فقال : أنا فاعل . قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط . قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فاطلبني عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبني عند الحوض فإنـي لا أخطـئ هذه المواطنـ الثلاثـ ، رواه الترمذـ في أبواب صفةـ ما جاءـ في شأنـ الصراطـ .

فإن قيل : كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة : « فهل تذكرون أهليكم يوم القيمة : فقال ﷺ : أما في ثلاثة مواطنـ فلا يذكر أحدـ أحدـا » ؟ .

قلت : جوابـه لـعائشـةـ بـذـلكـ لـثـلاـ تـكـلـ عـلـىـ كـونـهاـ حـرـمـ رسولـ اللهـ ﷺـ ، وجـوابـه لـأنـسـ لـكـيلاـ يـأسـ ، اـنتـهـىـ .

قال القارىـ : فيهـ أنهـ خـادـمـ رسـولـ اللهـ ﷺـ فهوـ محلـ الإـتكـالـ أيـضاـ معـ أنـ اليـأسـ غـيرـ مـلـائمـ لهاـ أيـضاـ ، فالـأـوـجـهـ أنـ يـقالـ : إنـ الحديثـ الأولـ مـحـمـولـ عـلـىـ الغـائـبـينـ ، فلاـ أحدـ يـذـكـرـ أحدـاـ منـ أـهـلـهـ الغـيـبـ والـحـدـيـثـ الثـانـىـ : مـحـمـولـ عـلـىـ مـنـ حـضـرـهـ مـنـ أـمـتـهـ .. اـنتـهـىـ .

سوداد بن قارب يطلب الشفاعة من النبي

«صلى الله عليه وآلـه وسلم»

قدم سوداد بن قارب الدوسى على النبي ﷺ وأنسد هذه القصيدة
وفيها طلب الشفاعة منه ﷺ :

أتانى نجى بعد هذئ ورقدة
ثلاث ليال : قوله كل ليلة
فرفعت أذیال الإزار وشمرت
فأشهد أن الله لا رب غيره
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
فمرنا بما يأريك من وحى ربنا
وكن لى شفيقا يوم لا ذو شفاعة
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
أتاك نجى من لؤى بن غالب
بى الفرس الوجناء حول السباب
وأنك مأمون على كل غائب
إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايib
وإن كان فيما جئت شبب الذواب
بمغن فتيلاً عن سوداد بن قارب

(انظر الاستيعاب لابن عبد البر حرف العين) (١)

(١) هذا وقد ذكر صاحب فتح القدير «الكمال بن الهمام الحنفى» عند الكلام على حكم زيارة النبي ﷺ وقال ما نصه : في مناسك الفارسي وشرح المختار من السادة الأحناف ... أن زيارة النبي ﷺ قربية من الوجوب ولما زار الإمام أبو حنيفة المدينة المنورة وقف أمام قبره الشريف وقال :

يا أكرم النقلين يا كنز السورى * جدلى بجودك وأرضنى برضاك
أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لأبي حنيفة فى الأنام سواك
وقد اقتدى الإمام أبو حنيفة (رضي الله عنه) فى ذلك بالصحابى العجليل سوداد بن قارب
(رضي الله عنه) اهـ .

جواز التوسل بغير النبي ^(١)

صلى الله عليه وآلہ وسلم

ومن أعلام نبوته ﷺ ما أظهره الله تعالى من كرامته في عمه العباس حين استسقى به عمر (رضي الله عنه) متوسلاً إليه بعمه فخرج يستسقى به وقد أجدب الناس .

فقال : اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكثير رجاله فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، فقد دلونا به إليك مستغفرين . فقال

(١) يتولى المؤمنون بالنبي ﷺ وبغيره من أهل الصلاح لكونهم أحباء الله سبحانه وتعالى لا لأجل تعظيمهم تعظيم الربوبية والفرق واضح بين سؤال الله بأحد من خلقه وبين سؤال غير الله ، وال المسلمين عند توسلهم لا يعتقدون استحقاق العبادة إلا لله وحده فهو سبحانه المحيي والمميت والموجد والمعدم والنافع والضار والمعطى والمانع وهو على كل شيء قادر ، وهناك شبهة تعتري البعض فيظنون أن التوسل المشروع لا يكون إلا بدعاء النبي ﷺ وهو عندهم غير ممكن بعد وفاته ، ولذلك يرون أن التوسل بالذات لا يجوز ويقولون : لو كان جائزًا لما عدل عمر (رضي الله عنه) عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس ، وهذا الذي قالوه غيره صحيح من أوجه :

١ - لو كان عدول عمر (رضي الله عنه) عن التوسل بالعباس (رضي الله عنه) دليلاً على عدم جواز التوسل بالذات للزم من ذلك عدم جواز بقية أنواع التوسل كالتوسل بالعمل الصالح وأسماء الله الحسنى فإن عمر عدل عنها أيضاً وهذا لا يقول به أحد .

٢ - وعلى هذا فقد أورد العلماء احتمالات متعددة في سبب عدول عمر (رضي الله عنه) عن التوسل بالنبي ﷺ، فذهب بعضهم إلى أن ذلك كان من عمر لأجل إظهار شرف آل البيت الأطهار، وذهب البعض الآخر أن ذلك كان لبيان جواز التوسل بالمحضول مع وجود الفاضل فإن علياً كرم الله وجهه كان موجوداً وهو أفضل من العباس (رضي الله عنه) بلا خلاف إلى غير ذلك من الاحتمالات ، والراجح أن من أنواع توسل الصحابة (رضي الله عنهم) بالنبي ﷺ في الاستسقاء أن يقدموه ليدعو لهم ويدعو الناس معه فيحصل من صورة الاجتماع هذه مزيد تذلل وتضرع ويكون ذلك أدلى للإجابة ولا يخفى أن هذا متذر لأن التوسل به ﷺ بتلك الكيفية غير ممكن بعد وفاته ولذلك اتجه عمر (رضي الله عنه) =

إلى التوسل بالعباس (رضي الله عنه) ليقيمه بين الناس داعياً ويحصل الاجتماع المتدوب شرعاً. ويكون هذا التعدُّر أظہر في حالة تقديم المتوكِّل به ليصل إلى الناس ويدعو لهم لأن صلاة الاستسقاء عبادة مشروعة ومن شروط العبادة الحياة الدنيا - فترة التكليف - وهذا لا يتأتى أبداً من الرسول ﷺ مع أننا نقر بثبوت حياته ﷺ في قبره، والفارق بين الاستسقاء وبين غيره من الأمور المطلوبة بالتوسل واضح لأن الاستسقاء صلاة فيها إمام يقتدي به ويتوسل به وبدعائه بخلاف غير ذلك من الأدعية لكشف ضر أو إزالة كرب ونحو ذلك.

٣- لا يجوز لهم حديث عمر (رضي الله عنه) بمعزل عن بقية النصوص الواردة في موضوع التوسل لأنه من المقرر في قواعد الأصول أن النصوص الشرعية يفسر بعضها ببعضٍ وبقيد بعضها بعضاً.

أن العدول كان عن التوسل بالدعاء على الكيفية المعهودة في حياته ﷺ فقط لتعذرها وليس لاستدلال على منع التوسل بالذات أو العمل الصالح أو غيرهما محل في ذلك . والذي يتضمنه النظر هو أن يقال: لم ينقل إلينا أن عمر (رضي الله عنه) فعلها في تلك المناسبة رغم شدة كرب المسلمين كما لم ينقل إلينا أنه تركها أو نهى عنها ولا يصح أن يستدرك على هذا بأنه لو فعلها لنقل إلينا لأن عدم النقل لفعلها هو الأقرب للحقيقة الواقع لأنها مما يفعل في خاصية النفس ولا توقف كفيتها على إظهارها وإعلانها لاسيما والصحابة (رضي الله عنهم) كانوا حريصين على كتم أعمالهم ودعواهـم التي تصدر منهم مبالغة في الإخلاص ورجاء القبول .

بل إن حديث مالك الدار الذي سيأتي تحقيقه ^ص يؤيد ما رجحناه من قصر العدول على نوع خاص متعدِّر وفي حديث الأعمى وأبن عمر رضي الله عنـهما كافية للمصنف [انظر ^ص].

٤- التوسل بالدعاء فيه دلالة على التوسل بالذات بطريق التضمين ولذلك قال العلامة الشوكاني في تحفة الذاكرين مانصه: «أما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت في الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعباس (رضي الله عنه) عم الرسول ﷺ وقال عمر (رضي الله عنه): اللهم إنا نتوسل إليك بعـم نبيـنا . . . إلخ اـهـ .

وقال أيضاً عند شرحـه لـحديث الأعمـي: وفي الحديث دليل على جواز التوسل بـرسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقادـ أنـ الفاعـل هو الله سبحانه وتعـالـي وأنـه هوـ المعـطـىـ المـانـعـ ماـ شـاءـ كـانـ وـماـ لـمـ يـكـنـ اـهـ .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري جـ ٢ / ٤٩٧ ويستفاد من قصة العباس استحبـاب الاستشـفـاعـ بأـهـلـ الـخـيـرـ وـالـصـالـحـ وـأـهـلـ بـيـتـ النـبـوـةـ وـفـيـهـ فـضـلـ العـبـاسـ وـفـضـلـ عمرـ لـتواـصـعـهـ لـالـعـبـاسـ ومـعـرـفـتـهـ بـحـقـهـ . اـهـ .

[هـذاـ التـعلـيقـ كـتبـهـ الـأـخـيـرـ الـفـاضـلـ مـحـمـدـ الـهـادـيـ عـبـيدـ التـونـيـ] .

العباس وعيناه تنضحان : « اللهم أنت الراعي ، لا تهمل الضالة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتقت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنظوا فيهملوكوا ، فإنه لا يأس من روحك إلا القوم الكافرون ». فنشأت السحاب وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ، ويقولون هنيئاً لك يا ساقى الحرمين ، فقال حسان بن ثابت :

سأل الإمام وقد تتابع جدتنا فسقى الغمام بغرة العباس عم النبي وصنو والده الذى ورث النبي بذلك دون الناس أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد الياس

فقال الفضل بن العباس بن أبي لهب ، يفتخر بذلك :

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبته عمر توجه بالعباس فى الجدب راغباً فما كرّ حتى جاد بالديمة المطر

إن الله عودك خيراً

روى ابن عباس قال : قيل لعمر حدثنا عن شأن جيش العسرة فقال عمر (رضي الله عنه) : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى خشينا أن تنقطع رقابنا ، فكان الرجل يذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن أن رقبته ستنقطع ، وحتى كان الرجل ينحر بعيته فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقى على صدره .

فقال أبو بكر (رضي الله عنه) يا رسول الله إنَّ الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا . قال : أتحب ذلك ؟ قال نعم : فرفع رسول الله ﷺ يده فلم يُرجعها حتى مالت السحاب ، فأظللت وأمطرت حتى رعوا وملأوا ما معهم من الأوعية فذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكرية .

(أعلام النبوة للماوردي)

ليس لنا إلا إليك يا رسول الله فرارنا

ومن أعلام نبوته ﷺ ما رواه أنس بن مالك قال : أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، لقد أتيناك ومالنا بغير يئط ولا صبي يغطُ ثم أنسد :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ^(١) وقد شغلت أم الصبي عن الطفل وألقى بكفيه الصبي استكانة من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحل ^(٢)

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا

سوى الحنظل العامي ^(٣) والعلهز الفَسْلِ ^(٤)

(١) اللبان بفتح اللام الصدر وهو كنابة عن أنها تتمهن نفسها ولا تجد من يخدمها لضيق ذات اليد.

(٢) أي ما ينطق بخير ولا شر من جوعه وضعفه من أمر وأحل.

(٣) العامي نسبة إلى العام أي السنة لأن الحنظل يتخذ في عام العجذب.

(٤) والعلهز بكسر فسكون طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة ، والفسل بفتح فسكون ، الرديء والكلام هنا كنابة عن شدة الفقر وال الحاجة [الوسيلة للشيخ محمد خليل الخطيب / ٧٣].

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً سحراً طبقاً غير رأى ث تنبت به الزرع وتملاً به الضرع وتحمي بـه الأرض بعد موتها . . . فـما استـمـ الدـعـاءـ حـتـىـ التـفـتـ السـمـاءـ بـأـرـوـقـتـهاـ . . . »

فجاء أهل البطانة يضجون : يا رسول الله الغرق ، فقال : « حوالينا ولا علينا » فانجذب السحاب عن المدينة كالإكليل . فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه وقال : الله در أبي طالب لو كان حـيـاـ لـقـرـتـ عـيـنـاهـ ، من الـذـيـ يـنـشـدـنـاـ شـعـرـهـ ؟ فقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا رسول الله كـأـنـكـ أـرـدـتـ قـوـلـهـ : وأـبـيـضـ يـسـتـسـقـيـ الـغـمـامـ بـوـجـهـهـ

ثـمـالـيـتـامـىـ عـصـمـةـ لـلـأـرـاملـ

يعـوذـ بـهـ الـهـلـاكـ مـنـ آـلـ هـاشـمـ

فـهـمـ عـنـدـهـ فـىـ نـعـمـةـ وـفـوـاضـلـ

كـذـبـتـمـ وـبـيـتـ اللهـ نـبـرـىـ مـحـمـداـ
وـلـمـاـ نـقـاتـلـ دـونـهـ وـنـنـاضـلـ
وـنـسـلـمـهـ حـتـىـ نـصـرـعـ حـولـهـ
وـنـذـهـلـ عـنـ أـبـنـائـنـاـ وـالـحـلـائـلـ^(١)

(١) هذا الحديث أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية مسلم العلاني عن أنس ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني ، في فتح الباري (ج ٢ ص ٤٩٥) إسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة وقد ذكره ابن هشام في زواجه في السيرة تعليقاً عمن يثق به اـهـ .

وقام رجل من كنانة وأنسد :

سقينا بوجه النبي المطر
وأشخص مغها إليه البصر
وأسرع حتى رأينا الدرر
أغاث به الله علیاً مضر
أبو طالب : أبيض ذو غرر
وهذا العيان كذلك الخبر

لک الحمد والحمد ممن شكر
دعا الله خالقه دعوة
فلم يك إلا کلف الرداء
رقاق العوالى جم البعاق
وكان كما قاله عمه
به الله يسوق صوب الغمام

فقال رسول الله ﷺ إن يك شاعر يحسن ، فقد أحسنت.

(انظر أعلام النبوة للماوردي ١٠٩)

معنى قوله ﷺ رد الله على روحى

«ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى ، حتى أرد عليه السلام» رواه أبو داود عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

قال النووي : إسناده صحيح ، وقال ابن حجر : رواته ثقات ،
ومعنى «رد الله على روحى» يعني رد على نطقى ، لأنه ﷺ حى
على الدوام ، وروحه لا تفارقه أبداً ، لما صح أن الأنبياء أحياء ،
في قبورهم . وقوله ﷺ : «حتى أرد عليه السلام» ، هذا ظاهر في
استمرار حياته ، لاستحالة أن يخلو الوجود كله من أحد يسلم
عليه ، ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان .

والمراد : كما قال ابن الملقن وغيره بالروح : النطق مجازاً ، علاقة المجاز أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة ، وهو عَيْنُهُ فِي الْبَرْزَخِ مشغول بأحوال الملكوت ، مستغرق في مشاهدته ، مأخوذ عن النطق بسبب ذلك^(١) ، ولهذا قال ابن حجر : الأحسن أن يؤول الروح بحضور الفكر كما قالوه في خبر « يغان على قلبي »^(٢) .

(١) تأويل الروح بالنطق يلزم منه ما يلزم من تأويتها بعودة الحياة إلى الجسد الشريف ، لأن من نفي ذلك استدل بأن الوجود كله لا يخلو من أحد يسلم عليه عَيْنُهُ فمعنى هذا أن الروح لا تفارقه أبداً فكذلك يقال في النطق أنه لا يؤخذ ولا يمنع عنه عَيْنُهُ أبداً ، ولعل الأولى في فهم الحديث من جهة الدليل هو التوقف في معنى رد الروح لأن الروح إذا كانت في حقيقتها مجهرة لنا فحقيقة الرد من باب أولى ، وأن أحوال البرزخ لا يقاد عليها عالم الدنيا إذ هي فوق مداركنا وعقولنا ثم إن حياته عَيْنُهُ في قبره زائدة على الحياة البرزخية التي يشترك فيها جميع الناس ، فلنؤمن بذلك دون أن نخوض في معناه فمقام رسول الله عَيْنُهُ أجل وأعلى من أن يفسر بالظواهر والاحتمالات وأهل الفتح والمعرفة قد يفتح لهم بشيء من هذا المعنى لا تحيط بوصفه العبارات والله أعلم .

(٢) معنى يغان على قلبي : أي بالنور ومن اعتقد أنه عَيْنُهُ يغان على قلبه الشريف بالظلمة فقد فجر وربما كفر ، وقال صاحب الصباح المنير في مادة « غـى نـ » وحديث يغان على قلبي كنایة عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية فإنها وإن كانت مهمة فهي في مقابلة الأمور الأخروية كاللهو عند أهل المراقبة . اهـ وهذا تخریج حسن .

رسول الله ﷺ على حوضه ينتظر الواردين عليه

من أمته (جعلنا الله تعالى من المقبولين)

روى الشیخان عن عقبة بن عامر (رضی الله عنه) قال : خرج رسول الله ﷺ يوماً وصلی على شهداء أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : « إنى فرط لكم وأنا شهید عليکم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى قد أعطیت خزانة الأرض ، أو مفاتیح الأرض وإنى والله ما أخاف عليکم أن تشرکوا بعدي ولكن أخاف عليکم أن تتنافسوا فيها ». .

وفي رواية لمسلم عن عقبة قال : قال النبي ﷺ : « إنى فرطكم على الحوض ». .

وعن مسلم عن جنيد سمع النبي ﷺ يقول : « إنى فرطكم على الحوض » ، وروى أبو نعيم بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفارى (رضی الله عنه) قال : لما صدر النبي ﷺ عن حجة الوداع قال : « يا أيها الناس إنى فرطكم على الحوض ، وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم ». .

وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس (رضی الله عنهمما) -
أن النبي ﷺ قال : « أنا آخذ بحجزكم عن النار ، أقول : إياكم

وَجَهَنْمُ وَإِيَّاكُمُ الْحَدُودُ ، فَإِذَا مَتْ فَأَنَا فَرْطُكُمْ وَمَوْعِدُكُمُ
الْحَوْضُ ، فَمَنْ وَرَدَ أَفْلَحُ » الْحَدِيثُ .

قال الإمام النووي : قال أهل اللغة : الفرط (بفتح الفاء والراء) والفارط : هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء ، قال : فمعنى قوله عَزَّوَجَلَّ : « فرطكم على الحوض » ينتظر أمهاته — الواردين عليه ، المتبعين له — وذلك ليستقبلهم ويستقيهم ، سقانا الله من كفه الشريفة شربة لا نظماً بعدها أبداً بجاهه وبجاهه وجده الشريف عند ربه تعالى - وهكذا أحاديث الحوض بلغت حد التواتر فيجب الإيمان به قطعاً بلا شك .

جاء في سنن أبي داود : أن عبيدا الله بن زياد قال لأبي بربة الأسلمي (رضي الله عنه) جئت إليك لأسألك عن الحوض ، هل سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر فيه شيئاً ؟ فقال أبو بربة — رضي الله عنه - : نعم ، لا مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثة ولا أربعاً ولا خمساً ، قال : فمن كذب به فلا سقاه الله منه » الحديث وفي هذا دليل على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثيراً ما يحدث أصحابه — رضي الله عنهم — عن الحوض وأوصافه ، ولذلك جاءت أحاديث الحوض عن جمّ غفير من الصحابة في مناسبات متعددة ، ومن ثم ذكره علماء التوحيد في جملة العقائد الإيمانية ، قال العلامة اللقاني رحمه الله تعالى : إيماننا بحوض خير الرسل حتم كما قد جاءنا في النقل ينال شرباً منه أقوم وفوا بعهدهم وقل يزاد من طغوا

والمعنى أن الذين يشربون من حوض المصطفى ﷺ - دون مانع يمنعهم - هم الموفون بعهدهم مع الله تعالى ، ومع رسوله ﷺ وأما من بغي وطغى وارتد ورجع القهقرى فإنهم يمنعون عن الشرب من حوضه ﷺ .

روى البخارى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « بينما أنا قائم (أى على الحوض يوم القيمة) فإذا زمرة (أى جماعة) حتى إذا عرفتهم خرج رجل (أى ملك على صورة رجل) من بيته وبينهم ، فقال : (أى قال لهم) هل ! فقلت : أين ؟ (أى إلى أين تدعوهم) قال : إلى النار قلت : وما شأنهم ؟ قال : أنهم ارتدوا بعده على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينهم وبينهم ، قال هل : (أى للجماعة تلك أقبلوا) قلت أين ؟ قال إلى النار ، قلت ما شأنهم ؟ قال فلا أراه يخلص منهم (أى من تملك الزمرة) إلا مثل هم النعم » . قال الحافظ المنذري وغيره : هم النعم ، هى ضوالها ومعناه : أن الناجى قليل كضالة النعم بالنسبة إلى جملتها . ١ . هـ .

وكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتئن في ديننا . ١ . هـ - أمين .

(انظر الإيمان بعوالم الآخرة للشيخ عبد الله سراج الدين)

لواء الحمد

لقد ثبت بالأحاديث النبوية : أن لسيدنا محمد ﷺ لواءً عالياً على جميع ألوية الشرف والكرامة واسعًا كل السعة يأوي إليه ويدخل تحته جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم معهم (صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين) ويسمى لواء الحمد ، وهو يد جامع أنواع السيادة والمحبة ﷺ .

روى الترمذى وابن ماجة وغيرهما عن أبي سعيد الخدري (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى : آدم فمن سواه إلا تحت لوابى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) الحديث .

وروى الترمذى والدارمى وغيرهما عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتظرونـه ، قال : فخرج ﷺ حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرـونـ فسمع حديثـهم . فقال بعضـهم : عجباً إن الله اتـخذـ من خلقـه خليلاً ، اتـخذـ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر : ماذا بـأعـجبـ من كلام موسى ، كـلمـه الله تـكـلـيـما ، وقال آخر : فـعـيسـى كـلمـة الله وروحـه ، وقال آخر : آدم اـصـطـفـاه الله تعالى : فـخـرـجـ عليهم رسول الله ﷺ ، فـسـلـمـ وقال : « سـمـعـتـ كـلامـكـمـ وـعـجـبـكـمـ إـنـ إـبـرـاهـيمـ خـلـيلـ اللهـ وـهـوـ كـذـلـكـ وـمـوـسـىـ نـجـىـ اللهـ وـهـوـ كـذـلـكـ وـعـيـسـىـ رـوـحـ اللهـ وـكـلـمـتـهـ »

وهو كذلك ، وأدّم اصطفاه الله وهو كذلك . ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيمة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله لى فيدخلنها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » .

ومعنى قوله ﷺ فى ذلك : ولا فخر ، أنه لم يقل ذلك فخرًا وكثيرًا ، وإنما قال ذلك تحدثًا بنعمته الله تعالى وشكراً له وامتثالاً لأمر الله تعالى ، حيث قال له : « وأما بنعمتك ربك فحدث ». .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان قال : « قال الصحابة (رضي الله عنهم) يا رسول الله ، إبراهيم خليل الله ، وعيسى كلمة الله وروحه ، وموسى كلمه الله تكليماً فماذا أعطيت أنت ؟ فقال : ولد آدم كلهم تحت رايتي يوم القيمة وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة » ، وروى الترمذى والدارمى وأبو يعلى وغيرهم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدتهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر ، يطوف على ألف خادم ، كأنهم اللؤلؤ المكنون » هذا الفظ الدارمى .

قال الحافظ الزرقانى : وأضيف اللواء إلى الحمد الذى هو الثناء

على الله تعالى بما هو أهله لأنه من صبه عَزَّلَهُ اللَّهُ في الموقف ، وهو المقام المحمود المختص به ، قال : والعرف جار بأن اللواء يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه إذ موضوعه أصالة شهرة الرئيس ا . ه .

قال شيخنا الشيخ « عبد الله سراج الدين » في كتابه « الإيمان بعوالم الآخرة » : وقد تكلم الشيخ الأكبر محيي الدين جمعنا الله تعالى به وبأهل الله أجمعين ، حول لواء الحمد ، وبين وجه تسميته بلواء الحمد أنه التوت (أي اجتمعت) فيه المحاميد التي يحمد بها رب العالمين ، فهو لواء جامع لجميع المحامد الإلهية فلا يخرج عنه حمد ، وإنما يأخذ منه كل حامد حمده ليحمد به رب العالمين سبحانه وتعالى .

وإن الحمد لله تعالى لا يكون إلا بالأسماء الإلهية فإنها بها يثنى عليه سبحانه وتعالى وبها يحمد ، وإن جميع تلك الأسماء الإلهية التي بها يحمد الحامدون ويثنون بها على ربهم ، جمعها الله تعالى في لواء رسول الله عَزَّلَهُ اللَّهُ فإلى ظل لوائه عَزَّلَهُ اللَّهُ يأowون وعنه يأخذون صيغ حمدتهم ، ولذلك عم ظل لوائه عَزَّلَهُ اللَّهُ جميع الحامدين كما قال رسول عَزَّلَهُ اللَّهُ : « ما من نبى آدم فمن دونه إلا تحت لوائى » فالأنبياء وأتباعهم : كليهم تحت لوائه الذي اجتمعت فيه أنواع المحامد ، ومنه يتلقى كل حامد . وإن أح مد الحامدين لرب العالمين سيدنا أح مد عَزَّلَهُ اللَّهُ الذي فتح الله ويفتح عليه من محامده وحسن الثناء

عليه ما لم يفتحه على أحد غيره . كما جاء في أحاديث الشفاعة المتقدمة حيث قال ﷺ: « ... فيفتح الله تعالى على (أي يوم القيمة حين يقيمه المقام المحمود) من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبله فأحمد بمحامد لا أعلمها الآن يلهمنها الله تعالى » .

حشرنا الله تعالى في جملة رفقائه وجمعنا تحت لواء حمده ورایة مجده ونفحنا بنفحاته وأفاض علينا من بركاته ﷺ .

والعفو عند رسول الله مأمول

قال عليه الصلاة والسلام: « من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله » فكتب إليه أخوه بهذه الأبيات:

تلوم عليها باطلًا وهى أحرز	من مبلغ كعباً فهل لك فى التى
فتنجو إذا كان النجاء وتسلم	إلى الله لا العزى ولا اللات وحده
من الناس إلا ظاهر القلب مسلم	لدى يوم لا ينجو، وليس بمفلت
ودين زهير وهو لا شيء دينه	福德 زهير وهو لا شئٌ محرم

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان حاضره من عدوه ، فقال : هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بدأ ، قال قصيده التي يمدح بها رسول الله ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه .

ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل يقال له « جهينة »

كانت بينه وبينه معرفة فغدا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه واستأمنه ، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله : إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتكم به ؟

قال رسول الله ﷺ نعم ، قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، قال ابن إسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار وقال : يا رسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال ﷺ : دعه فقد جاء تائباً نازعاً . قال : فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما صنع صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، ثم قال قصيده اللامية التي أولها :
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيماً إثرها لم يفدي مكبول

ومنها :

أنبئت أن رسول الله أوعى دنيا والعلفو عند رسول الله مأمولة مهلاً هداك الذي أعطاك نافلته الـ قرآن فيه مواعير وتفاصيل لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل إن الرسول لنور يستضيء به مهند من سيف الله مسلول في عصبة من قريش قال قائلهم بيطن مكة لما أسلموا : زولوا يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السُّود التنايل

وفي رواية لأبي بكر بن الأنصاري أنه لما وصل إلى قوله : إن الرسول لنور يستضاء به . . . البيت رمى عليه الصلاة والسلام عليه بردة كانت عليه ، وإن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف ، فقال : ما كنت لأؤثر بردة رسول الله ﷺ أحداً ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم ، قال : وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم .

وقال ابن اسحق : قال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب :

«إذا عرد السود التتابيل». وإنما عنى عشر الأنصار لما كان صاحبهم صنع به ، وخاص المهاجرين بمدحته غضب عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار قصيده التي يقول فيها :

في مُقْنَبٍ من صالح الأنصار
إن الخيار هُمْ بنو الخيار
كسوالف الهنديّ غير قصار
كالجمر غير كليلة الأبصار
للموت يوم تعانق وكرار
بدماء من علقوا من الكفار
للطارقين النازلين مقاري

من سره كرم الحياة فلا يزلي
ورثوا المكارم كابرًا عن كابر
المكرهين السمهري بأذرع
والنااظرين بأعين مُحمَّرة
والباءتين نفوسهم لنبيّهم
يتظهرون يرونـه نسـكا لهم
قوم إذا خوت النجوم فإنـهم

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وأبوه وابنه عقبة وابن
ابنه العوام بن عقبة .

أنظر المواهب اللدنية ص ١٧٢



فوائد الصلاة والسلام على خير الأئم

قال سيدى العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى كتابه : « ل الواقع الأنوار القدسية » : وقد حببلى أن أذكر لك يا أخي جملة من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ تشويقاً لك ، لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة ويصيير شغلك فى أكثر أوقاتك بالصلاحة والتسليم عليه ، وتصير تهدى ثواب كل عمل عملته فى صحيفه رسول الله ﷺ (١) كما أشار إليه خبر أبي بن كعب : إننى أجعل لك ثواب جميع أعمالى فقال له النبي ﷺ : إذاً يكفيك الله تعالى هم دنياك وأخرتك . فمن ذلك ، وهو أهمها صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على من صلوا وسلم عليه . ومنها : تكبير الخطايا ، وتركية الأعمال ، ورفع الدرجات .

(١) إن أعمال الأمة كلها – ولو لم يهذ له ﷺ منها شيء – فإنّ له نظيرها لقوله ﷺ ، « الدال على الخير كفا عليه » ، ومعلوم أننا اذا أهدينا شيئاً فإنما ذلك لأجل أن يعود علينا بالنفع .. من نوره وبركه ﷺ وهذا دليل على صدق محبتنا إذ لواه ﷺ ما عرفنا الطاعة ولا أجرنا عليها ، فهذا معنى الإهداء إلى النبي ﷺ ودليلنا عليه ما رواه الجهمي وغيره : بإسناد صحيح في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ : أنَّ أحد الصحابة رضي الله عنهم قال يارسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قال : النصف ، قال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قال : الثلثين قال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قال : يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك ، قال : إذاً تكفى همك ويفتر ذنبك وفي روایة : « إذاً يكفيك الله هم دنياك وأخرتك ». .

ومنها : مغفرة الذنوب ، واستغفار الصلاة عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لقائتها .
ومنها : كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد ، والكيل بالمكيال
الأوفي .

ومنها : كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه كما
تقدّم .

ومنها : محو الخطايا وفضيلتها ^(١) على عتق الرقاب .

ومنها : النجاة من سائر الأهوال ، وشهادة الرسول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بها يوم
القيمة ، ووجوب الشفاعة .

ومنها : رضا الله ورحمته والأمان من سخطه ، والدخول تحت
ظل عرشه .

ومنها : رجحان الميزان في الآخرة ، وورود الحوض ، والأمان
من العطش .

ومنها : العتق من النار ، والجواز على الصراط كالبرق
الخاطف ورؤيه المقعد المقرب من الجنة قبل الموت .

ومنها : كثرة الأزواج في الجنة والمقام الكريم .

ومنها : أنها زكاة وطهرة وينمو المال ببركتها .

ومنها : أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر .

(١) أي فضل الصلاة على رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

ومنها : أنها عبادة ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى .
ومنها : أنها عالمة على أن صاحبها من أهل السنة .
ومنها : أن الملائكة تصلى على صاحبها مادام يصلى على
النبي ﷺ .

ومنها : أنها تزيين المجالس وتنفي الفقر وضيق العيش .
ومنها : أنه يلتمس بها مظان الخير .
ومنها : أن فاعلها أولى به ﷺ يوم القيمة .
ومنها : أنه ينتفع هو ولده بها وبثوابها ، وكذلك من أهديت
في صحيحته .

ومنها : أنها تقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ .
ومنها : أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط .
ومنها : أنها تنصر على الأعداء ، وتطهر القلب من النفاق
والصدا .

ومنها : أنها توجب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلا منافق
ظاهر النفاق .

ومنها : رؤية النبي ﷺ في المنام ، وإن أكثر منها ففي اليقظة .
ومنها : أنها تقلل من اغتياب صاحبها ، وهي من أبرك الأعمال
وأفضلها وأكثرها نفعاً في الدنيا والآخرة ، وغير ذلك من الأجرور
التي لا تحصى .

وقال الفاسى فى « شرح الدلائل » بعد قول المصنف : « وهى من أهم المهمات لمن ي يريد القرب من رب الأرباب » : وجه أهمية الصلاة على النبي ﷺ فى حق من ي يريد القرب من مولاه من وجوه : منها : ما فيها من التوسل إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه ، وقد قال الله تعالى : « وابتغوا إليه الوسيلة » ولا وسيلة إليه تعالى أعظم من رسوله الأكرم ﷺ .

ومنها : أن الله تعالى أمرنا بها وحضرنا عليها تشريفاً له ﷺ ، وتكريراً ، وتفضيلاً ، ووعد من استعملها حسن المآب ، والفوز بجزيل الثواب ، فهى من أنجح الأعمال ، وأرجح الأقوال ، وأزكى الأحوال وأحظى القربات ، وأعم البركات ، وبها يتوصل إلى رضا الرحمن ، وتنال السعادة والرضوان وبها تظهر البركات ، وتجاب الدعوات ، ويرتقى إلى أعلى الدرجات ، ويُجبر صدوع القلوب ، ويعفى عن عظيم الذنوب . وأوحى الله تعالى إلى موسى (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) : يا موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسواس قلبك إلى قلبك ، ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك ؟ قال : نعم يا رب ، قال : فأكثر الصلاة على محمد ﷺ .

ومنها : أنه ﷺ محظوظ محبوب لله عز وجل ، عظيم القدر عند الله ، وقد

صلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاوة والتسليم عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فوجبت محبة المحبوب والتقرب إلى الله تعالى بمحبته وتعظيمه،
والصلاحة عليه والاقتداء بصلاته تعالى وصلاة ملائكته عليه .

ومنها : ما ورد في فضلها والوعد عليها من جزيل الأجر،
وعظيم الذكر ، وفوز مستعملها برضاء الله تعالى وقضاء حوائج
آخرته ودنياه .

ومنها : ما فيها من شكر الواسطة في نعم الله علينا ، المأمور
بشكريه ، فما من نعمة سابقة ولاحقة من الإيجاد والإمداد في الدنيا
والآخرة إلا وهو السبب في وصولها إلينا وإجرائها علينا ، فنعمته
بِسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ تَابُعَةٌ لِنَعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى نعم الله لا يحصرها عدد .

كما قال سبحانه : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فوجب
حقه بِسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ علينا . ووجب علينا في شكر نعمته أن لا نفتر عن
الصلاحة عليه مع دخول كل نفس وخروجه .

ومنها : ما جرب من تأثيرها والنفع بها في التنوير ورفع الهمة
حتى قيل : إنها تكفى عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه ^(١) .

(١) هذا محمول على افتراض عدم وجود الشيخ المربى وإلا فلا تخلو الأرض من قائم الله بحججة
ومن صدق في الطلب جمعه الله بأهل الأدب ، وعلى هذا فمعنى كفاية الصلاة على رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عن الشيخ هو تلطيف أنوار الذكر لأن الذكر إذا أكثر فيه العبد يكون له نور يحرق أوصاف البشرية
ويحدث اهتزازاً في القلب فتكون الصلاة ملطفة للمزاج في مقام الشيخ المربى الذي يسهر على
رعاية حال المريد بالمراقبة فيأمره بالذكر تارة ويأمره بتركه تارة أخرى ثم يعود وهذا إلى أن يستأنس
ويتعود (انظر شرح الصاوي على الصلوات لسيدي أحمد الدردري رضى الله عنه) ص ١٩ [مطبعة
صبيح].

ومنها : ما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله ففى الصلاة على رسول الله ﷺ ذكر الله ورسوله ، ولا كذلك عكسه ، ثم قال : وفي كتاب ابن فردون القرطبي : واعلم أن فى الصلاة على النبي ﷺ عشر كرامات :

إحداهن : صلاة الملك الجبار .

والثانية : شفاعة النبي المختار .

والثالثة : الاقتداء بالملائكة الأبرار .

والرابعة : مخالفة المنافقين والكفار .

والخامسة : محو الخطايا والأوزار .

والسادسة : العون على قضاء الحوائج والأوطار .

والسبعين : تنوير الظواهر والأسرار .

والثامنة : النجاة من دار البوار .

والحادية عشر : دخول دار القرار

والعاشرة : سلام الرحيم الغفار .

وفي كتاب « حدائق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار » : الحديقة الخامسة في الثمرات التي يجتنيها العبد بالصلاحة على رسول الله ﷺ والفوائد التي يكسبها ويقتنيها :

الأولى : امثال أمر الله بالصلاة عليه ﷺ .

الثانية : موافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه بِحَمْدِهِ وَبِسْمِهِ .

الثالثة : موافقة الملائكة في الصلاة عليه بِحَمْدِهِ وَبِسْمِهِ .

الرابعة : حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلى عليه بِحَمْدِهِ صلاة واحدة .

الخامسة : أن يرفع له عشر درجات .

السادسة : يكتب له عشر حسنات .

السابعة : يمحى عنه عشر سียئات .

الثامنة : ترجى إجابة دعوته .

التاسعة : أنها سبب لشفاعته بِحَمْدِهِ .

العاشرة : أنها سبب غفران الذنوب وستر العيوب .

الحادية عشر : أنها سبب لكافية العبد ما أهمه .

الثانية عشر : أنها سبب لقرب العبد منه بِحَمْدِهِ .

الثالثة عشر : أنها تقوم مقام الصدقة .

الرابعة عشر : أنها سبب لقضاء الحوائج .

الخامسة عشر : أنها سبب لصلاة الله وملائكته على المصلى .

ال السادسة عشر : أنها سبب زكاة المصلى والطهارة له .

السابعة عشر : أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته .

الثامنة عشر : أنها سبب للنجاة من أهوال القيامة .

النinth عشر : أنها سبب لرده عَلَيْهِ الْكَلَمُ على المصلى عليه .

الموفية عشرين : أنها سبب لتذكر ما نسيه المصلى عليه عَلَيْهِ الْكَلَمُ .

الإحدى والعشرون : أنها سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود على أهله حسراً يوم القيامة .

الثانية والعشرون : أنها سبب لنفسي الفقر عن المصلى عليه عَلَيْهِ الْكَلَمُ .

الثالثة والعشرون : أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلي عليه عند ذكره عَلَيْهِ الْكَلَمُ .

الرابعة والعشرون : نجاته من دعائه عليه برغم أنفه إذا تركها عند ذكره عَلَيْهِ الْكَلَمُ .

الخامسة والعشرون : أنها تأتي صاحبها على طريق الجنة وتحطىء بتاركها عن طريقها .

السادسة والعشرون : أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله ورسوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ .

السابعة والعشرون : أنها سبب الكلام الذي ابتدأه بحمد الله والصلاه على رسوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ .

الثامنة والعشرون : أنها سبب لفوز العبد بالجواز على الصراط .

النinthة والعشرون : أنه يخرج العبد عن الجفاء بالصلوة عليه

عَلَيْهِ الْمُصَلَّى

الموفية ثلاثة : أنها سبب لإلقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلى عليه عَلَيْهِ الْمُصَلَّى بين السماء والأرض .

الإحدى والثلاثون : أنها سبب رحمة الله عز وجل .

الثانية والثلاثون : أنها سبب البركة .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوار محبته عَلَيْهِ الْمُصَلَّى وزيادتها وتضاعفها وذلك من عقود الإيمان الذي لا تتم إلا به^(١) .

الرابعة والثلاثون : أنها سبب لمحبة الرسول عَلَيْهِ الْمُصَلَّى للمصلى عليه

عَلَيْهِ الْمُصَلَّى

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه .

السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض المصلى عليه عَلَيْهِ الْمُصَلَّى وذكره عندئذ عَلَيْهِ الْمُصَلَّى .

السابعة والثلاثون : أنها سبب لثبتت القدم على الصراط .

(١) إشارة إلى حديث : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» وفي رواية : «ومن نفسه التي بين جنبيه» متفق عليه .

الثامنة والثلاثون : تأدية الصلاة عليه لأقل القليل من حقه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وشكر نعمة الله التي أنعم بها علينا .

الحادية والثلاثون : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة
إحسانه .

الموفية أربعين : إن الصلاة عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من العبد دعاء وسؤال من
ربه عز وجل ، فتارة يدعوه لنبهه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وتارة ل نفسه ، ولا يخفى ما فى
هذا من المزيد للعبد .

الإحدى والأربعون : من أعظم الثمرات وأجل الفوائد
المكتسبات بالصلاحة عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ انطباع صورته الكريمة في النفس .

الثانية والأربعون : أن الإكثار من الصلاة عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقوم مقام
الشيخ المربى ^(١) . ا . ه .

(١) سبق الكلام عن ذلك .

تمنى رؤية النبي

صلى الله عليه وآلـه وسلم

جاء في الهمزة :

ليته خصي برؤية وجهه * زال عن كل من رأه العناء

فانتقده بعض الجهلة ، فقلت هذا كلام مؤيد بالحديث المرفوع
 الصحيح المتصل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عليه السلام : «
 ول يأتي على أحدكم زمان ، لأن يرانى أحباب إليه من أن يكون له
 مثل أهله وماليه ». رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب
 علامات النبوة (نسخة الفتح ٦٠٤ / ٦).

القناعة بالقليل فى سبيل الجوار

وجدت بخط والدى (رحمه الله) فى بعض أوراقه .

لقرص شعير تافه غير صالح
 بغير إدام والذى يعلم النجوى مع الفقر فى دار الحبيب محمد
 الذى على قلبي من الممن والسلوى على أننى فيها على كل حالة
 بتيسير مولانا الكريم كما أهوى

غيرة الإمام البصیری

قال الإمام البصيري في شأن الحضرة المحمدية ومدحه لها
 وغيرته عليها .

إن لى غيرة وقد زاحمتني في معانى مدحك الشعرا
وقال النبهانى مبيناً أن المقام لا يقتضى الغيرة وهو من همزيته
المشهورة المذكورة في المجموعة ٣٨٤١١.

لم يزاحم مداحك البعض بـ ضاً أنت بحر والمادحون دلاء

بین النبهانی وابن عبید اللہ

روى لنا الوالد (رحمه الله) أن النبهانى قال فى النعلين
الكريمتين :

علي رأس هذا الكون نعل محمد

سمت فجميع الخلق تحت ظلاله

لدى العرش موسى نودي اخلع وأحمد

إلى العرش لم يؤمر بخلع نعاله

فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا السَّيْدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَافَ مُفْتَى
حَضْرَمُوتَ لَمْ يَعْجِبْهُ ذَلِكَ فَرْدٌ بِقُولَهُ :

يقولون : إن المصطفى ليلة الستّ

إلى العرش لم يؤمر بخلع نعاله

وهذا محل عندنا في مقام من

تواضعه لله أسلني خلاله

قال : ولكن السقاف رأى النبي ﷺ فـى النوم وهو يشير إلى باب الصلاة فـى النعال ، فلما استيقظ استنبط منها أن المصلى يناجى ربه وذلك جائز فـى حالة لبسه لنعاله فلا مانع من أن يكون ﷺ فـى حال المناجاة كان بنعاله لأن الحال واحد .



فأنت بباب الله^(١)

للقطب الكبير سيدنا محمد بن أبي الحسن البكري المصري : وهي مجربة لقضاء الحاجات ، تقرأ في آخر الليل بعد ما تيسر من الصلاة ، ويكرر بيت : « عجل بإذهاب الذي أشتكي » ٧٣ مرة .

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل في ملكوت الله أو ملكه من كل ما يختص أو يشمل إلاؤطه المصطفى عبده نبيه مختاره المرسل واسطة فيها وأصل لها يعلم هذا كل من يعقل فلذبه في كل ما ترجي فإنه المأمن والمعقل وحط أحمال الرجال عنده فإنه المرجع والم Howell وأناده إن أزمـة أنشبت أظفارها واستحکم المعضل يا أكرم الخلق على ربه وخـير من فيهم به يسأل قد مسني الـکرب وكم مرة فـبالـذى خـصـكـ بـینـ الـورـى فـعـجلـ بـإـذـهـابـ الذـىـ أـشـتـكـىـ فـحـيـلـتـىـ ضـاقـتـ وـصـبـرـىـ انـقـضـىـ

ولـستـ أـدـرـىـ ماـ الذـىـ أـفـعـلـ ؟

(١) هنا من قبيل التشبيه البليغ حيث حذفت فيه الأداة ووجه الشبه ووقع المشبه به خبراً عن المشبه فالنبي ﷺ كالباب حيث يتوصّل بهديه ومحبته واتباعه إلى معرفة الله والفوز برضاه ، قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويفغر لكم ذنوبكم .. الآية ، وقال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله .. » الآية .

(٢) التعليق على ما يثار من اعترافات حول أبيات القصيدة =

لشدة أقوى ولا أحمل
أتاب من غيرك لا يدخل
زهراً الروابي نسمةً شمال
وطاب منه الند والمندل
ساجعةً أملودها مخضل

ولن ترى أعجز مني فما
فأنت بباب الله أى أمرىء
عليك صلى الله ما صافحت
مسلمًا ما فاح عطر الحمى
والآل والأصحاب ما غردت

= أولًا عنوان القصيدة : « فأنت باب الله » .

نعم هو ﷺ باب الله فلا دخول على حضرة الحق إلا ب بواسطته ﷺ ، أخرج ابن حميد وابن عوانة : يقول الله سبحانه وتعالى في حديثه القدسى : « وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق واستفتحوا من كل باب ما فتحت لهم حتى پدخلوا من طريقك » فلا طريق توصل العباد إلى الله إلا طريقه ﷺ ولا باب يفتح لهم إلا بابه ﷺ ، وهو ﷺ السر الرحمانى السارى في العالم كلها كما يشير إلى هذا قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وهو ﷺ واسطة الخيرات والبركات والإمدادات كما يشير إليه صاحب النظم بقوله : « واسطة فيها وأصل لها » .

= ثانياً : معنى الواسطة .

العطاء كله من الله الكريم الوهاب ولا مانع أن يكون بواسطته ﷺ كما جاء في الصحيح : « إنما أنا قاسم والله معط » فالله سبحانه وتعالى يجري الخيرات على يديه فليس معنى الواسطة - كما يفهم الجهلة - عبادة النبي ﷺ ليقرب من فعل ذلك إلى الله زلفى ، ويقولون : لا واسطة بين العبد وربه ، والله أقرب إلى عبده من جبل الوريد ، فهذا مما لا ينبغي الزجع حوله . وبقى أن نقول لهم : أليس رسول الله ﷺ هو واسطة بين الله وخلقه في تبليغ رسالته إليهم ؟ أليس هو واسطة بين الله وخلقه في الشفاعة العظمى يوم يشتند الكرب ؟ فلماذا لا يكون واسطة في العطاء الإلهي والوجود الربانى ؟ إن المتأمل في قوله تعالى : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » وفي الآية التي سبقتها في السورة نفسها : « وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله » فلماذا عطف الله سبحانه معه رسوله ﷺ عند ذكر الفضل والعطاء ؟

ثالثاً : قول الناظم : ولذبه في كل ما ترجى فإنه المأمن والمعقل .

= إنَّهُمْ أَعْذَبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَاجِزُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِشَخْصِهِ وَشَرْعِهِ وَشَفَاعَتْهُ أَلْمَ يَقْلُ
سَبْحَانَهُ : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مَعْذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ؟ أَلْمَ
يَقْلُ سَبْحَانَهُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا
اللَّهُ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾ ؟ فَكِيفَ لَا يَكُونُ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ وَالْمُلَادُ﴾ ؟

رابعاً : قول الناظم :

عجل بياذهب الذى أشتكتى فإن تووقف فمن ذا أسأل ؟

هنا شبهة تعترض للكثير من الناس ، وهى كيف يسأل ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ وينادى عند النوازل والشدائد
في الدنيا والآخرة مع أنه ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ هو القائل : إذا سألت فأسأله وإذا استعن فاستعن بالله ...
الخ ؟ فإن ظاهر هذا الحديث أنه لا سؤال ولا استعانت إلا بالله والجواب على هذا - كما ذكره
الشيخ محمد حسنين مخلوف في المطالب القدسية - بأن ما كتبه الله للعبد أولاً : إما أن
يكون مقدراً وصوله إليه منه تعالى مباشرة ، سواء كان معلقاً بدعاوى العبد الله أولاً ، وإما أن
يكون مقدراً وصوله إليه بواسطة مخلوق يسخره الله له ، سواء كان معلقاً بسؤال المخلوق أو
الاستعانت به أولاً ... ثم قال بعد ذلك : ويحمل حديث ابن عباس على أن من سأله مخلوقاً
أو استعان به فعليه أن يعتقد أن الحق سبحانه وتعالى هو المسئول حقيقة المستعان به وهو
الفعال لما يريد المقدر للأمور الممسخر للأسباب ، اهـ فعلى هذا يكون سؤاله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ على
سبيل المجاز ومن باب الأخذ بالأسباب والمسئول حقيقة هو الله .
ومما يدل على هذا المجاز قول الأعرابي الذي سبق ذكره .

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

والذى يقطع النزاع فى هذه المسألة ما جاء فى قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْأَهْبَابِ
لَكَ غَلَامًا زَكِيًّا﴾ وفي هذا نرى أن جبريل عليه السلام أنسد الهبة إلى نفسه مع أن الواهب
حقيقة هو الله وهذا من المجاز العقلى الشائع استعماله في اللغة ، وإذا كان سؤاله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ونداؤه
شركأً أو كفراً فكيف علم الصحابي الجليل في حديث التوسل أن يقول : «يا محمد إنى
أتوجه بك إلى ربى في حاجتى هذه»؟ الحديث وسيأتي الكلام عليه فيما بعد .

وكيف يأتي بلال بن الحارث المزنى إلى قبره الشريف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ عام الرمادة في عهد عمر بن
الخطاب رضى الله عنه - ويقول : يا رسول الله استنسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ؟
وهو ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ صاحب الشفاعة العظمى الذي يتوجه إليه الناس جميعاً يوم القيمة ويسألونه
الشفاعة فيشفع لهم . =

= وفي صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب (رضي الله عنه) قال : كنت أبكيت مع رسول الله فآتنيه بوضوءه وحاجته فقال لي : سلني ، فقلت : أسألك مرفاقتك في الجنة قال : أو غير ذاك ؟ قلت هو ذاك : - الحديث فهل بعد هذا تبني شبهة لمفترض ؟

خامساً : القاعدة : أن من طلب من مخلوق شيئاً هو قادر عليه فلا شك في جواز طلبه ، وعلى هذا نقول : هل النبي ﷺ قادر على تفريح الكربلات والكلدانات - كما طلب النظام في القصيدة [١] بنفسه أم يليذر الله ؟ فإن قلت بنفسه فلا يجوز وإن قلت بإذن الله وهو الثابت في الكتاب والسنة والعقل - فلا شك في جواز ذلك ومنه سؤال قنادة له [٢] رد عينه كما في الحديث الصحيح . والله أعلم .

تقبيل اليدين احتراماً وتقديرًا^(١)

قال فضيلة الشيخ محمد نور سيف في قضية تقبيل اليدين :

يديه مع رجليه حين أقبلوا
عليه قبلاهما وأسلما
والآل والصحب ومن له انتمى
يرويه عنهم جماهير الخلف
فمدعيعها الآن يلقم الحجر
أراد أن يعرف ما جاء في السنن
ووفد عبد القيس منه قبلوا
كذا اليهوديان لما قدموا
صلى عليه ربنا وسلموا
ولم يزل ذلك من فعل السلف
وبالخصوصية لم يرد أثر
نظمها ابن أخت خالتى لمن

(١) هذا وللعلامة الشيخ الغمارى (رحمه الله) رسالة في جواز التقبيل تسمى : « إعلام النبيل بجواز التقبيل » وذكر الشيخ الشنقطي عن ابن بطال قوله : اختلقو في تقبيل اليدين فكرهه مالك إذا كان على وجه التكبر والتعظيم ، وأما إذا كان على وجه القربة إلى الله تعالى لدینه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز .

وقال النووي : تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه أو علمه أو شرفه أو صياتته أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره ، بل يستحب ، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكرهه شديد الكراهة ولا يجوز ، وما يدل على جواز تقبيل اليدين ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أنهم لما رجعوا من الغزو حيث فروا قالوا : نحن الفارون ، قال : لا بل أنتم العكارون وأنتم المؤمنين ، قال : فقبلنا يده ، وما أخرجه البيهقي في الدلائل : أن أبا لبابة قبل يد رسول الله ﷺ حين تاب الله عليه .

وأيضاً ما ثبت عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قبل يد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حين أخذ بركاته وقال له : هكذا أمرنا أن نفعل بالآيات بيت نبينا ﷺ كما قال له ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فضل القبر الشرييف على الكون

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواءا
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت ركي مأواها
نقل القاضي عياض (رحمه الله) في شرح مسلم الإجماع على أن
محل قبر المصطفى عليه السلام أفضل البقاع الأرضية حتى الكعبة .

السرور بالمولد النبوى

جاء في البخاري أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم اثنين بسب
عترته لثوبية جاريته لما بشرته بولادة المصطفى عليه السلام (انظر البخاري
كتاب النكاح باب «وأمها تكم اللات أرضعنكم ويحرم من
الرضاعة ما يحرم من النسب»).

قلت : ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين بن ناصر
الدمشقي :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه	ببنت يدها في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائمًا	يغسل عنه للسرور بأحمد
فما لظن بالعبد الذي كان عمره	بأحمد مسروراً ومات موحداً

رثاء

قالت صفية بنت عبد المطلب ترثى رسول الله ﷺ :

وكنت بنا برأً ولم تك جافيا
وكنت رحيمًا هادئاً وتعلماً
لبيك عليك اليوم من كان باكيها
صدقت وبلغت الرسالة صادقاً
ومت صليب العود أبلغ صافيها
فدى لرسول الله أمي وخالتى
وعمى وخالي ونفسى وماليا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده
ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد
واما خفت من بعد النبي مطاويها
فلو أن رب الناس أبقى نبينا
سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية
وأدخلت جنات من العدن راضيا
أفاطم صلى الله ربُّ محمد
على جدث أمسى بطيبة ثاويا

صفية بنت عبد المطلب أو أروى (استيعاب - طبقات) .

فذو العرش محمود وهذا محمد

قال حسان في الديوان :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا ما قال في الخمس المؤذن : أشهد
وشق له من اسمه ليجعله فذو العرش محمود وهذا محمد

نبى أتانا بعد يأس وفترة
 من الرسل والأوثان فى الأرض تعبدُ
 فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً
 يلوح كما لاح الصقيل المهند
 فأنذرنا ناراً وبشر جنةَ
 وعلمنا الإسلام فالله نحمدُ

النبى ﷺ هو ركناً وملادناً وعصمتنا

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

و ملاد متنجع وجار مجاور	يا ركن معتمد وعصمة لا يذر
فحياه بالخلق الزكي الظاهر	يا من تخيره الإله لحقه
يا من يوجد كفيض بحر زاخر	أنت النبى وخير عصبة آدم
مدد لنصرك من عزيز قادر	ميکال معك وجبraelيل كل اهما

(الإصابة والروض الأنف - «غزوة بدرا»)

تسبيح الطعام فى كفه

صلى الله عليه وآله وسلم

جاء فى مولد البرزنجى (رحمه الله) أن الطعام والحسبيء سمحت فى كفه وَكَفَى ، وقد انقدت على من قرأ ذلك وقلت له : الأولى أن يقال : أنه سمع تسبيح الطعام والحسبيء فى بطن كفه ، أما مجرد التسبيح فليس بذى بال عندي ، فجلال المعجزة عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل » رواه البخارى فى كتاب المناقب - باب علامات النبوة ، نسخة الفتح .

ان



توصيل

قد أتينا إلى حماك السنى
واتجهنا إلى الحمى بانكسار
وحططنا الرحال فى باب عز
ورمينا الأثقال فى خير فى

ثم قال :

يا ملاذ الورى وخير عيان
لك وجهى وجهت يا أبيض الو
حاش الله أن أكون مضاقا
وأتيت الحمى بظن جميل
كيف لا أبلغ المرام وأنت الـ
ما جوابى إذا رجعت ، وقالوا
افتراض الرجوع لى مثلما جئت
قد توصلت عند بابك بالصد
وبفاروقك الضجيج الذى قد
وبعثمان ذى الحياة شهيد الدا
وبيعسوبك الإمام على

هذه القصيدة للإمام العارف بالله الشيخ عمر الياقون الخلوتى - المتوفى سنة

. ١٢٣٣ هـ.



على أي شيء كانوا يؤذنون في العهد النبوى

اختلف أهل النقل : هل كانوا يؤذنون بين يدي النبي ﷺ أو على منار ؟ .

والذى نقله أصحابنا المالكية : أنه على المنار ، نقله عبد الرحمن بن القاسم فى « المجموعة » وفى « المرقاة » عن ابن قاسim عن مالك أن الأذان فى زمانه عليه السلام كان على المنارة - وفي المدخل لأبي عبد الله بن الحاج : السنة فى أذان الجمعة إذا صعد الإمام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار ، كذلك كان فى عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، ا . ه .



التبرك بعضا النبى

صلى الله عليه وآلـه وسلم

وفي « جمع الجواجمع » عازياً للبيهقي وابن عساكر عن محمد ابن سيرين ، عن أنس بن مالك : أنه كان عنده عصبية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمات فدفنت معه بين جنبيه وقميصه ^(١) .

(انظر ص ١٠ من الجزء السابع من كنز العمال) .

(١) لا شك أن التبرك بذات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشاره مشروع لما ورد في ذلك من الأخبار والأحاديث الصحيحة وما ثبت عن أصحابه رضي الله عنهم أنهم كانوا يتبركون بأثاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه ، من حديث صلح الحديبية وفيه : « ... فوالله ما تنخر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلدته ... وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه ... » الخ .

ومنها ما فعله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حين طلب شراء بردة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كعب ابن زهير ، فقال : لا أؤثر بثوب رسول الله أحداً فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألفاً ، ولما حضره الموت أوصى أن يকفن فيها ، وكان عنده قلامة أظفار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأوصى أن تسحق وأن تجعل في عينيه ، [كتاب الاشارات إلى أماكن الزيارات للحوراني] فكل هذا ، يدل على أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاته وما انفصل من جسده من شعر وعرق ولباس ، وما استعمله من الأوانى يجوز التبرك به وطلب الشفاء به ، ويرجى بسببه الفائدة فى الدنيا والآخرة .

حكم وفوائد من شق صدره الشريف

صلى الله عليه وآله وسلم

الفائدة الأولى : قال العلامة ابن المنير : وشق الصدر له عَزَّلَهُ اللَّهُ وصبره عليه من جنس ما ابتلى الله تعالى به الذبيح وصبر عليه بل هذا أشق وأجل لأن تلك معاريض ، وهذه حقيقة وأيضاً فقد تكرر ووقع له وهو صغير يتيم بعيد عن أهله عَزَّلَهُ اللَّهُ .

الفائدة الثانية : سئل شيخ الإسلام أبو الحسن السبكي (رحمه الله تعالى) عن العلقة السوداء التي أخرجت من قلبه عَزَّلَهُ اللَّهُ حين شق فؤاده ، وقول الملك : هذا حظ الشيطان منك ، فأجاب (رحمه الله تعالى) : بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت من قلبه عَزَّلَهُ اللَّهُ فلم يبق فيه مكان لأن يلقى الشيطان فيه شيئاً .

هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ ، وأما الذي نفاه الملك فهو أمر في الجبلة البشرية فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب ، قيل له : فلم خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها ؟ فقال : إنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلق تكملاً للخلق الإنساني ، ولابد منه ، ونزعه كرامة ربانية طرأت .

وقال غيره : لو خلق الله نبيه ﷺ كذلك لم يكن للأدميين اطلاع على حقيقته ﷺ فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا كمال باطنهم كما برز لهم مكمل الظاهر ﷺ .

الفائدة الثالثة : قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : الحكمة في شق صدره ﷺ مع القدرة على أن يمتليء قلبه إيماناً وحكمة من غير شق صدره ﷺ الزيادة في قوة اليقين لأنه أعطى برأيته شق صدره وعدم تأثيره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان ﷺ أشجع الناس حالاً ومقالاً ، ولذلك وصفه الله بقوله تعالى : « ما زاع البصر وما طغى » .

الفائدة الرابعة : في الحكمة في تكرره ، قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) بعد أن ذكر الأولى والثالثة والرابعة : وكل من الثلاث حكمة ، فال الأولى كانت في زمن الطفولة لينشاً على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عندبعث زيادة في إكرامه لتلقى ما يلقى إليه بقلب قوى في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهّب للمناجاة .

قال الحافظ الشامي : قلت : وسئلت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره إياها في كتاب التوحيد جازماً بها : ويحتمل أن يقال : لما كان التمييز في ثامن سن التكليف شق صدره ﷺ وقدس ، حتى لا يتلبّس بشيء مما يعاب على الرجال ، والله أعلم .

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) : ويحتمل أن تكون

الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة
الثالثة ، كما هي شرعاً بِعِلَّةٍ .

وقال ابن أبي جمرة (رحمه الله تعالى) : وإنما غسل قلبه ،
وقد كان مقدساً وقابلًا لما يلقى فيه من الخير ، وقد غسل أولاً وهو
صغير السن ، وأخرجت منه العلقة إعظاماً وتأهباً لما يلقى هناك «
يعنى في المعراج » وقد جرت الحكمة بذلك في غير موضع ، مثل
الوضوء للصلوة لمن كان هناك متوضأً ، لأن الوضوء في حقه إنما
هو إعظام وتأهاب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته ، ولذلك
الزيادة على الواحدة والثنتين إذا أسبغ بالأولى ، لأن الإجزاء قد
حصل ، وبقى ما بعد الإسباغ إلى الثالث : إعظاماً ، وكذلك
غسل الباطن هنا .

وقد قال تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى
القلوب » فكان الغسل له بِعِلَّةٍ من هذا القبيل ، وإشارة لأمته
بالفعل بتعظيم الشعائر كما نص لهم عليه بالقول .

وقال البرهان النعماني (رحمه الله تعالى) : قد حسن لداخل
الحرم الشريف الغسل ، فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة ،
فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك ، وهو ظاهر الكائنات
أن يط الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ، ولما كانت
الحضرة الشريفة من عالم الملائكة وهو باطن الكائنات ، أن يط
الغسل باطن البدن في الحقائق . وقد عرج به للتعرض عليه

الصلاه ، وليصلی بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاه
الظهور ، فقدس ظاهراً وباطناً عَزَلَهُ اللَّهُ .

فإن قلت : إن الله خلقه نوراً متنقلأً من الأنبياء ، وفي صفاء
النور ما يغنى عن التطهير الحسى ، ثم إن المرة الأولى لم تكن
كافيه فى تطهير الباطن ، ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شيء
يحتاج إلى ذلك ، وهو منه عنه أدران البشرية ، قلت : الأولى ،
لعلم اليقين ، والثانية لعين اليقين ، والثالثة لحق اليقين .

الفائدة الخامسة : قال السهيلي : وخص الذهب لكونه
مناسباً للمعنى الذى قصد به ، وإن نظرت إلى لفظ الذهب ،
فمطابق للذهب وإن الله تعالى أراد أن يذهب عنه الرجس ويظهره
تطهيراً عَزَلَهُ اللَّهُ وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى
شيء وأصفاه .

الفائدة السادسة : يؤخذ من غسل قلبه عَزَلَهُ اللَّهُ بماء زرم زرم أنه أفضل
المياه وبه جزم الإمام البليقينى قال ابن أبي جمرة : إنما لم يغسل
بماء الجنة لما اجتمع فى زرم من كون أصل مائها من الجنة ثم
استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته عَزَلَهُ اللَّهُ فى الأرض .

وقال غيره : لما كان ماء زرم أصل من أوتيه إسماعيل عَزَلَهُ اللَّهُ وقد
ربى عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة
المباركة ناسب أن يكون ولده الصادق المصدق كذلك ، ولما فيه

من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده ، فإنه قد صارت الولاية إليه في الفتح ، فجعل السقاية للعباس ولده وحجابة البيت لعثمان بن أبي شيبة وعقبه إلى يوم القيمة .

الفائدة السابعة : الحكمة في غسل صدره بماء الثلج والبرد - هي مع ما فيها من الشفاء وعدم التكدر بالأجزاء الترابية التي هي محل للأرجاس وعنصر الأكدار - الإيماء إلى أن الوقت يصفوه للأمته ، ويروق لشرعيته الغراء وسته والإشارة إلى ثلوج صدره (أى انشاره) بالنصر على أعدائه والظفر بهم ، والإيدان ببرودة قلبه (أى طمأننته) على أمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيئاتهم .

وقال ابن دحية : إنما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به من ثلج اليقين إلى قلبه ، وقد كان يُعَذِّلُهُ يقول بين التكبير والقراءة : « اللهم اغسلني من خطایا بالثلج والبرد » وأراد تعالى أن يغسل قلبه بماء حمل من الجنة في طست من ذهب ممتليء حكمة وإيماناً ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلواتها فيكون في الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق إلى الجنة أححرص ، ولأنه كان له أعداء يتقولون عليه فأراد الله تعالى أن ينفي عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقارات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ، ويفارقه الضيق .

كما قال تعالى : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون »

فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث إذا ضرب أو شبع رأسه أو كسرت رباعيته — كما في يوم أحد — يقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

الفائدة الثامنة : اختلف في تفسير الحكمة ، فقيل : إنها العلم المشتمل على معرفة الله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس ، وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك .

قال الإمام النووي : هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة : انتهى . وقد تطلق الحكمة على القرآن ، وهو مشتمل على ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك ، وقد تطلق على العلم فقط ، وعلى المعرفة فقط ، ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : أصح ما قيل فيها : أنها وضع الشيء في محله أو الفهم في كتاب الله تعالى » وعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لا توجد ، وعلى الأول قد يتلازمان لأن الإيمان تدل عليه الحكمة .



خطبة عمر بن الخطاب لما سمع بوفاة الحبيب

صلى الله عليه وآلـه وسلم

روى أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سُمعَ بعد موت
رسول الله ﷺ يبكي ويقول :

«بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد كان جذع تخطب الناس
عليه ، فلما كثر الناس اتخذت منبراً لتسمعهم ، فحن الجذع
لفارقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك أولى بالحنين
إليك لما فارقتهم .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن
جعل طاعتك طاعته ، فقال عز وجل : «من يطع الرسول فقد
أطاع الله» .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . لقد بلغ من فضيلتك عنده أن
أخبرك بالغفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى : «عفا الله
عنك لم أذنت لهم » .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك
آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم ، فقال عز وجل : «وإذ أخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم . . . » الآية .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل

النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك ، وهم بين أطباقها يعذبون ،
يقولون : « يا ليتنا أطعنا الله وأطعننا الرسولا » .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه
الله حجراً تتفجر منه الأنهر ، فماذا بأعجب من أصابعك حين
نبع الماء منها ﷺ !

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله
الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، فماذا بأعجب من البراق حين
سررت عليه إلى السماء السابعة ، ثم صليت الصبح من ليتك
بالأبشع ﷺ !

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله
إحياء الموتى ، فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك
وهي مشوية ، فقالت لك الذراع : لا تأكلنى فإنى مسمومة .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال :
« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً » ولو دعوت علينا
بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطى ظهرك وأدمى وجهك وكسرت
رباعيتك فأبكيت أن تقول إلا خيراً ، قلت : « اللهم اغفر لقومي
فإنهم لا يعلمون » .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد اتبعتك في قلة سنيك

وقصر عمرك مالم يتبع نوحًا في كثرة سنيه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل .

بأبى أنت وأمي يا رسول الله ، لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ما جالستنا ، ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك ما نحكت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ما واكلتنا فلقد « والله » جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ، ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك على الأرض ، ولعقت أصابعك تواضعًا منك صلى الله عليك وسلم .

قلت : ذكر هذه الخطبة الإمام الغزالى ، وابن الحاج فى المدخل ولم يعزها واحد منهم إلى أحد^(١) .

(١) قال الحافظ العراقي في تخریج أحادیث الإحياء : هذا الحديث غريب بطوله وهو معروف من أوجه أخرى فحدث حنين الجذع متفق عليه وكذلك نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام وحديث الأسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح ، وحديث كلام الشاة المسمومة رواه أبو داود ، وحديث : دمى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه ، وحديث اللهم اغفر لقومي . . . الخ رواه البيهقي في دلائل النبوة ، وحديث لبس الصوف رواه الطیالسى من حديث سهل ، وحديث رکوبه الحمار وإرداقه خلفه متفق عليه ، وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد والبخارى في حديث أنس : ما أكل رسول الله عليه السلام على خوان فقط ، وحديث لعقة أصابعه رواه مسلم . انظر هامش الإحياء ج ١ ص ٣٦٨ .

معنى قوله عليه الصلاة والسلام

أنت أعلم بأمور دنياكم

قال الشيخ ابن المبارك في الإبريز ، يسأل شيخه الإمام سيدى عبد العزيز الدباغ :

سألته (رضي الله عنه) عن حديث تأبير النخل - الذي هو في صحيح مسلم ، حيث مر عليهم وهم يؤبرون النخل - فقال عليه الصلاة والسلام : ما هذا؟ فقالوا : بهذا تصلح يا رسول الله . فقال عليه السلام : لو لم تفعلوا لصلحت ، فلم يؤبروها ، فجاءت شيئاً غير صالحة ، فلما رأها عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال : ما بال هذه التمر هكذا؟ قالوا : يا رسول الله قلت لنا كذا وكذا ، فقال عليه السلام : أنت أعلم بدنياكم .

فقال (رضي الله عنه) : قوله عليه السلام : لو لم تفعلوا لصلحت ، كلام حق وقول صدق ، وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين ، بأنه تعالى هو الفاعل بالإطلاق ، وذلك الجزم مبني على مشاهدة سريان فعله تعالى فيسائر الممكناًت مباشرة بلا واسطة ولا سبب بحيث إنه لا تسكن ذرة ولا تتحرك شعرة ولا يتحقق قلب ولا يضرب عرق ولا تطرف عين ولا يومئ صاحب إلا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة . وهذا أمر يشاهده النبي عليه السلام كما يشاهد غيره من سائر المحسوسات ، ولا يغيب

ذلك عن نظره لا في اليقظة ولا في المنام لأنه بِعَذَابِهِ لا ينام قلبه (الذى فيه هذه المشاهدة) ولاشك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الأسباب من نظره ، ويترقى عن الإيمان بالغيب إلى الشهود والعيان فعنده في قوله تبارك وتعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ، مشاهدة دائمة لا تغيب ويقين يناسب هذه المشاهدة ، وهو أن يجزم بمعنى الآية جزما لا يخطر معه بالبال نسبة الفعل إلى غيره تعالى ، ولو كان هذا الخاطر قدر رأس نملة . ولاشك أن الجزم الذي يكون على هذه الصفة تخرق به العوائد وتنفعل به الأشياء ، وهو سر الله تعالى الذي لا يبقى معه سبب ولا واسطة ، فصاحب هذا المقام إذا أشار إلى سقوط الأسباب ونسبة الفعل إلى رب الأرباب ، كان قوله حقا وكلامه صدقا . وأما صاحب الإيمان بالغيب فليس عنده في قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » مشاهدة بل إنما يشاهد نسبة الأفعال إلى من ظهرت على يده ولا يجذبه إلى معنى الآية . ونسبة الفعل إليه تعالى بالإيمان الذي وله الله تعالى له ، فعنده جاذبان : أحدهما من ربه ، وهو الإيمان الذي يجذبه إلى الحق ، وثانيهما من طبعه ، وهو مشاهدة الفعل من الغير الذي يجذبه إلى الباطل ، فهو بين هذين الأمرين دائما ، لكن تارة يقوى الجاذب الإيمانى ، فتجده يستحضر معنى الآية السابقة ساعة وساعتين ، وتارة يقوى الجاذب الطبيعي فتجده يغفل عن معناها اليوم واليومين .

وفي أوقات الغفلة ينتفي اليقين الخارق للعادة ، فلهذا لم يقع ما أشار إليه النبي ﷺ لأن الصحابة (رضي الله عنهم) فاتتهم اليقين الخارق الذي اشتمل عليه باطنه ﷺ وبحسنه خرج كلامه الحق قوله الصدق ، ولما علم ﷺ العلة في عدم وقوع ما ذكر وعلم أن زوال تلك العلة ليس في طوقيهم (رضي الله عنهم) : أباقاهم على حالتهم ، وقال : «أنتم أعلم بدنياكم» .

قال ابن المبارك (رحمه الله) بعد هذا الكلام ، قلت : فانظر وفقك الله هل سمعت مثل هذا الجواب أو رأيته مسطوراً في كتاب مع إشكال الحديث على الفحول من علماء الأصول؟ (١) .

(١) خلاصة ما يفهم من كلام صاحب الإبريز : أن النبي ﷺ قال لهم ذلك بحسب ما عنده من اليقين والتوكيل على الله فيكون المعنى لو لم تفعلوا (أى متوكلين وموقنين بأنه تعالى هو الفاعل لكل شيء في مقام مشاهدتكم لسريان فعله سبحانه في الأشياء) لصلحت ، فلما علم منهم ﷺ أنهم لا يطيقون هذه الحالة تركهم رحمة بهم وقال : أنتم أعلم بشئون دنياكم ، فيكون كلامه ﷺ خرج مخرج الحق والصدق فحاشاه ﷺ غير ذلك ، وأما قوله : أنتم أعلم بشئون دنياكم فهذا أعلم تفضيل لا مفاضله فيه بين النبي ﷺ وأصحابه وهو بمنزلة ترك العلم بأمور الدنيا إليهم حتى لا يكون في ذلك مشقة عليهم ، وهذا أحسن ما يقال في هذا الحديث تنزيهاً للنبي ﷺ عن الكذب في أقواله وأفعاله فهو ﷺ كما وصفه ربـه : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » والله أعلم .

فائدة [عدد الذين بالوا فى حجر النبى]^(١)

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

بال فى حجر النبى ﷺ صبية نظمها بعضهم ، فقال :

قد بال فى حجر النبى أطفال حسن حسين ، ابن الزبير بالوا
كذا سليمان بن هشام وابن أم قيس ، جاء فى الختام

(اـهـ. موهـبـهـ ذـىـ الـفـضـلـ - بـابـ النـجـاسـةـ)

فائدة (كم سجد الرسول ﷺ للسهو ؟ وهل يسهو النبى ؟)

سجدـ النـبـىـ لـسـهـوـ وـهـ
قلـ شـكـ فـىـ عـدـ الرـكـوعـ
وـأـتـىـ السـلـامـ مـنـ اـثـنـيـنـ
ترـكـ التـشـهـدـ قـائـمـاـ

خـمـسـاـ أـتـتـ مـثـلـ الـقـمـرـ
وـخـامـسـ فـاقـ الـزـهـرـ
كـذـاـ الشـلـاثـ هـىـ الـغـرـرـ
مـنـ رـكـعـتـينـ أـتـىـ الـخـبـرـ

(بـجـيرـمـىـ عـلـىـ الـخـطـيـبـ جـ ٢ـ /ـ صـ ١٠ـ)

(١) عـابـ بـعـضـ الـمـعـاصـرـينـ ذـكـرـ الـمـؤـلـفـ (أـكـرـمـهـ اللـهـ) لـهـذـاـ الـفـائـدـةـ مـدـعـيـاـ أـنـ الـاهـتمـامـ
بـمـثـلـ هـذـهـ الـأـسـورـ لـاـ فـائـدـةـ فـيـ وـهـنـاكـ الـأـوـلـىـ مـنـ ذـلـكـ مـنـ أـمـورـ جـهـادـهـ ﷺـ وـتـرـيـتـهـ لـأـمـتـهـ وـغـيرـهـ
ذـلـكـ ،ـ وـنـقـولـ لـهـ :ـ إـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـفـضـلـ لـمـ يـتـرـكـواـ شـيـئـاـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـالـنـبـىـ ﷺـ وـأـثـارـهـ إـلـاـ ذـكـرـوـهـ
وـبـيـنـوـهـ لـعـلـ أـيـكـونـ هـنـاكـ حـكـمـ مـنـ الـأـحـكـامـ يـتـصـلـ بـذـلـكـ ،ـ وـفـيـ الـحـدـيـثـ الصـحـيـحـ أـنـ رـجـلـاـ
مـنـ الـيـهـودـ :ـ قـالـ لـسـلـمـانـ الـفـارـسـيـ :ـ عـلـمـكـمـ نـبـيـكـمـ كـلـ شـيـءـ حـتـىـ الـخـرـاءـ فـقـالـ :ـ نـعـمـ «ـ الـخـ

فـتـنـبـهـ .ـ اـهـ .ـ

وهل يسهو النبى

(صلى الله عليه وآلہ وسلم)

يا سائلی عن رسول الله کیف سھا

والسھو من کل قلب غافل لاهی

قد غاب عن کل شیء سرہ فسھا

عما سوی الله ، فالتعظیم لله

ا۔ بجیرمی علی الخطیب ج ۲ ص ۱۰۰ ۔

أفضل المياه

وأفضل المياه ماء قد نبع من بين أصابع النبي المتبغ
يليه ماء زرم زرم فالكوثر فنيل مصر فتليه الأنهر

وإنما كان ماء كفه ﷺ أفضل وذلك لوجهين :

الأول : أن الرسول ﷺ أفضل المخلوقات كلها وأجلها على الإطلاق فكل ما خرج منه تابع له في الأفضلية ، ولذا كانوا يتبركون بفضلاه ﷺ .

الثاني : أن هذا الماء حديث عهد بربه وكان الرسول ﷺ يخرج رأسه عند نزول المطر ويقول : « مرحباً بماء حديث عهد بربه » هذا وقد أجمعوا على أن هذا الماء أفضل المياه ، وفي خروج الماء من كفه صلی الله عليه وآلہ وسلم معجزة له ولذا يقول :

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر

فإن في الكف معنى ليس في الحجر

وأما سبب أفضليّة زمزم على الكوثر فلأن الله تعالى اختاره ليلة

الإسراء لغسل قلب حبيبه محمد ﷺ .

اـهـ . تقرير الوالد .

ادخلوها من حيث قال حسان

روى البيهقي عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : لما دخل ﷺ عام الفتح (أي لما أراد الدخول) رأى النساء يلطممن وجوه الخيل فتبسم والتفت إلى أبي بكر (رضي الله عنه) وقال : يا أبو بكر كيف قال حسان ؟ فأنشده قوله :

عدمنا خيلنا إن لم تروها
ثير النقع موعدها كداء
تنازعن الأعنة مسرجات
ويلطمهن بالخُمُر النساء

فقال ﷺ : « ادخلوها من حيث قال حسان » اـهـ .

(انظر السيرة النبوية والأثار المحمدية للسيد زيني دحلان) .

فائدة

الجن الذين استمعوا لقراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وعدد الجن الذين استمعوا
هم سبعة أسماؤهم يا ذاكر
وردان ، والأودس ، ثم الأرجب

[محمد بن عبد الرحمن الأهدل المروعي]

الخمسة الذين نقضوا الصحيفة

وخمسة من السرة نقضوا
صحيفة الظلم ، وأمراً رفضوا
وهم : زهير وهشام العامري
كذاك مطعم وزمعة السرى
كذا أبو البخترى قوم أسد
مخزى أبي جهل الشقى الأنك

اجتمعت قريش وكتبوا صحيفة لمقاطعة بنى هاشم أو
يسلموا النبي ﷺ للقتل ، فدخلت بنو هاشم - الشعب -
ومعهم بنو المطلب ، فحاصرتهم قريش ثم اجتمع خمسة
من عقلاه قريش ، وهم المذكورون آنفًا ، ونقضوها ومن
العجب أن الذين كتبوا الصحيفة خمسة والذين نقضوها

خمسة ويقول في هذا البوصيري :

فديت خمسة الصحيفة بالخم سة إن كان للكرام فداء
فتية بيتو على فعل خير حمد الصبح فعلهم والمساء

(١ . هـ عن والدى عن الشيخ محمد العربى التبانى عن شيخه)

خلاصة مفيدة في الصلاة والسلام على الحبيب

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لخصت في ذلك هذه المواطن مع تقسيمها وترتيبها (الأماكن التي تستحب الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فيها) :

المرور بالمساجد ، ورؤيتها ، ودخولها والخروج منها ، رؤية الكعبة ، فوق الصفا والمروءة ، استلام الحجر ، الملتم ، مسجد الخيف ، عند رؤية المدينة المنورة ، وزيارة قبره وداعمه ورؤيه آثاره ومواطنه وموافقه مثل بدر ، والسفر وركوب الدابة ، وعند الخروج إلى السوق ، ودخول المنزل .

العادات :

الفراغ من الوضوء والتيمم ، والغسل من الجنابة والحيض ، وفي الصلاة (عقبها) ، عند الإقامة ، والتشهد ، والقنوت وعند القيام للتهجد وبعده ، وبعد إجابة المؤذن ، وخطبة الجمعة ، العيدين ، الاستسقاء - الكسوفين - تكبيرات العيددين - عند الفراغ من التلبية ، أول الدعاء - وسطه - آخره - ختم القرآن - وحفظه - كل مجتمع للذكر - التوبة من الذنب .

العادات :

القيام من المجلس - لقاء الإخوان - تفرق القوم - خدر الرجل - العطاس - النسيان - استحسان الشيء - أكل الفجل - نهيق الحمار

- الذبح - البيع - كتابة الوصية - الخطبة للتزويج - قلة النوم - طنين
الأذن - نشر العلم - قراءة الحديث - الإفتاء - الإعطاء - افتتاح كل
كلام .

الأحوال الطارئة من المصائب :

من اتهم وهو بريء - ما يعرض من المحوائج - الطاعون - الغرق -
الفقر - الشدائيد - الهم - الكرب - الجنائز - إدخال الميت القبر .

الأزمات :

يوم الجمعة ، ليتها ، السبت ، الأحد ، الاثنين ، الثلاثاء ،
شهر شعبان ، عشية عرفة . صباحاً ومساءً .

(كل ما ذكر أهـ. من نزهة الناظرين)

انتهى ملخصاً مرتبأً مني ، و (من القول البديع ص ١٧٠)

حول عتاب الله لنبيه

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

قال الشيخ ابن المبارك في الإبريز يسأل شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ :

وقد سأله (رضي الله عنه) عن قوله تعالى : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » كيف عاتب الله نبيه ﷺ وهو سيد العارفين وإمام الأنبياء والمرسلين ؟

فأجابني (رضي الله عنه) بهذا المعنى ، فقال : إنه عليه الصلاة والسلام لما شاوره زيد في طلاق زينب وأمره بإمساكها وتقوى الله في معاشرتها ، وكان يعلم عليه الصلاة والسلام أنها ستتصير إليه وأنخفى ذلك ولم يظهره رجع على نفسه بالعتاب ، وقال في خاطره : « تخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وجعل يعاتب نفسه بهذا في الباطن ، فأظهر الله سبحانه ما في باطنـه عليه الصلاة والسلام وأنزل الوحي به .

قال (رضي الله عنه) : ومن فتح الله عليه وتأمل الكتب السماوية ، وجد فيها نور الكلام القديم ، ونور طبع الحالة التي يكون عليها النبي عند نزول الوحي عليه .

ثم قال رضي الله عنه : وأهل الفتح (رضي الله عنـهم) إذا تعاطـوا تفسير القرآن فيما بينـهم ، لم يكن لهم إلا أسباب النزول ، وليس

المراد بها أسباب النزول التي في علم الظاهر ، بل الأحوال والأنوار
التي تكون عليها ذات النبي ﷺ وقت النزول ، فيسمع منهم في
ذلك ما لا يكيف ، لأنهم يخوضون في البحور التي في باطنه

وهي

ثم قال : وسألته أيضاً عن قوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت
لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلّم الكاذبين » .

فأجابني (رضي الله عنه) بما يقرب من هذا المعنى ، فقال :
إن النبي ﷺ أمره الله تعالى أن يعفو وأن يصفح الصفح الجميل
وأن يعاشر بالتى هي أحسن ويدفع بها حتى قال له تعالى : « ولو
كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر
لهم وشاورهم في الأمر » فكانت هذه عادته صلى الله عليه وآله
وسلم مع الخلق .

فلما جاءه أهل النفاق واستأذنوه في التخلف وذكروا أعداهم
أذن لهم في التخلف ، وهو يعلم نفاقهم للرحمة التي فيه ، ولما
أمره الله به من المعاشرة بالتى هي أحسن ، وغضبه عليها في غير
ما آية ، سلك معهم مسلك الظاهر ، ثم تحدث في باطنه بتنزيل آية
تفضحهم ، وإنما منعه هو من أن يباشر فضيحتهم للرحمة التي
فيه ، ووصية الله له ، فتحدث في باطنه بفضيحتهم على وجه يبين
كونها من الله لا منه ، للحياء الذي فيه ﷺ مثل قوله تعالى : « إن
ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق »

فأحب أن تنزل الآية في صورة العتاب له لتكون أبعد عن التهمة وأدخل في محضر النصيحة وأجزر لهم عن الاستغال بالنفاق مع النبي ﷺ مرة أخرى ، فإن الله تعالى هو وكيله على من ينافقه ، وخصيمه وحججه فتضمنت صورة هذا العتاب مصالح شتى وفي الباطن لا عتاب وإنما ناب الحبيب عن حبيبه في المخاصمة لا غير .

قال (رضي الله عنه) : ولا ينبغي لأحد أن يظن أن النبي ﷺ كان لا يعلم الصادق من الكاذب من المعتذرين وكيف يخفى عليه ذلك ﷺ والمفتوح عليه في هذا الزمان يعلم الصادق من الكاذب منهم في ذلك الزمان ، وأهل الفتح أجمعون ، إنما نالوا ما نالوا بمحبته ﷺ فسقو بمقدار شرة من نوره ﷺ وقد سبق أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فكيف كان علم النبي ﷺ ؟

قاله ابن المبارك (رحمه الله تعالى) قلت : وهذا التقرير في الآية أحسن ما قيل فيها عند تأمل كلام المفسرين .

وقد قال البيضاوى (عفا الله عنك وعنه) : عفا الله عنك ، كنایة عن خطئه ﷺ في الإذن فإن العفو من رواده .

قال شيخ الإسلام زكريا في حاشيته : تبع فيه الزمخشري ، وقال الطيبى : أخطأ الزمخشري في هذه العبارة خطأ فاحشاً ولا أدرى كيف ذهب عنه أن في أمثال هذه الإشارات وهي تقديم العفو -

إشعاراً بتعظيم المخاطب وتقديره وتقدير حرمتة ، وهو كما قال : لأن مثل ذلك لا يقتضى تقدم ذنب ، بل يدل تصديقه على التعظيم ، كما تقول لمن تعظمك : عفا الله عنك ما صنعت في أمر؟ ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامك؟

ولهذا قال التفتازاني : « ما كان ينبغي للمصنف (يعنى الزمخشري) أن يعبر بهذه العبارة الشنيعة بعد ما راعى الله مع رسول الله ﷺ تقديم العفو ، وذكر الإذن المنبيء عن علو المرتبة وقوه التصرف ، وإيراد الكلام فى صورة الاستفهام وإن كان القصد إلى الإنكار على أن قولهم « عفا الله عنك » قد يقال عند ترك الأولى ، والأفضل ، بل فى مقام التمجيل والتعظيم ، مثل : عفا الله عنك ، ما صنعت في أمر؟ ١ . هـ .

وقال الحافظ السيوطي فى حاشيته : تبع فى هذه العبارة السيئة الزمخشري وقد قال صاحب «الانتصار» هو بين أمرين إما أن لا يكون هذا المعنى مراداً فقد أخطأ أو يكون مراداً لكن كنَّ الله عنه إجلالاً ورفعاً لقدرته ﷺ أفلأ تأدب بآداب الله تعالى ، لاسيما فى حق المصطفى ﷺ ؟ ثم نقل كلام الطيبى والتفتازانى ثم قال : وقال القاضى عياض فى الشفاء : هو استفتاح كلام ، بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله ، وقد ألف فى هذا الموضوع راداً على

الزمخشري «الصدر» : حسن بن محمد بن صالح النابلسى «كتاباً سماه «جنة الناظر وجنة المناظر في الانتصار لأبي القاسم الطاهر» عليه السلام ولهذه النكتة وأمثالها ، نهى أهل الدين والورع عن مطالعة الكشاف وإقرائه وقد ألف في ذلك تقي الدين السبكي كتاباً سماه «سبب الانكفار عن إقراء الكشاف» فانظره في تلك الحاشية فقد نقله برمته والله تعالى أعلم .

تعليق حول آيات العتاب للنبي ﷺ

أولاً: النبي ﷺ صرخ القرآن بشرعيته في قوله تعالى : «**فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَوْمَى إِلَيْهِمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**» الآية . وهنا نلاحظ امتياز بشرعيته عليه السلام عن غيره بالوحى فهو بشر يوحى إليه ، والذي نقرره أنه عليه السلام لا يخرج في جميع حالاته عن دائرة الوحي ، فإن اجتهد في أمر من الأمور لم ينزل فيه حكم وجاء اجتهاده عليه السلام- بطبيعة بشرعيته - على غير مراد الوحي جاء إليه الأمر بالتوجيه والإرشاد من قبل الوحي ، وإن كان اجتهاده عليه السلام موافقاً لمراد الوحي أقره الله عليه فيكون عليه السلام في مجموع حالاته مع الوحي الإلهي .

= ثانياً : حكم النبي ﷺ في مسألة لم ينزل فيها وحي أو تصرفه أو قوله أو فعله إذا جاء الوحي بخلافه فلا نسمى هذا معصية أو ذنبًا لأنه لا يتأتى ذلك إلا إذا كان هناك نص خالفه ، أما اجتهاده الممحض ولو لم يؤده إلى مراد الوحي فهو مأجور عليه عليه السلام .

ثالثاً : هذا الاجتهاد الذي أداه إلى حكم جاء الوحي معتاباً له فيه لا ينافي عصمه عليه السلام وإنما الذي ينافيها هو الذنب أو المعصية فذلك يتزنه عنه مقامه عليه السلام وحاشا لنبي ورسول اصطفاه الله سبحانه أن يقع في ذنب أو معصية فالله سبحانه برأه من ذلك : «**وَمَا يُنْطَقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ**» فساعة أن ينطق النبي عليه السلام في حكم أو مسألة لا يمكن أن يكون نطقه عن هوى في نفسه فهو عليه السلام لا ينطق عن الهوى أبداً .

رابعاً : الذين يستدللون لون بلفظ العفو في قوله تعالى : «**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ**» الآية أو بالعتاب في آياته عموماً على وجود المخالفه أو المعصية استدللاهم باطل لما ذكرنا لأن ذلك يمكن أن يحمل على المبالغة في الإرشاد للنبي عليه السلام أو على كمال العناية به أو أن الخطاب له والمقصود أمته عليه السلام فالله سبحانه يخاطب الأمة ويرشدتها ويربيها في شخص نبئها عليه السلام يقول =

= تعالى مبيناً هذا المعنى : «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» ويؤكد هذا ما قاله العلامة الشوكاني في فتح القدير عند تفسير قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبي . . .» الآية : « . . . وليس من لازم التوبة أن يسبق الذنب ممن وقعت منه أوله لأن كل العباد محتاج إلى التوبة والاستغفار».

وقد تكون التوبة منه تعالى على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من باب أنه ترك ما هو الأولى والأليق كما في قوله تعالى : «عفا الله عنك لم أذنت لهم» ويجوز أن يكون ذكر النبي ﷺ لأجل التعريض للمذنبين بأن يجتنبوا الذنوب ويتوبوا عما قد لا يسوء منها» اـ. [فتح القدير جـ ٢ / ٥٧٩ ط دار الحديث].

وقال في تفسيره قوله تعالى : «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» بعد أن ساق أقوال أهل العلم : ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الأولى وسمى ذنباً في حقه ﷺ لجلالة قدره وإن لم يكن ذنباً في حق غيره . اـ جـ ٥ / ٦٤ . خامساً : الحكمة في آيات العتاب .

كتب إلى الشيخ محمد مسعود الرليتني بأن آيات العتاب مغزى وحكمة لا تخفي على الليبي الحصيف ، وهذا يظهر في شيئين :

١ - أسلوب العتاب أكبر دليل على صدق هذا النبي ﷺ المنزل عليه القرآن وأن ما ينطق به من عند الله فهو كان القرآن من عند النبي ﷺ . كما يزعم المبطلون - لما سمح أن يخاطب بمثل هذا الأسلوب .

٢ - لقد رفع الله منزلة نبيه ﷺ وأعلى قدره ومكانته وأعطاه من الفضائل ما لم يكن لأحد سواه ، وحتى لا تضل الأمة وتقول في رسولها ما قالته النصارى في المسيح بن مرريم (عليه السلام) كان هذا الأسلوب القرآني تأكيداً لبشرية الرسول الأعظم ﷺ وإظهاراً لمعنى العبودية لله سبحانه وتعالى ، فيكون ذلك صماماً أمنياً للأمة يعصمها من الغلو ويعندها من الوقوع في مهارى الضلال .

سادساً : حمل بعض العلماء آيات العتاب من ضروب التأويل وبعيد المعنى ما لا تتحمله صراحة اللفظ وذلك أنهم ظنوا أن اجتهاده ﷺ في أمر جاء الوحي معايضاً له فيه ينافي عصمته ﷺ وقد تكلمنا عن ذلك ، والله أعلم .

حقيقة معجزة النبي

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

قال الشيخ أحمد بن المبارك : سمعت سيدى عبد العزيز الدباغ (رضى الله عنه) يقول فى حديث : « ما من نبى إلا وقد أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وما كان الذى أottiته إلاً وحيًا يتلى »^(١) إن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت من جنس ذواتهم وما يتعلق بها ، فمنها ما وهب لهم بعد الكبر ، ومنها ما يتربى مع ذواتهم فى حال صغرهم إلى أن تظهر عليهم حال الكبر .

ومعجزة نبينا ﷺ كانت من الحق سبحانه ، ومن نوره ومشاهدته ومكالمته ، وذلك لقوله ﷺ ذاتاً عقلاً ونفساً وروحًا وسرًا حتى إنه لو أعطيت مشاهدته ﷺ لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يطيقوها ، فلذلك قال : وما كان الذى أottiته إلاً وحيًا يتلى » يعني أن معجزته ليست من جنس معجزاتهم ، ولو كانت معجزاتهم بلغت من الفخامة وضخامة القدر بحيث أنه يؤمن عليها وبسببها جميع البشر ، ومعجزاته ﷺ فوق ذلك كله ، لأنها من الحق سبحانه لا منه ، ثم ضرب (رضى الله عنه) مثلاً بملك كلما تزايد سبحانه عن أبي هريرة رضى الله عنه ، ولفظ البخارى : « ما من الأنبياء إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أottiته وحيًا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة » .

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه ، ولفظ البخارى : « ما من الأنبياء إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أottiته وحيًا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة » .

له ولد أرسله إلى موضع يربى فيه ، ويرسل مع كل واحد حاجة نفيسة مثل ياقوته ليعلم بها ويعرف أنه ولد الملك إلى أن تزايد له ولد فتركه عنده ، وجعل هو يربيه بنفسه ، ويتولى جميع أموره ، فلا يكيف ما يحصل لهذا الولد من كمال المعرفة ، وكمال سريان سر أبيه فيه ، ولا يقاس ما حصل في إخوته من سر الملك بما حصل فيه أبدا . قال (رضي الله عنه) : وقد كان بعض الصحابة يتمنى أن يظهر على النبي ﷺ بعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيلتفت إلى ذلك النبي ﷺ ويرى ما خصه به المولى الكريم ، فيدركه حياء عظيم .

ثم ضرب (رضي الله عنه) مثلاً بالذى مكنه الملك من جميع ملكه وأطلق يده فيه يتصرف كيف شاء ، وجعل بعض أصحابه يتمنى له قرية يتصرف فيها .

تنوع مشاهدات النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

وقال الشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ (رضي الله عنه) :

وسأله (رضي الله عنه) عن قوله ﷺ : «والله لا أجده ما أحملكم عليه ، ولا عندي ما أحملكم عليه» يخاطب الأشعريين ثم حملهم عليه السلام بعد ذلك ، والنبي ﷺ لا يقول إلا الحق ،

ولا يتكلم إلا بالصدق . فقال رضي الله عنه : النبي ﷺ لا يتكلم إلا بالصدق ولا يقول إلا بالحق ، وكلامه ﷺ يخرج على حسب باطنه ومشاهدته ، وهو ﷺ يكون تارة في مشاهدة الذات العلية وفي هذه المشاهدة لذة عظيمة ، لا تكيف ولا تطاق ولا يماثلها شيء في الدنيا ، وهي لذة أهل الجنة ، وتارة يكون في مشاهدة الذات وقوتها وسلطان قهرها ، وفي هذه المشاهدة خوف وانزعاج بسبب مشاهدة القوة وسلطان القدرة ، وفي هاتين المشاهدتين يكون غائباً عن الخلق ، ولا يشاهد منهم أحداً ، «وقد سبق شيء من هذا في حديث» : «ما خفى على جبريل» فراجعه .

وتارة يكون في مشاهدة قوة الذات مع الممكنات فيشاهد القوة سارية في الممكنات وفي هذه المشاهدة تغيب الذات العلية عن الباطن ، وتبقى أفعالها . وفي هذه المشاهدة الثالثة يحصل امثال الشرائع ، وتعليم الخلق ، وإصالهم إلى الحق ، فجميع ما ينطق به النبي ﷺ لا يعدو هذه المشاهدات فتارة يكون على الأولى وتارة على الثانية وتارة على الثالثة ، والحديث المذكور خرج على الثانية ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان غائباً في مشاهدة الذات وقوتها ، وهو غائب عن نفسه فضلاً عن غيره . فلما قالوا له : يا رسول الله : احملنا وصادفوه في هذه المشاهدة قال لهم : والله لا أجد ما أحملكم عليه . . . النع ، وهو كلام حق .

فلما رجع إلى مشاهدة الكائنات وصادف ذلك مجىء الإبل له

جرى على حكم هذه المشاهدة وما تقضيه من اتباع الأوامر والقيام بحق الخلق، فقال : أين الأشعريون ؟ فدعوا فأعطاهم فقالوا : يارسول الله إنك حلفت أن لا تعطينا وقد أعطيتنا فأجابهم عليه السلام بما يقتضي أن حلفه أولاً كان على ما تقضيه تلك المشاهدة (التي كان عليها حيئنـ) فقال : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم (أى إنـى حلفت على أنـى لا أحـملكم ولا عنـى ما أحـملكم عليه وهذا هو الكائن) فإنـ الحامل لكم هو الله لا أنا ، فهو إخباره عنـ كونـه ما قال إلاـ الحق ، ولا تكلـم إلاـ بالصدق ، فقلـت : فـلم كـفرـ عنـ يـمينـه عـلـيـه السـلامـ حـيـئـنـ ؟ حيثـ قالـ : إنـى لا أحـلفـ عـلـى يـمينـ فـأـرـى غـيرـها خـيـراـ مـنـها إـلاـ كـفـرـ عـنـ يـمينـ وـأـتـيـتـ الـذـى هـوـ خـيـرـ» .
قالـ (رضـى اللهـ عـنـهـ) : لمـ يـكـفـرـ النـبـىـ عليـهـ السـلامـ عـنـ يـمينـهـ فـيـ هـذـهـ القـصـةـ ، وـالـذـى ذـكـرـهـ بـعـدـ فـيـ الـحـدـيـثـ إـنـمـاـ هـوـ اـبـتـدـاءـ كـلـامـ وـتـأـسـيـسـ حـكـمـ ، وـإـعـطـاءـ قـاعـدـةـ شـرـعـيـةـ ، وـلـمـ يـصـدـرـ مـنـهـ عليـهـ السـلامـ تـكـفـيرـ فـيـ هـذـهـ القـصـةـ رـأـسـاـ .

قلـتـ : وـإـلـىـ هـذـاـ ذـهـبـ الـأـكـابـرـ مـنـ الـفـحـولـ كـالـحـسـنـ الـبـصـرـيـ وـغـيرـهـ .

فلـلهـ مـاـ أـصـحـ عـرـفـانـ هـذـاـ الشـيـخـ الـعـظـيمـ !! .

أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين

قال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز وهو يسأل شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ : وسألته (رضي الله عنه) عن حديث : «أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين»^(١).

فقال (رضي الله عنه) «العندي المراد بها المعية، والإطعام والسوقى المراد بهما تقوية الله لنبيه ﷺ فقلت : وهل الذات الترابية يكفى فيها ذوق الأنوار، فلا تحتاج معه إلى غذاء؟ فقال (رضي الله عنه) : لا يكفى ذلك فيها، ولو قدّرنا أن رجلاً عمد إلى نبي من الأنبياء فمنعه من الطعام والشراب لمات ذلك النبي، فلابد لهذه الذات الترابية من الأغذية الناشئة عن التراب، ولهذا ترى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأكلون ويشربون ويجهعون ويشبعون والله أعلم.

وسألته (رضي الله تعالى عنه) : هل ولد ﷺ ليلاً – كما ذهب إليه طائفه واستدلوا بحديث عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقافية أنها قالت : شهدت ولادة النبي ﷺ فرأيت البيت (حين وضع) قد امتلاً نوراً، ورأيت النجوم تدنو، حتى

(١) رواه البخارى وأحمد ، وهو متفق عليه من البخارى ومسلم عن أنس ، ورواه البخارى عن ابن عمر ، وعن أبي سعيد ، وعن أبي هريرة وعن عائشة بلفظ «إنى لست مثلكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين» .

ظننت أنها ستقع على» رواه البيهقى وغيره ، وصححوه واستدلوا له بحديث مسلم وغيره ، لكن بعيد الفجر كما فى حديث آخر ، وإن كان ضعيفاً لأن الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وأجابوا عن الحديث السابق بأن النجوم تظهر بعد الفجر ، فلا يدل الحديث السابق على ولادته قبل الفجر ليلاً ، فقال (رضى الله تعالى عنه) وأمدنى بأسرار ذاته الكريمة) : الذى فى الواقع ونفس الأمر : أنه عليه الصلاة والسلام ولد فى آخر الليل (قبل الفجر بمدة) وتأخر خلاص أمه إلى طلوع الفجر ، والمدة التى بين انفصاله وهي من بطن أمه وانفصال الخلاص منها هي ساعة الاستجابة فى الليل ، وردت بها الأحاديث وفخمت أمرها وأشارت بتعظيمها وامتداد حكمها إلى يوم القيمة .

خلاصة مفيدة في الخصائص النبوية

اعتنى العلماء بالخصائص النبوية وألقوها فيها كثيراً من الكتب وأشهرها «الخصائص الكبرى» للحافظ السيوطي، وقد لخصه السيوطي في رسالة موجزة، ونحن نلتقط منه هذه الدرر مع التهذيب، وجملة هذه الخصائص تنحصر في ثمانية أقسام، سنذكرها بعد هذه المقدمة.

اعلم أن جميع الكرامات والخصائص الواقعة في هذا العالم منذ خلق الله تعالى الدنيا لنبينا محمد ﷺ بحكم الأصلة، وإن وقع شيء منها لخواص الخلق، فذلك بحكم التبعية في الإرث له ﷺ ثم اعلم أن كل ما مال إلى تعظيم رسول الله ﷺ لا ينبغي لأحد البحث فيه، ولا المطالبة بدليل خاص فيه، فإن ذلك سوء أدب، فقل ما شئت في رسول الله ﷺ على سبيل المدح ولا حرج، وما ضبط العلماء هذه الخصائص إلا تبنيها على علو مقامه ﷺ على التحجير الواقع على أمته^(١)، وصيانة لغيره أن يدعى ما ليس له.

وقد سب رجل مرةً أبيا بكر (رضي الله تعالى عنه) فهم عمر (رضي الله عنه) أن يضرب عنقه، فقال أبو بكر (رضي الله تعالى عنه) :

إنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ من أمته.

(١) التحجير هو التحديد والتضييق فاعطى صلى الله عليه وآله وسلم من الخصائص ما أخرجه عن هذه الحدود والقيود تبنيها على علو منزلته وارتفاع مكانته حيث أباح له بعض ما حرم عليهم وخصه بمزايا لم تكن لهم.

واعلم أن العلماء (رضي الله تعالى عنهم) قد قسموا الخصائص إلى ثمانية أقسام^(١) ، فلنذكر من كل قسم منها طرفاً صالحًا، فنقول وبالله التوفيق .

(١) أشار المؤلف [أكرمه الله] في كتابه مفاهيم يجب أن تصح إلى أن الخصائص النبوية كثيرة جداً منها ما صح سنته ومنها ما لم يصح ومنها ما هو مختلف فيه بين العلماء إذ يرى بعضهم أنه صحيح ويرى الآخرون خلاف ذلك فهي مسائل خلافية والكلام فيها دائرة بين العلماء من قديم بين الصواب والخطأ والصحة والبطلان . اه [مفاهيم يجب أن تصح ص ١٨٩ ط الرابعة].

ذُكرت هذا من قبل التنبئ إلى ما قد يثار من اعتراض على المؤلف فيما أورده من بعض الخصائص التي اختلف فيها العلماء ومنهم من أنكر ثبوتها وصحتها ، فإن المؤلف اتبع في ذلك طريقة العلماء وتسامحهم في نقل هذه الخصائص ووضح ذلك بقوله : «ولم يزل العلماء يتسامحون في نقل الخصائص النبوية وينظرون إليها على أنها داخلة في فضائل الأفعال ولا تتعلق بالحلال والحرام - إذ هي خاصة برسول الله لا أسوة للامامة فيها . . . ولو اشترطنا في ذلك الصحيح بالمعنى المقصود عليه لما أمكن ذكر شيء من سيرة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها مع أنك تجد كتب الحفاظ مملوءة بالمقطوعات والمراسيل وما أخذ عن الكهان وأشباههم في خصائص رسول الله ﷺ لأن ذلك مما يجوز ذكره في هذا المقام ، ولو رجعنا إلى كتب السلف لوجدنا كثيراً من العجائب والغرائب في ذكر الخصائص ولو توقف الباحث في قبولها على صحة سندها لما صفت له من ذلك إلا نزير يسير ، اه . بتصرف [مفاهيم يجب أن تصح ص ١٨٩ ، ١٩٠].

وهذا وقد أشرنا بقدر الإمكان إلى النصوص التي ثبتت هذه الخصائص وتناولنا بشيء من التعليق الأمور التي قد يثار حولها الكلام ووضحتنا ما يقصد بذلك والله أعلم .

القسم الأول

فيما اختص به في ذاته في الدنيا

صلى الله عليه وآلہ وسلم

خص رسول الله ﷺ بأنه أول النبئين خلقاً، وبتقديم نبوته، وكاننبياً وأدّم بين الماء والطين، وبتقديم أخذ الميثاق عليه، وأنه أول من قال: «بلى» يوم: ألسنت بربكم، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله ﷺ^(١)، وكتابة اسمه الشريف على العرش، وكل سماء، والجنان وما فيها، وسائر ما في الملكوت، وذكر الملائكة له في كل ساعة، وذكر اسمه في الأذان في عهد آدم، وفي الملكوت الأعلى، وأخذ الميثاق على النبيين [آدم فمن بعده] أن يؤمنوا به وينصروه، والت بشير به في الكتب السابقة، ونعته فيها، ونعت أصحابه وخلفائه وأمهاته، وحجب إبليس من السموات لمولده، وشق صدره، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وسائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم، وبأن له ألف اسم، وباشتقاق اسمه من اسم الله تعالى. وبأنه سمي من أسماء الله بنحو سبعين اسمًا وبأنه سمي «أحمد».

(١) هذه خصوصية من جملة خصائصه صلى الله عليه وآلہ وسلم ذكرها كثير من أهل العلم كالحافظ السيوطي في الخصائص (٢ / ٣١٤) وابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثة (١٨٩) والقسطلاني والزرقاني في المواهب اللدنية (١ / ٦٢) وغيرهم، واستدلوا على ذلك بجملة من =

= الأحاديث منها ما أخرجه الحاكم وصححه وأقره السبكي والبلقيني في فتاويه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: «أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ولو لا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» (المستدرك وتلخيصه ٢ / ٦٥١ وشفاء السقام ١٧٣).

فهذا الحديث وغيره يدل على مزيد من التكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس هناك ما يدعو لاثارة الاعتراض والتشرييع على فضيلة المؤلف عند ذكره لهذه الخصوصية فإنه لم يأت بها من نفسه وإنما سار على نهج من سبقوه من أهل العلم الفضلاء.

وهذا هو الحافظ ابن كثير يذكر في البداية والنهاية (١ / ٨١) حديث: «لما اترف آدم الخطيئة . . . » وفيه «ولولا محمد ما خلقتك» ولم يتعقبه بشيء سوى قوله: «قال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف» اهـ والحديث الضعيف يصلح للاستشهاد به في الفضائل. بل إن ابن تيمية قال عن هذا الحديث الذي ذكره ابن كثير: «وهذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة» اهـ (الفتاوى الكبرى ٢ / ١٥١) فهذا ابن تيمية يستشهد بهذا الحديث والذي قبله مما يؤيد أن هذه الأحاديث صالحة للاعتبار والاستشهاد ولن تستوي موضوعة لأن الموضوع والباطل لا يستشهد به عند المحدثين، وأصبح ما يؤخذ من كلام أهل الجرح والتعديل أن حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يصل إلى درجة الوضع، بل قال المحدث الغماري في الرد المحكم المحتين: إن حديثه هذا حسن لغيره.

ومعنى خلق العالم لأجله صلى الله عليه وآله وسلم هو إظهار الفضل الإلهي والنعم الكبيرة والرحمة العظمى فإن ذلك تمثل في شخصه وبعثه ورسالته صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» فلا بد لهذه الرحمة من وجود العالمين فهم مظهر تحققها، فلا حرج إذن أن يقال: إن العالم خلق من أجل تلك الرحمة المتعلقة به، ثم إن المتأمل في قوله تعالى: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميماً» قوله تعالى: «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميماً منه» يدرك أن كل ما في السموات والأرض خلق لأجل البشر وسخر لهم، وإذا كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بحقيقة التورانية [التي سيأتي بيانها في حديث جابر (رضي الله عنه)] هو الواسطة في هذه المزية إذ لولاه لما خلق آدم عليه السلام كما تقدم في الحديث الذي ذكرناه، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم فلا مانع من أن نقول: خلقت الدنيا لأجله صلى الله عليه وآله وسلم والله أعلم.

ولم يسم به أحد قبله وبإطلاق الملائكة له في سفره . وبأنه أرجح الناس عقلاً وبأنه أوتي كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا شطره وبغضه ثلاثة عند ابتداء الوحي^(١) . وبرؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها ، وبانقطاع الكهانة لمبعثه واستراق السمع والرمي بالشهب ، وبإحياء أبويه حتى آمنا به^(٢) ، وبوعده بالعصمة

(١) معنى الغط هو الخنق والغم . وكان ذلك إظهاراً للشدة والجد في الأمر وأن يأخذ الكتاب بقوة وأن يترك الآلة . وأشار بعضهم إلى أن في هذه الغطات إشارة إلى ثلاث شدائيد يبتلي بها وهي ، الأولى : مالقيه هو وأصحابه من شدة الجوع عندما قاطعهم قريش والثانية التهديد بالإبعاد والقتل والثالثة الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ثم كانت له العاقبة والنصر / انظر الروض الأنف للسهيلي ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) قال صاحب القلادة السندينية ، قاضي ثغر الاسكندرية « الشیخ عبد الرحمن الإبیاری » في قلادة المطبوعة الأميرية عام ١٣١٥ هـ مانصه في ص ٣٤ ، ٣٣ .

ظفرت بأ Finch ناطق بالضاد
كأبيه عبد الله لـ الإشهاد
بخلافه فعل الحقـيقـة عـادـي
وكـذاـ الخطـيب رواهـ بـالـإـسـنـادـ
وـهـىـ عـائـشـةـ زـوـجـ النـبـىـ الـهـادـىـ
وابـنـ الـمـنـىـرـ مـهـجـ الـإـرـشـادـ
وكـذاـ شـاهـىـنـ أـبـوـ الـإـمـدـادـ
يـحـىـ الـوـلـاتـىـ : مـفـرـبـ بـلـادـىـ

اهـ

فيكون جملة رواة أحاديث إحياء الأبوين الكريمين ثمانية ، وللحافظ السيوطي رسالة خاصة في ذلك . وقال في الدرر المنتشرة عن حديث إحياء الأبوين الكريمين : أخرجـهـ بـعـضـهـ بـاستـادـ ضـعـيفـ . وقال الزرقاني في شرح المواهب : جعلـاـئـمـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ نـاسـخـاـ لـأـحـادـيـثـ الـوارـدـةـ بـمـاـ يـخـالـفـهـ وـنـصـواـ عـلـىـ أـنـهـ مـتأـخرـ عنها فلا تعارض بينـهـ وبينـهاـ ، وقال الشهابـ ابنـ حـجـرـ فـيـ مـوـلـدـهـ وـفـيـ شـرـحـ الـهـمـزـيـ : إـنـ الـحـدـيـثـ غـيرـ ضـعـيفـ بلـ صـحـحـهـ غـيرـ واحدـ منـ الـحـفـاظـ حتـىـ قـالـ بـعـضـهـ :

أـجيـاهـماـ الـرـبـ الـكـرـيمـ الـبـارـىـ
سلـمـ فـتـلـكـ كـرـامـةـ الـمـخـتـارـ
فـهـوـ الـضـعـيفـ عـنـ الـحـقـيقـةـ عـارـىـ

حملـثـ بـخـيـرـ الـعـالـمـينـ مـحـمـدـ
ولـهـ حـيـاةـ الـجـسـمـ بـعـدـ مـمـاتـهـاـ
وبـذـاكـ قدـ صـحـ الـحـدـيـثـ وـمـنـ يـقـلـ
ولـقـدـ رـوـاهـ الـسـدـارـقـطـنـىـ مـسـنـداـ
عـمـنـ لـهـ آـيـاتـ نـورـ أـشـرـقـتـ
وـكـذـاـ اـبـنـ عـسـاـكـرـ وـالـقـرـطـنـىـ
وـكـذـاـ السـهـيلـىـ مـسـنـداـ فـيـ روـضـهـ
وـرـأـيـتـ هـذـاـ لـلـجـلـيلـ مـحـمـدـ

أـيـقـنـتـ أـنـ أـبـاـ النـبـىـ وـأـمـهـ
حتـىـ لـهـ شـهـادـاـ بـصـدـقـ رـسـالـةـ
هـذـاـ الـحـدـيـثـ وـمـنـ يـقـولـ بـضـعـفـهـ

[انظر حجة الله على العالمين للنهانى ج ١ ص ٤٦٠] .

من الناس وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع ، والعلو إلى قاب قوسين ، وبوطئه مكاناً ما وطئه نبى مرسى ولا ملك مقرب وبإحياء الأنبياء له ، وصلاته إماماً بهم وبالملائكة ، وأطلاعه على الجنة والنار ، ورؤيته من آيات ربه الكبرى ، وحفظه حتى ما زاع البصر وما طغى ، ورؤيته للبارى سبحانه وتعالى مرتين ، وقتال الملائكة معه وسيرهم معه حيث سار يمشون خلف ظهره وبإحياء الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وبأن كتابه معجز ، ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ، ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة ، وجامع لكل شيء ومستغن عن غيره ، وميسر للحفظ ، ونزل منجماً ، وعلى سبعة أحرف ، ومن سبعة أبواب ، وبكل لغة ، ويكتب لقارئه بكل حرف عشر حسناً . وبأنه فضل على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصيلة لم تكن في غيره ، منها :

أنه دعوة وحجة ولم يكن مثل هذا النبي قط ، إنما كان لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها ، فالقرآن العظيم دعوة بمعانيه حجة بالفاظه ، وكفى الدعوة شرفاً أن تكون حجتها معها وكفى الحجة شرفاً أن لا تنفصل الدعوة عنها ، وأعطي عَزَّلَهُ من كنز تحت العرش ولم يعط منه أحد ^(١).

(١) حديث : « أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهانبي قبلى » رواه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان .

وخص بالبسملة والفاتحة وأية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والسبع الطوال والمفصل ، وبأن معجزته مستمرة إلى يوم القيمة وهي القرآن ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها ، وبأنه أكثر الأنبياء معجزات ، وبأنه جمع كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات وفضائل ولم يجمع ذلك لغيره ، بل اختص كُلُّ بنوع ، وأوتى إنشقاق القمر^(١) ، وتسلیم الحجر^(٢) ، وحنین الجذع^(٣) ، ونبع الماء من بين الأصابع^(٤) وبكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته^(٥) . وبأنه خاتم النبيين ، وبعموم الدعوة للناس كافة ، وأرسل إلى الجن بالإجماع ، وبأن الله أقسم بحياته ، وأقسم على رسالته ، وتولى الرد على أعدائه عنه ، وقرن اسمه

(١) أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه ، وقال الخطابي : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يدع لها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطبع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر وقال ابن عبد البر : روى هذا الحديث (يعني حديث انشقاق القمر) جماعة كبيرة من الصحابة وروي ذلك أمثالهم من التابعين ... وأيد بالآية الكريمة وقال ابن السبكي في شرحته لمختصر ابن الحاجب : «الصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما» فلا عبرة إذن بكلام المستشرقين ومن ينكرون هذه المعجزة أو يتأولونها .

(٢) (٤) حديث تسلیم الحجر وحديث حنین الجذع ونبع الماء من الأصابع ، كل ذلك ثابت في كتب السنن والحديث المعتمدة وقد جمع ذلك كله الشيخ النبهاني في كتابه : «حجۃ الله علی العالمین فی معجزات سید المرسلین» .

(٥) وحديث كلام الشجرة وشهادتها بالنبوة لرسول الله ﷺ وإيتانها إليه ، أخرجه الدارمي وأبو يعلى والطبراني والبزار وأبن حبان والبيهقي وأبو نعيم بسنده صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما .

باسمه في كتابه، وفرض على العالم طاعته والتأسى به فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء، ووصفه في كتابه عضو عضواً، ولم يخاطبه باسمه في القرآن، بل بياها النبي، يا أيها الرسول، وحرم على الأمة نداءه باسمه، وخاطبه بالطف مما خاطب به الأنبياء قبله، ولم يُرِه الله تعالى في أمته شيئاً يسُؤوه حتى قبضه بخلاف سائر الأنبياء.

وبأنه حبيب الرحمن، وجمع له بين المحبة والخلة، وبين الكلام والرؤية، وكلمه عند سدرة المتنهى، وكلم موسى بالجبل، وجمع له بين القبلتين والهجرتين، وجمع له بين الحكم بالظاهر والباطن معًا، ونصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه، وأوتى جوامع الكلم وأوتى مفاتيح خزائن الأرض^(١) على فرس أبيض عليه قطيفة من سندس، وكلمه بجميع أصناف الوحي، وهبط إسرافيل عليه ولم يهبط على نبي قبله، وجمع له بين النبوة والسلطان،

(١) أخرجه الشیخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحمل بعضهم هذا المعنى على حقيقته وأن هناك مفاتيح لخزائن الأرض وكنوزها يعلمها الله سبحانه ، ويؤيد هذا ما أخرجه الإمام أحمد وابن حبان وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «أوتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبيق جاءني بها جبريل عليه قطيفة من سندس» .

وبعضهم حمل المعنى على المجاز والمقصود أن كل خير ينزل للأهل الأرض لا يتم إلا بواسطته ﷺ فكان كالوكيل في إعطائه لهم نيابة عنه لأنه حقه فلا يخرج منها شيء إلا على يديه ﷺ وقال الرمخشري : المراد بالخزائن البلاد التي فتحت لأمنه بعده ومنها خزائن كسرى وقيسار .

وأوتى علم كل شيء، حتى الروح، والخمس^(١) التي في آية: «إن الله عنده علم الساعة» الآية ٣٤ لقمان . وبين له في أمر الدجال ما لم يبين لأحد، ووعده بالمغفرة وهو يمشي حيّا صحيحاً فقال تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يقول : ما يؤمّنُ الله تعالى أحداً من خلقه إلا محمداً ﷺ . ورفع ذكره فلا يذكر الله جل جلاله في أذان ولا خطبة ولا تشهد إلا ذكر معه ، وعرض عليه أمته بأسرهم حتى رأهم ، وعرض عليه ما هو كائن إلى يوم القيمة ، بل عرض عليه سائر الأمم ، كما علم آدم أسماء كل شيء ، وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله تعالى ، فهو أفضل من سائر المرسلين ، وجميع الملائكة المقربين ، وكان أفترس العالمين ، وأيد بأربعة وزراء جبريل وميكائيل وأبي بكر وعمر ، وأعطى من أصحابه أربعة عشر نجيباً ، وكل نبي أعطى سبعة وأسلم قرينه^(١) ، وكان أزواجه عوناً له ، وزوجاته وبناته أفضل نساء العالمين ، وثواب أزواجه وعقابهن

(١) فهم البعض من ذلك أن النبي ﷺ قد شارك الحق سبحانه وتعالى في أخص خصائص الألوهية وأنه ﷺ يعلم الغيب الذي استأثر الله به علمه ، ومن هنا جاء الاعتراض والإنكار وتحقيقاً لهذه المسألة وردًا عليهم نقول : إن علم الغيب بالنسبة لله سبحانه وتعالى يكون على وجه الإحاطة بجميع المعلومات بجزئياتها وكلياتها وأحوالها وزمانها ومكانها ، وهذا لا يشاركه فيه أحد لا نبي مرسلاً ولا ملك مقرب قال تعالى : «قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله» .

= ولكن هذا لا يمنع من إطلاع الله سبحانه لهن ارتضى من رسلي على بعض الأمور الغيبة المتعلقة بمسائل جزئية وقد أشار الحق سبحانه إلى هذا بقوله : « عالم الغيب فلا يظهر على غيه أحدا إلا من ارتضى من رسول » الآية .

وقال الإمام ابن حجر الهيثمي في مسألة اطلاع الأنبياء والأولياء على بعض الغيوب : « إنما بذلك يأعلام الله لهم وهذا غير علم الله الذي تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها ما كان منها وما يكون وما يجوز أن يكون ، ليس بضروري ولا كسيبي ولا حادث بخلاف علم سائر الخلق » وقال أيضاً : « إن علم الخلق بجزئيات من الغيب اطلعهم الله عليها فلا يطلق عليهم الغيب إذ لا صفة لهم يقتدون بها على الاستقلال بعلمه . . . وهذا لا يؤدى إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذي تمدح به وتصف به في الأزل وما لا يزال وما ذكرناه في الآية [يعني آية : « قل لا يعلم من في السموات والأرض »] صرحت به النبوة (رحمه الله) في فتاويه فقال : لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله وأما المعجزات والكرامات فياعلام الله لهم علمت » اـ [الفتاوى الحديثية ٣١ طـ الحلبي] [فيض القدير شرح الجامع الصغير . . . ٤٥٨ / ٣] .

وما ذكره المؤلف من أن نبينا ﷺ أتى علم كل شيء حتى الروح والخمس التي في آية « إن الله عنده علم الساعة » فقد نقله السيوطي في الخصائص ٢ / ٣٣٥ : « ذهب بعضهم إلى أنه ﷺ أتى علم الخمس أيضاً وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك » اـ والمراد بقوله : « أتى علم كل شيء » أي مما يمكن للمخلوق علمه روى الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً : « إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيمة كما أنظر إلى ظفرى هذه » وفي الصحيح أنه ﷺ قال : « سلوني عما شئت » فهذا كالنص في بيان علمه ﷺ بالغميقات وأيضاً ما روى عن حذيفة رضي الله عنه « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً سيكون في مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث به » وأما الغميقات الخمس المذكورة في الآية فقد قال بعضهم : إن الله اطلع نبيه ﷺ عليها قبل أن يخرج من الدنيا ولا ينافي هذا ما جاء في حديث « خمس لا يعلمهن إلا الله » فقد ذكروا أن النبي ﷺ قال ذلك قبل أن يطلعه الله عليها ومن نقل اطلاعه ﷺ على هذه الغميقات الخمس الشیخ البارجوری في حاشیته على البردة (٨١) والشیخ الصاوی في حاشیته على تفسیر الجلالین = (٢٤٤ / ٣) .

= وليس في الآية ما يفيد نفي العلم بهذه الخمس عن غير الله فقد قال الإمام الرازى فى تفسيره كلاماً محصله أن نفى العلم بهذه الأمور الخمسة عن غير الله ليس مقصوداً فى الآية ولا وجه لاختصاص هذه الأشياء بالذكر إذ إن علمه تعالى غير مختص بها [ح ٢٥ / ١٤٤] وقال الإمام الألوسى : « ليست المغيبات محصورة فى هذه الخمس وإنما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها . . . ويجوز أن يطلع الله تعالى بعض أصفيائه على إحدى هذه الخمس ويزقه العلم بها فى الجملة وعلمها الخاص به جل وعلا ما كان على وجه الإحاطة والشمول لأحوال كل منها وتفصيله على الوجه الأثم » وقال أيضاً فى شأن العلم بقيام الساعة : « ويجوز أن يكون الله قد اطلع حبيبه عليه الصلاة والسلام على وقت قيامها على وجه كامل لكن لا على وجه يحاكي علمه تعالى به إلا أنه سبحانه أوجب عليه بِكَلِيلٍ كتمه لحكمة ويكون ذلك من خواصه عليه الصلاة والسلام وليس عندي ما يفيد الجزم بذلك » اهـ [روح المعانى ١ / ١١٣ ، ١١٢] .

وجاء في شرح المناوى الكبير على الجامع الصغير عند الكلام على حديث بريدة (الذى أشرنا إليه) [خمس لا يعلمهن إلا الله] : « أى على وجه الإحاطة والشمول كلها وجزئياً فلا ينافيه اطلاع الله بعض خواصه على بعض المغيبات حتى من هذه الخمس لأنها جزئيات معدودة وإنكار المعتزلة لذلك مكابرة » اهـ .

(١) أخرج الإمام مسلم عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى ، ولكن الله أعناني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير » .

مضاعف^(١)، وأصحابه أفضل العالمين إلا النبيين ، ويقاربون عدد الأنبياء ، وكلهم مجتهدون مصيرون ولهذا قال : « أصحابي كالنجوم بأبيهم اقتديتم اهتديتم»^(٢) وأحلت له مكة ساعة من نهار^(٣)، وحرم ما بين لابتي المدينة^(٤)، وتربيتها مؤمنه من العذاب وغبارها يبرء الجذام^(٥)، ويسأل عنه الميت في قبره .

(١) هذا بنص الآية الكريمة من سورة الأحزاب : « يا نساء النبي من يأت منكين بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكين الله ورسوله وتعمل صالحًا نوتها أجرها مرتين وأعتقدنا لها رزقاً كريماً » .

(٢) حديث أصحابي كالنجوم ... الخ قال في كشف الخفا : رواه البيهقي وأسنده дидىلمى عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأبيهم اقتديتم اهتديتم» وقال اللكتوى في إقامة الحجة . إنه روى بطرق متعددة كلها ضعيفة ، كما بسطه العاشر ابن حجر في الكافي الشاف في تحرير أحاديث الكشاف لكن بسبب كثرة الطرق وصل إلى درجة الحسن ولذلك حسنة الصناعى / انظر إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة للإمام عبد الحى اللكتوى تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص ٤٨ ، ٤٩ .

ومن حكم على الحديث بالوضع في جهة المتن لم يصب لأن له معنى صحيحًا إذ يصبح الاقتداء بجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو في وجه صحيح كصدقهم وحسن جهادهم الخ وفي الصحيح ما يشير إلى أن الصحابة رضى الله عنهم بالنسبة للأئمة بمثابة النجوم في السماء .

(٣) حديث : إحلال مكة ساعة من نهار أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) حديث تحريم المدينة أخرجه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيحين .

(٥) أخرجه الحافظ محمد بن محمود بن النجار في الدرة الثمينة في تاريخ المدينة في ذكر فضائلها وما جاء في ترايبيا .

ولما دخل عليه ملك الموت استأذن عليه ، ولم يستأذن على نبى قبله^(١) ، ويحرم نكاح أزواجه من بعده وأمّةً وطئها .

والبقعة التي دفن فيها أفضل من الكعبة ومن العرش ، ويجوز أن يقسم على الله به ، وليس ذلك لأحد ، ولم تر عورته قط ، ولو رآها أحد طمس عيناه ، وبأنه ما من نبى له خاصة نبوة في أمته إلا وفي أمته محمد ﷺ من علمائتها من يقوم في قومه مقام ذلك النبي في أمته ، وينحو منحاه في زمانه ، ولهذا ورد : «علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل»^(٢) وورد «إن العالم في قومه كالنبي في أمته» وسماه الله «عبد الله» ولم يطلقها على أحد سواه وإنما قال : «عبدًا شكورًا» «نعم العبد» وليس في القرآن ولا غيره أمر بالصلوة على غيره ، وأسماؤه توقيفية كأسماء الله تعالى بحكم التبعية ، والله أعلم .

(١) حديث استاذان ملك الموت على النبي ﷺ ذكره السيوطي في الخصائص وقال : أخرجه ابن سعد والبيهقي عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه في حديث طويل وقال في آخره : هذا إسناد مفضل ، وأخرجه الطبراني أيضا .

(٢) حديث علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل ، قال السيوطي في الدرر المتشرة : لا أصل له ، وقال في كشف الخفا : أنكره الشيخ إبراهيم الناجي ... وقال النجم : ومن نقله جازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي وموفق الدين بن قدامة والاستواني والبارزى والياقونى وأشار إلى الأخذ بمعناه التفتازانى وفتح الدين الشهيد وأبو بكر الموصلى والسيوطى في الخصائص ، وقال : وله شواهد ذكرتها في حسن التنبية لما ورد في التشبيه وقد يؤيد أنه الواقع اهـ وليس معناه أن علماء الأمة المحمدية كأنبياء بنى إسرائيل في المنزلة والمكانة كما يفهم البعض ولكن معناه أنهم يقومون بالدعوة والإرشاد والتوجيه في الأمة كما كان أنبياء بنى إسرائيل يفعلون ذلك في أممهم أو أنهم في الكثرة والعدد كأنبياء بنى إسرائيل فإنه كانت تسوهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وليس من شرط التشبيه في اللغة أن يكون وجه الشبه بين طرف التشبيه في كل شيء .

القسم الثاني

فيما اختص به فى شرعه وأمته فى دار الدنيا

اختص بِإِحْلَالِ الْغُنَائِمِ وَجَعْلِ الْأَرْضِ كُلُّهَا مَسْجِدًا ولم يكن للأمم مصلى إلا في البيع والكنائس وبجعل التراب طهوراً وهو التيسم، وبالوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمسح الخف، وبجعل الماء مزيلاً للنجاسة، وأن كثير الماء لا تؤثر فيه النجاسة، والاستنجاء بالجامد، وبالجمع في الاستنجاء بين الماء والحجر، وبمجموع الصلوات الخمس، ولم تجمع لأحد، وبأنهن كفارات لما بينهن، وبالعشاء ولم يصلها أحد، وبالاذان والإقامة، وافتتاح الصلاة بالتكبير، وبالتأمين، وبقول : اللهم ربنا ولك الحمد، وبتحريم الكلام في الصلاة، وباستقبال الكعبة وبالصف في الصلاة كصفوف الملائكة، وبتحية السلام، وهي تحية الملائكة، وأهل الجنة، وباتخاذ يوم الجمعة عيداً له ولأمته، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وبصلاة الجمعة وصلاة الجمعة، وصلاة الليل (على الهيئة المشروعة الآن) وبصلاة العيدين والكسوفين^(١) والاستسقاء والوتر، وبقصر الصلاة في السفر، وبالجمع بين الصلاتين في السفر وفي المطر وفي المرض وبصلاة الخوف ولم تشرع لأحد من الأمم قبلنا، وبصلاة شدة

(١) أى كسوف الشمس وكسوف القمر .

الخوف عند التحاصم القتالي إيماءً وحيثما توجهه ، وبشهر رمضان على هذه الكيفية من الشروط ، وبتصفيـد الملائكة للشـاطـين فيه ، وأن الجنة تزـينـ فيه ، وأن خـلـوفـ فـمـ الصـائـمـينـ أـطـيـبـ منـ رـيحـ المـسـكـ ، وـتـسـغـفـرـ لـهـمـ الـمـلـائـكـةـ حـيـنـ يـفـطـرـونـ ، وـيـغـفـرـ لـأـجـمـعـهـمـ فـىـ آـخـرـ لـيـلـةـ مـنـهـ ، وـبـالـسـحـورـ وـتـعـجـيلـ الـفـطـرـ ، وـبـإـبـاحـةـ الـأـكـلـ وـالـشـرـبـ وـالـجـمـاعـ لـيـلـاـ إـلـىـ الـفـجـرـ ، وـكـانـ مـحـرـمـاـ عـلـىـ مـنـ قـبـلـنـاـ بـعـدـ النـوـمـ . وـبـتـحـرـيمـ الـوـصـالـ فـىـ الصـومـ وـكـانـ مـبـاحـاـ لـمـنـ قـبـلـنـاـ ، وـبـإـبـاحـةـ الـكـلـامـ فـىـ الصـومـ ، وـكـانـ مـحـرـمـاـ عـلـىـ مـنـ قـبـلـنـاـ ، عـكـسـ الـصـلـاـةـ ، وـبـلـيـلـةـ الـقـدـرـ وـبـيـوـمـ عـرـفـةـ وـبـجـعـلـ صـوـمـ عـرـفـةـ كـفـارـةـ سـتـتـيـنـ لـأـنـهـ سـتـتـهـ عـلـىـ اللـهـ (١)ـ ، وـصـوـمـ عـاـشـورـاءـ كـفـارـةـ سـنـةـ (٢)ـ وـاحـدـةـ ، لـأـنـهـ سـنـةـ مـوـسـىـ عـلـىـ السـلـامـ ، وـغـسـلـ الـيـدـيـنـ بـعـدـ الـطـعـامـ بـحـسـتـتـيـنـ لـأـنـهـ شـرـعـهـ وـقـبـلـهـ بـحـسـنـةـ لـأـنـهـ شـرـعـ الـتـوـرـاـةـ ، وـبـالـسـتـغـسـالـ مـنـ الـعـيـنـ (٣)ـ ، وـأـنـهـ يـدـفـعـ ضـرـرـهـاـ ، وـبـالـسـتـرـجـاعـ

(١) أخرج السيوطي في الجامع الصغير حديث : « صوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله وصوم عاشوراء يكفر سنته ماضية . وعزاه لأحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وأبي داود في سنته . »

(٢) جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما : « أن النبي ﷺ قال : العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » وهذا أمر للعائن (الحادس) بالافتراض إذا ما أصاب بعينه إنساناً ما ، وصفة هذا الغسل كما قال الترمذى [زاد المعاد ، عمدة القاري] : يؤمر الرجل العائن بقدح فيدخل كفه فيه ، فيتمضمض ثم يمجح في القدح (أى يرجع ماء المضمضة في القدح) ثم يغسل وجهه في القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى في القدح ، ثم يدخل يده اليمنى =

عند المصيبة^(١)، وبالحوقلة^(٢)، وباللحد^(٣)، وكان لأهل الكتاب الشق ، وبالنحر ، ولهم الذبح ، وبفرق شعر الرأس ، ولهم السدل ، وبصبغ الشعر ، وكانوا لا يغيرون الشيب ، وبتوفير اللحى وقصير السبال ، وكانوا يقتصرن لحاظهم ويوفرون سبالهم ، وكانوا يعانون عن الذكر دون الأنثى ، وشرع ذلك لنا عنهم معاً . وبترك القيام للجنازة^(٤)، ويعجل المغرب والفجر ، وبكرامة اشتتمال الصّماء^(٥) وبكرامة صوم الجمعة منفرداً ، وكان اليهود يصومون يوم

= فيصب على ركبته اليسرى ثم يدخل داخلة إزاره (داخلة إزاره هو طرف إزاره الداخل الذي يلي جسده من الجانب الأيمن) في القدح ، ولا يوضع القدح في الأرض ثم يصب على رأس الرجل المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة (بغترة) فيذهب عنه ما أصابه من ضر بإذن الله تعالى .

(١) هو أن يقول : « إنما الله وإنما إليه راجعون » .

(٢) الحوقلة قوله : لا حول ولا قوّة إلا بالله .

(٣) اللحد في الدفن هو السنة ، وصفته : أن يحفر القبر ثم يحفر في جانب القبلة منه حفيرة فيوضع فيها الميت و يجعل ذلك كالبيت المسقف ، أما الشق : صفتة أن يحفر في وسط القبر حفيرة فيوضع فيها الميت ، أما إذا كانت الأرض رخوة فيخير بين الشق واتخاذ تابوت (أى أن يوضع في اللحد تابوت) وذلك خشية انهيار اللحد عليه فإذا وضع الميت في تابوت أمن ذلك وإذا تعسر أمر اللحد تعين الشق إهـ حاشيه ابن عابدين [فقه حنفي] .

(٤) وردت أحاديث صحيحة في استحباب القيام للجنازة منها حديث البخاري : إذا رأيتم الجنازة فقسموا ... « واختار ذلك النwoi رحمه الله في شرح المذهب ومسلم ، وأحاديث الشافعى والجمهور عن الأحاديث بأن القيام فيها منسوخ ، والله أعلم

(٥) اشتتمال الصّماء : أن يجعل جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم ... والفقهاء يقولون : هو أن يشتمل بشوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فييدو منه فرجه ، فإذا قلت : اشتمل فلان الصّماء كأنك قلت : اشتمل الشملة التي تعرف بهذا الاسم لأن الصّماء ضرب من الاشتتمال .

والأعرابي كان يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعانته الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعانته الأيمن فيعطيهما جميعاً . [مختار الصحاح للرازى] .

عيدهم منفرداً، وبضم تاسوعاء إلى عاشوراء في الصوم، وبالسجود على الجبهة، وكانوا يسجدون على حرف، وكراهة التمبل في الصلاة وكانوا يتميلون، وبكرامة تغميض البصر فيها، والاختصار^(١) والمقام بعدها للدعاء، وقراءة الإمام فيها في المصحف^(٢)، والتعلق فيها بالحجال، وبالأكل يوم العيد قبل الصلاة، وكان أهل الكتاب لا يأكلون يوم عيدهم حتى يصلوا، وبالصلاحة في النعال والخفاف.

قال ابن عمر (رضي الله عنهم) : «كانت بنو إسرائيل إذا قرأت أئمتهم جاوبوهم^(٣)، فكره الله ذلك لهذه الأمة، فقال : «وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا» الآية .

ونهى رسول الله ﷺ رجلاً رأه جالساً في الصلاة معتمداً على يده اليسرى، وقال : إنها صلاة اليهود، وأذن لنساء هذه الأمة في الصلاة في المساجد، ومنعت نساء بنى إسرائيل .

(١) هو وضع اليدين على الخاصرة أثناء الوقوف .

(٢) قراءة الإمام في المصحف تفسد الصلاة عند أبي حنيفة، وعند محمد وأبي يوسف تكون الصلاة تامة مع الكراهة لأنه تشبه بصنيع أهل الكتاب ، ولأن حمل المصحف والنظر فيه وتقليل الأوراق عمل كثير يتنافي مع الخشوع في الصلاة، [الهدایة] وأما عند المالکية فذكر الشيخ خليل في مختصره أنه يكره النظر بالمصحف في الفرض أو أثناء النفل لا أوله .

(٣) روی ابن ماجة في سنته : «إنما جعل الإمام إماماً ليؤتمن به . فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمد فقولوا : ربنا لك الحمد» .

وكان فى شرعهم فسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه، وبالعذبة في العمامة، وهي سيما الملائكة، وبالاتزاز في الأوساط، وبكرابهة السدل^(١)، والطيلسان المقوّر^(٢)، وشد الوسط على القميص الواحد، والقزع^(٣) وبالأشهر الهلالية، وبالوقف، وبالوصية بالثلث عند موتهم، وبالإسراع بالجنازة. وبأن أمته عليها خير الأمم، ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا واشتق لهم اسمان من أسماء الله تعالى «المسلمون والمؤمنون» وسمى دينهم الإسلام، ولم يوصف بهذا إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع عنهم الإصر الذي كان الأمم قبلهم، وأبيح لهم الكنز إذا أدوا زكاته، ولم يجعل عليهم في الدين من

حرج .

وأبيح لهم أكل الإبل والنعام وحمار الوحش، والأوز، والبط وجميع السمك والشحوم، والدم الذي ليس بمسفوح، كالكبش والطحال، والعروق .

ورفع عنهم : المؤاخذة بالخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، وحديث النفس ، وأن من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب سيئة ،

(١) هو إرخاء الثوب إلى الأرض .

(٢) أما الطيلسان المقوّر ، فيقول ابن القيم في زاد المعاد : لم ينقل عنه عليها أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل كان شعاراً لليهود يعرفون به ومن هنا كره لبسه جماعة من السلف والخلف حتى لا يكون هناك تشبه باليهود .

(٣) القزع هو حلق بعض الرأس دون البعض .

بل تكتب حسنة فإن عملها كتبت عشر حسناً إلى سبعمائه ضعف، ووضع عنهم قتل النفس في التوبة، وفقء العين من النظر إلى ما لا يحل، وفرض موضع النجاسة، وربع المال في الزكاة، ونسخ عنهم تحرير الأولاد والتحصر^(١) والرهبانية والسياحة^(٢)، وفي الحديث : «ليس في ديني ترك النساء ولا اللحم ولا اتخاذ الصوامع» .

وكان من عمل من اليهود شغلاً يوم السبت يصلب، ولم يجعل علينا يوم الجمعة مثل ذلك، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يتوضأوا كوضوء الصلاة، وكان من سرق استرق عبداً، ومن قتل نفسه حرمت عليه الجنة، وكان إذا ملك الملك عليهم اشترط عليهم أنهم رقيقه، وأن أموالهم له ما شاء أخذ منها وما شاء ترك.

وشرع لهم نكاح أربع والطلاق ثلاثة، ورخص لهم في نكاح غير ملتهم، وفي نكاح الأمة، وفي مخالطة الحائض سوى الوطء

(١) هو ترك الزواج مع القدرة عليه ومنه قوله تعالى عن سيدنا يحيى عليه السلام : « وسيداً وحصوراً » أى لا يشتته النساء، وهى مدح بالنسبة لسيدنا يحيى ولغيره ذم، أخرج الديلمى عن عطية بن بشر عن النبي ﷺ أنه قال : «لعن الله والملائكة والناس أجمعين على رجل تحصر ولا حصور بعد يحيى بن زكريا» [منتخب الكلن ٦ / ٣٩٦].

(٢) في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في المعرفة عن أنس أن النبي ﷺ قال لعثمان بن مظعون : إنها لم تكتب علينا الرهبانية وإن رهبانية أمنى الجلوس في المساجد انتظاراً للصلوات والمحج والعمره » وأخرج أبو داود عن أبي أمامة : أن رجلاً قال : يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال : سياحة أمنى الجهاد في سبيل الله .

وإتيان المرأة في قبلها على أي هيئة شاؤا، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية، وشرع لهم دفع الصائل^(١)، وكانت بنو إسرائيل كتب عليهم إذا الرجل بسط يده إلى الرجل لا يمتنع منه حتى يقتله أو يدعه.

وحرم عليهم كشف العورة، والنوح على الميت، والتصوير^(٢)، وشرب المسكر وألات الملاهي، ونكاح الأخرين، وأواني الفضة والذهب، والحرير وحل الذهب على رجالهم، والسجود لغير الله، وكان ذلك تحيّة لمن قبلنا، فأعطينا مكانه السلام، وكرهت لهم المحاريب^(٣)، وعصموا من الاجتماع على

(١) الصائل هو الواثب أو الحامل على غيره ليقتله.

(٢) المجتمع على تحريمك من التصوير ما اجتمع فيه خمسة قيود عند أولى العرفان
١ - كون الصورة للإنسان أو الحيوان.

٢ - كونها كاملة لم ي عمل فيها ما يمنع الحياة من النقصان كقطع رأس أو نصف صدر أو تفريق أجزاء.

٣ - كونها في محل يعظم لا في محل يمتهن.

٤ - وجود ظل لها في العيان

٥ - ألا تكون لصغر البنات من النساء، فإن انتفى قيد من هذه الخمسة كانت مما فيه اختلاف العلماء فتركها حيتنة من باب الورع والاحتياط في الدين.

هذا ومن أراد المزيد والبحث عن الأدلة فليطالع كتب المذاهب في ذلك وهناك رسالة جمعت أقوال المذاهب وأدلتها وفصلت الكلام في حكم التصوير بعنوان (إفادة أهل التنوير بما قيل في التصوير) للشيخ حسين الطمائني - راجع مجموع فتاوى ورسائل السيد علوى المالكى الحسنى (والد المؤلف).

(٣) المحاريب غرف مخصوصة كانوا يخذونها لصلواتهم ، ومنه قوله تعالى : «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً» وقوله تعالى : «فخرج على قومه من المحراب» الآية .

الضلالية ، ومن أن يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، ومن أن يدعو عليهم نبيهم بدعة فيهلكوا ، واجتمعهم حجة واختلافهم رحمة^(١) ، وكان اختلاف من قبلهم عذاباً ، والطاعون لهم شهادة ورحمة ، وكان على الأمم عذاباً وما دعوا به استجيب لهم ، ويؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويحجون البيت الحرام ، ولا ينأون عنه أبداً ، ويعجل لهم الثواب في الدنيا مع ادخاره في الآخرة وتباشر الجبال والأشجار بمرورهم عليها لتسبيحهم

(١) ينبغي التنبيه هنا إلى أنه لا اختلاف في أصل الشريعة ولا هي موضوعة على وجود الخلاف فيها أصلاً. بل الخلاف راجع إلى تباين أنظار المكلفين وتفاوت مداركهم. فمن كان من أهل الاجتهاد فاجتهد وأصحاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

أما الرحمة في اختلاف المجتهدين فمعناها السعة بتوسيعة مجال الاجتهاد. فاختلاف الصحابة مثلاً يدل على أنهم رضي الله عنهم اجتهدوا فاختلفوا فيكون ذلك مُسَهلاً على من بعدهم سلوك طريق الاجتهاد الذي لا يأمن فيه المجتهد على نفسه من الخطأ ومن مخالفة غيره.

وعلى هذا وجوب أن لا يفسد الخلاف للود قضية وأن لا يكون سبباً للتنازع الذي نهى الله تعالى عنه وإلا أصبح الخلاف شرّاً.

ولمّا كان الصحابة رضي الله عنهم هم القدوة في فهم الشريعة قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ما يسرني أنّ لي باختلافهم حمر النعم . وقال : ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا . ١- هذا ويرى بعض أهل العلم أن من معانى الرحمة التوسيعة على العامة أن يتبعوا من شاؤوا من أهل العلم بحيث لا يكون المسلم ملزماً باتباع إمام بعينه وهذا ينبغي أن يُقيّد بعدم تبعي الشخص وسقطات العلماء وإلا كان من اتباع الهوى والخروج عن حكم التكليف . والله أعلم . (انظر المواقف للشاطبي وجامع بيان العلم لابن عبد البر)

وتقديسهم، وتفتح أبواب السماء لأعمالهم، وأرواحهم، وتباشر بهم الملائكة، ويصلى عليهم الله وملائكته كما صلى على الأنبياء كما قال تعالى : « هو الذي يصلى عليكم وملائكته »^(١).

ويقبضون على فرشهم وهم شهداء عند الله ، وتوضع المائدة بين أيديهم فما يرفعونها حتى يغفر لهم ، ويلبس أحدهم الشوب فما ينفعه حتى يغفر له ، وصَدِيقُهُمْ أَفْضَلُ الصَّدِيقَيْنَ ، وهم علماء حكماء كادوا لفقيهم أن يكونوا كلهم أنبياء ولا يخافون في الله لومة لائم ، وأذلة على المؤمنين أعزه على الكافرين ، وقُرْبَاتِهِم الصلاة وقربانهم دماءهم ، وسُتُّرُّ على من لم يتقبل عمله منهم ، وكان من قبلهم يفتضح إذا لم تأكل النار قربانه ، وتغفر لهم الذنوب بالاستغفار ، والندم لهم توبة .

وروى أن آدم عليه السلام قال : « إن الله عز وجل أعطى أمة محمد ﷺ أربع كرامات لم يعطنيها : كانت توبتى بمكة ، وأحدهم يتوب في أي مكان كان ، وسلبت ثوابي حين عصيت وهم لا يسلبون ، وفرق بيني وبين زوجتي ، وأخرجت من الجنة » .

وكان بنو إسرائيل إذا أخطأ أحدهم حرم عليه طيب الطعام ، وأصبحت خططيته مكتوبة على باب داره ، ووعدوا أن لا

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣ .

يهلکوا بجوع ، ولا بعدهُ من غيرهم يستأصلهم ولا بغرق ولا يعذبوا
بعذاب عذِّب به من قبلهم ، وإذا شهد اثنان منهم لعبد بخير
وجبت له الجنة .

وكان الأمم السالفة لا يجب لأحد منهم الجنة إلا إن شهد له
مائة وهم أقل الأمم عملاً وأكثراهم أجرًا وأقصرهم أعماراً ، وكان
الرجل من الأمم السالفة أعبد منهم بثلاثين ضعفاً ، وهم خير
منه بثلاثين ضعفاً ، ووهب لهم عند المصيبة الصلاة والرحمة
والهداى^(١) ، وأتوا العلم الأول والعلم الآخر ، وفتح عليهم خزائن
كل شيء حتى العلم ، وأتوا الإسناد والأنساب ، والإعراب ،
وتصنيف الكتب ، وحفظ سنة نبيهم في كل دور حتى ينزل عيسى
ابن مريم عليه السلام ، ومنهم أقطاب ، وأوتاد ، ونجباء وأبدال^(٢) ،

(١) إشارة إلى قوله تعالى : «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» البقرة آية ١٥٧ .

(٢) مبحث في الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال الخ .

هذه هي مراتب أو درجات الأولياء في اصطلاح الصوفية وقد ألف ابن عابدين والسيوطى
وغيرهم رسائل في الكلام عن هذه المراتب وتتكلم عن ذلك ابن حجر المكى في الفتوى
الحديثية ، والسيد محمد نورى النقشبندى في كتابه : «ردود على شبهات السلفية». .
وخلاصة القول نجملها في ما يأتى .

١ - معانى هذه المسميات ٢ - أدلة وجودهم من السنة النبوية ٣ - فائدة وجودهم =

=أولاً : معنى القطب قال الياافعى : سمي القطب قطباً لدورانه في جهات الدنيا الأربع كدوران الفلك في أفق السماء وقد سرت أحواله عن العامة والخاصة ، وهو خليفة الباطن وسيد أهل زمانه سمي قطباً لجمعه المقامات والأحوال دورانها عليه مأخوذه من القطب وهو الحديدة التي تدور عليها الرحي وهو أكمل الناس في مقام الفردية وفي بعض كتب ابن عربى : أن كل من دار عليه مقام من المقامات يسمى قطباً وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة ، ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة لا يكون إلا واحداً وهو الغوث ويجوز أن يجمع الخلافة الظاهرة مع الباطنة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، ومنهم من يحوز الخلافة الباطنة فقط كحال أكثر الأقطاب ، هذا ومكانة القطب من الأولياء كمكانة النقطة في الدائرة التي هي مركزها .

أما الأبدال فسموا بذلك لحديث : كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، وسيأتي ذكره ، وقيل لأنهم أبدلوا أخلاقهم السيئة حتى صارت محسنات أخلاقهم حليمة أعمالهم أو لأنهم خلف عن الأنبياء ، أو لما نقله الشهاب : أنه إذا رحل البطل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح ذلك الموطن الذي رحل عنه الولي فإن ظهر شوق من أناس ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسست لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلمهم وكلمومها وهو غائب عنها ، وقد يكون هذا من غير البطل لكن الفرق أن البطل يرحل وهو يعلم أنه ترك غيره وغير البطل لا يعرف ذلك وإن تركه .

وهم طائفة من أهل المحبة والكشف والمشاهدة والحضور يدعون الناس إلى التوحيد والإسلام ، ورددت الأخبار مختلفة في عددهم وقد علل ذلك ابن حجر بأن تلك الأعداد اصطلاح فقد يكونون في ذلك العدد نظروا إلى مراتب عبروا عنها بالأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والحديث نظر إلى مراتب أخرى والكل متتفقون على وجود تلك الأعداد ورجح ابن حجر بأنهم سبعة وقيل ثلاثة وقيل أربعة عشر وجاء في حديث أبي نعيم في الحلية : أنهم أربعون ، وفي حديث الإمام أحمد : أنهم ثلاثة والأوتاد : جمع وتد بالكسر والفتح لفتان ، وقال ابن عربى : هؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال ، كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نجْعَلُ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجَبَالُ أَوْتَادًا﴾ لأن حكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الأرض فإنه بالجبال يسكن ميل الأرض ، وقال الشهاب المنيني عن المناوى : الأوتاد أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون ، أحدهما =

= يحفظ الله به المشرق والأخر المغرب والأخر الجنوب والأخر الشمال . وذكر ابن حجر: أنهم اتفقوا على أن الإمام الشافعى (رحمه الله) كان من الأوتاد . والنجباء : جمع نجيب قال ابن عربى : وهم ثمانية فى كل زمان ومكان لا يزيدون ولا ينقصون وقيل عددهم سبعون ورتبتهم فوق النقباء ودون الأبدال . والنقباء جمع نقيب قال فى الصحاح : النقيب العريف وهو شاهد القوم وضميرهم وعددهم ثلاثة وثلاثين وقال ابن عربى : اثنا عشر نقيبة . هذا ، وهناك مسميات أخرى مثل الأخيار والعمد والغوث مما اصطلاح عليه القوم أو جاء ذكره فى الأخبار .

ثانياً: أدلة وجودهم من السنة النبوية ، منها ما رواه الطبرانى عن على رضى الله عنه : لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال » . وأخرج الإمام أحمد : الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً يسكنى بهم الغيث ويتصدر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية : « خيار أمتى كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأبدال ، كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه وأدخله فى الأربعين مكانه ، يغضون عن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم » ومنها حديث الإمام أحمد « الأبدال فى هذه الأمة ثلاثة وثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل مكانه رجلاً » (ومعنى على قلب إبراهيم أى على مثل حال قلبه لأنه صبر على البلاء بذبح ولده واحتسب إلى مولاه ورضي بما يرضاه ، وبادر إلى التكاليف بصدق الهمة) . هذا ولا تناقض بين الأحاديث فى ذكر العدد لأن البدل له اطلاقان كما يعلم من الأحاديث .

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود : « أن الله عز وجل فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب آدم والله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى والله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم والله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل والله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل والله فى الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من عامة الخلق فبهم يحيى ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء =

= وقيل لابن مسعود : كيف بهم يحيى ويميت ؟ قال : لأنهم يسألون الله إكثار الأئم ويدعون على الجبارية فيقصمون ويستسقون فيسوقون ، ويسائلون الله فنتبت الأرض ويدعون فيدفع بهم البلاء . ومنها مارواه الحكيم الترمذى عن أبي الدرداء : « أن الأنبياء كانوا أتوا للأرض فلما انقطعت النبوة شكت الأرض إلى الله فأبدل مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ بهم يدفع البلاء عن أهلها ... الخ .

وغير ذلك ما رواه ابن أبي الدنيا والديلمي وابن عدى والخلال وغيرهم .

الكلام على أسانيد الأحاديث الواردة فيه :

طعن ابن الجوزى فى أحاديث الأبدال وحكم بوضعها ، لكن تعقبه السيوطى بأن خبر الأبدال صحيح وإن شئت قلت : متواتر ثم قال : مثل هذا بلغ حد التواتر فيحكم بصحته وقال السخاوى خبر الأبدال له طرقه عن أنس بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة وأحسن ما ورد بهم ما رواه أحمد من حديث شريح بن عبد قال : ذكر أهل الشام عند على وهو بالعراق فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين قال : لا إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : البدلاء يكونون بالشام وهم أربعون كلما مات رجل أبدل الله مكانه الخ رجاله رجال الصحيح إلا شريحاً وهو ثقة اهـ وقال السيوطى : حديث على أخرجه أحمد والطبراني والحاكم من طرق أكثر من عشرة اهـ وقال السخاوى : ومما يقوى الحديث ويدلل لانتشاره بين الأئمة قول الشافعى (رحمة الله) فى بعضهم : كنا نعده من الأبدال ، وقول البخارى فى غيره : كانوا لا يشكرون أنه من الأبدال ، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال .

وقول الإمام أحمد : الأبدال إن لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم ؟ .

وملخص الأمر فى هذا قول الحافظ ابن حجر : أحاديث الأبدال وردت فى عدة أخبار منها ما يصح وبتها ما لا يصح وأما القطب فورد فى بعض الآثار وأما الغوث فالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت .

ثالثاً : أما فائدة وجودهم فقد تكلمت الأحاديث - التي سقناها فى الدلالة على وجودهم - عن ذلك . هذا ، ومن أراد المزيد فعليه بالرسالة التى كتبها ابن عابدين وبما كتبه ابن حجر الهبتمى فى الفتاوى الحديثية ، والشهاب المنينى فى شرح منظومته عن الحافظ السيوطى ، والإمام المناوى وكذا ملا على القارى فى المعدن العدنى فى أويس القرنى ، والنقشبندى فى ردوده على شبهاه السلفية . والله أعلم .

ومنهم من يصلى إماماً بعيسيٍ عليه السلام^(١)، ومنهم من يجري
مجري الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون
الدجال، ويسمع الملائكة أذانهم في السماء، وتلبية لهم، وهم
الحمدادون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون
عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة الأمر: أفعله إن شاء الله، وإذا
غضبوا هللوا وإذا تنازعوا سبحوا وإذا أرادوا أمراً قدموا الاستخارة ثم
فعلوه، وإذا استووا على ظهور دوابهم حمدوا الله تعالى،
ومصاحفهم في صدورهم، وسابقهم سابق، ويدخل الجنة بغير
حساب ومقتضدهم ناج، ويحاسب حساباً يسيراً، وظالمهم
مغفور له، وليس منهم أحد إلا مرحوماً، ويلبسون ألوان ثياب أهل
الجنة، ويراعون الشمس للصلوة وهم أمة وسط [عدول بتزكية الله
عز وجل] وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا وافتراض عليهم ما افترض
على الأنبياء والرسل، وهو: الوضوء والغسل من الجنابة، وكذلك
الحج والجهاد، وأعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء، ونودوا
بها أيها الذين آمنوا، ونودى غيرهم من الأمم في كتبهم ببأيها
المساكين .

(٢) حديث « وإن منكم لمن ليصلى إماماً بعيسيٍ بن مريم » أو ما معناه ورد في
الصحابيين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجة وغيره .

وخطبوا بقوله تعالى : «اذكروني أذركم»^(١) فامرهم أن يذكروه
بغير واسطة ، وخطب بنو إسرائيل بقوله : «اذكروا نعمتى التي
أنعمت عليكم»^(٢) فإنهم لم يعرفوا الله إلا بالآله ، فكانت النعم
موصلة إلى ذكر المنعم ، ولما نزلت : «والسابقون الأولون من
المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم
ورضوا عنه»^(٣) قال رسول الله ﷺ : «هذا لأمتى وليس بعد الرضى
سخط ، وسموا أهل القبلة ، وشهادتهم تجوز على من سواهم ،
وكانت الأمم لا تجوز لهم شهادة على غير ملتهم ، وكان ابن
مسعود (رضي الله عنه) يقول : «لا يحل في هذه الأمة التجريد ،
ولامد ولا غل ، ولا صفد ، يعني : لا تجرد ثيابه ولا يمد عند إقامة
الحدود ، بل يضرب قاعداً وعليه ثوبه .

قال العلماء : وكان بدء الشرائع على التخفيف ، ولا يعرف في
شرع نوح وصالح وإبراهيم تثليل ، ثم جاء موسى عليه السلام
بالتشديد والإثقال ، وتبعه عيسى على نحو ذلك ، وجاءت شريعة
نبينا محمد ﷺ بنسخ تشديد أهل الكتاب ، وفوق تسهيل من كان
قبلهم ، فهي على غاية الاعتدال ، والله أعلم .

(١) سورة البقرة آية ١٥٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

القسم الثالث

فيما اختص به في ذاته في الآخرة

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

اختص بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بأنه أول من تنشق الأرض عنه^(١) ، وأول من يفيق من الصعقة ، وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك ويحشر على البراق ، ويؤذن باسمه في الموقف ، ويكتسى في الموقف أعظم الحل من الجنة ، وبأنه يقوم عن يمين العرش ، وبالمقام المحمود ، وأن بيده لواء الحمد ، وأدَم فمن دونه تحت لواهه ، وأنه إمام النبيين يومئذ ، وقادتهم وخطيبهم ، وأول من يؤذن له في السجود ، وأول من يرفع رأسه ، وأول من ينظر إلى الله تعالى ، وأول شافع وأول مشفع ، ويسأله في حق غيره ، وكل الناس يسألون في أنفسهم ، واختص بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بالشفاعة العظمى في فصل القضاء ، وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وبالشفاعة في إخراج عموم أمهه من النار ، حتى لا يبقى منهم أحد ، وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات .

(١) روى الترمذى عن أنس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعشوا ، وأنا خطيبهم إذا ودوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » .

وروى الترمذى عن أبي هريرة : « أنا أول من تنشق الأرض عنه ، فاكتسحلة من حل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش : ليس أحد من الخلاق قوم ذلك المقام غيري » .

وبالشفاعة في الموقف تخفيفاً عمن يحاسب ، وبالشفاعة فيمن يخلد في النار من الكفار أن يخفف عنه العذاب ، وبالشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا ، وسؤال ربه أن لا يدخل النار أحد من أهل بيته فأعطاه ذلك ، وأنه أول من يجوز على الصراط إلى الجنة وأن له في كل شرة من رأسه ووجهه نوراً ، وليس لأنبياء إلا نوران .

ويؤمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر ابنته على الصراط ^(١) وأنه أول من يقع بباب الجنة ^(٢) وأول من يدخلها ، وبعده فاطمة (رضي الله عنها) . وخاص بالكثير وبالحوض الأعظم ، ولكل نبى حوض ، ولكن حوضه أعرض الحياض ، وأكثرها وارداً ، وخاص بالوسيلة وهى أعلى درجة في الجنة ^(٣) وقوائم منبره رواتب في الجنة ، ومنبره على ترعة من ترع الجنة ، ^(٤) وما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة ^(٥) ، ولا يطلب منه

(١) روى الحاكم والطبراني وأبو نعيم عن على مرفوعاً ، «إذا كان يوم القيمة نادى مناد من وراء الحجب : يا أهل الجمع ، غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر ... رواه الحاكم في المستدرك ٣ / ١٥٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٢) روى الإمام أحمد والتزمي : «أنا أول من يأخذ بحلقة من باب الجنة فأقعدهما» .

(٣) روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع النبي ﷺ يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرات سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تبلغ إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حللت له الشفاعة» .

(٤) لقوله ﷺ : «منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة» رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة .

(٥) ورواه البخاري ومسلم بلفظ «ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة» .

ولا منافاة بين هذه الرواية ورواية : ما بين قبرى ... «فإن قبره ﷺ في بيته .

شهيد على التبليغ ، ويطلب ذلك من سائر الأنبياء ، ويشهد لجميع الأنبياء بالبلاغ ، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيمة إلا سببه ونسبة » (١) .

ويكفى آدم عليه السلام في الجنة به دون سائر ولده ، تكريماً له ، فيقال له : « أبو محمد » ووردت أحاديث في أهل الفترة أنهم يمتحنون يوم القيمة ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ، والظن بأجل بيته كلهم أن يطعوا عند الامتحان لتقرّ بهم عينه عَزَلَ اللَّهُ عَنْهُ (٢) .

(١) روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة إلا سببي ونبي » وهذا الحديث هو السبب في زواج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت سيدنا علي كرم الله وجهه .

(٢) هذا وقد ورد في أهل الفترة أحاديث كثيرة تفيد أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيمة ، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، والمتصحّح منها ثلاثة :

١ - حديث الأسود بن سريع ، أن رسول الله ﷺ قال : أربعة يبحتون يوم القيمة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ورجل مات في الفترة فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحدفونني بالبعير ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول ، فياخذ موائقيهم ليطعنه فيرسل إليهم : أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ومن لم يدخلها فيسحب إليها .

٢ - والثاني : حديث أبي هريرة موقوفاً وهو مثل حديث الأسود ، رواهما الإمام أحمد وإسحق في مستديهما والبيهقي في كتاب الاعتقاد عبد الرزاق بسنده صحيح .

٣ - حديث ثوبان (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيمة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون : ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكننا أطوع عبادك ، فيقول لهم ربهم أرأيتم لو أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيقولون : نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوا ، فينطلقون =

وورد أن درجات الجنة بعد آي القرآن ، وأنه يقال لصاحبها : اقرأ وارق ... الخ^(١) ، فآخر منزلته عند آخر آية يقرؤها ، ولم يرد في سائر الكتب مثل ذلك ، ولا يقرأ في الجنة إلا كتابه عَزَّلَهُ اللَّهُ دون سائر الكتب ، ولا يتكلم في الجنة إلا بلسانه .

وكان عَزَّلَهُ اللَّهُ يقول : أنا أول من يقع بباب الجنة ، فيقوم الخازن فيقول : من أنت ؟ فأقول أنا محمد ، فيقول : أقوم فأفتح لك ، ولم أقم لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعده^(٢) ، والله أعلم .

= حتى إذا دنو منها وجدوا لها تغيفاً وزفيرًا فيرجعون إلى ربهم فيقولون : ربنا أجرنا منها فيقول : ألم ترجموا أنى إن أمرتكم بأمر تعينوني ؟ فياخذ على ذلك موائمهن فيقول : أعمدوا إليها ، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا ، فيقولون : ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها ، فيقول : ادخلوهما ، داخرين ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فلو دخلوها أول مرة ل كانت عليهما برداً وسلاماً ، رواه البزار والحاكم وصححه وأقره الذهبي / انظر سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد جـ ١ .

(١) رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنمسائى وابن حبان والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) انظر الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير جـ ٣ .

(٢) رواه مسلم وأحمد فى مسنده عن أنس (رضى الله عنه) .

القسم الرابع

فيما اختص به فى أمته فى الآخرة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص ﷺ بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض من الأمم ، ويأتون يوم القيمة غرّاً محجلين من آثار الوضوء ، ويكونون في الموقف على كوم عالٍ ولهم نوران كالأنبياء ، وليس لغيرهم إلا نور واحد ، ولهم سيماء في وجوههم من أثر السجود ، وتسعى ذريتهم بين أيديهم ، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويمرون على الصراط كالبرق والريح ، ويسفع محسنهم في مسيئهم ، وعجل عذابهم في الدنيا وفي البرزخ لتوافى القيمة ممحضة ، وتدخل قبورها بذنبها ، وتخرج بلا ذنوب ، محمض عنها باستغفار المؤمنين ، لها ما سعت وما سعى لها ، وليس لمن قبلهم إلا ما سعى .

ويقضى لهم قبل الخلاائق ، ويفغر لهم المقدمات ، وهو أثقل الناس ميزاناً ، ونزلوا منزلة العدول من الحكماء ، يشهدون على الناس أن رسلاهم بلغتهم .

ويعطى كلّ منهم يهودياً أو نصرانياً ، فيقال له : يا مسلم هذا فداؤك من النار ^(١) ، ويدخلون الجنة قبل سائر الأمم ، ويدخل

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى : «إذا كان يوم القيمة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فداؤك من النار» وفي رواية له : «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» اهـ / انظر تحرير العراقي لأحاديث الإحياء جـ ٤ ص ١٥٥ طبعة بيروت .

منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً ، وأطفالهم كلهم في الجنة ، وأهل الجنة مائة وعشرون صفاً ، سائر الأمم أربعون ، وهذه الأمة ثمانون ، ويتجلّى الله عليهم فيرونـه ويسجدونـ له بإجماعـ أهلـ السنـة ، وفي الحديث : « كلـ أمهـ بعضـهاـ فيـ الجـنةـ وبـعـضـاـ فـيـ النـارـ ، إـلاـ هـذـهـ الأـمـةـ فإنـهاـ كـلـهاـ فـيـ الجـنةـ ». والله أعلم .

القسم الخامس

فيما اختص به من الواجبات التي هي تخفيف

على غيره وربما شاركه في بعضها

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

خص عليه السلام بوجوب صلاة الضحى ، والوتر ، والتهجد ، السواك والأضحية ، والمشاورة ، وركعتي الفجر وغسل الجمعة ، وأربع قبل الزوال ، وبالوضوء لكل صلاة ، وكلما أحدث ، ثم نسخ بالسواك وبالاستعاذه ، ومصايرة العدو ، وإن كثر عددهم ، وإذا بارز رجلاً في الحرب لم ينكشف عنه قبل قتله ، وإظهار تغيير المنكر ، وعدم سقوطه عنه بالخوف ، ووجوب الوفاء بوعده ، وقضاء دين من مات من المسلمين معسراً ، وتخير نسائه في فراقه ، و اختياره ، وإمساكهن بعد أن اخترنه ، وعدم التزوج عليهن أو التبدل بهن مكافأة لهن ، ثم نسخ ذلك لتكون المننة له عليه السلام ، وأن يؤدى فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها ، وأن يدفع بالتي هي أحسن ، وكلف من علم السياسة وحده ما كلفه الناس بأجمعهم ، وكلف بمشاهدة الحق مع معاشرة الناس ، وكلف من العمل بما كلف به الناس أجمعون .

وكان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحى ، ولا تسقط عنه الصلاة والصوم وسائر الأحكام وكلف بالاستغفار كل يوم سبعين مرة ،

وكانت جميع نوافله التابعة للفرائض زيادة في الأجر ، لا جبراً لخلل الفرض ، فإنها كلها منه تامة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وخصوصاً بخمسين صلاة في كل يوم ليلة ، على وفق ما كان ليلة الإسراء ، وأورد بعض العلماء الأحاديث في صلاته غير الخمس ، فبلغت مائة ركعة .

وخصوصاً بوجوب إيقاظ النائم وقت الصلاة امثلاً لقوله تعالى :
﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ .

وخصوصاً بوجوب العقيقة ، والإثابة على الهدية ، وأوجب عليه التوكل ، وحرم عليه الإدخار ^(١) وكان يُمَوَّنُ عيال من مات معسراً ويؤدي الجنایات عن لزمه وهو معسر ، وكذلك الكفارات وخصوصاً بوجوب الصبر على ما يكره ، وصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، وخطاب الناس بما يعقلون صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) يحرم عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الإدخار في خاصة نفسه أما بالنسبة لأهله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقد ثبت في الصحيح أنه كان يبيع نخل بنى النضير ويحبس لأهله قوت سنة ، ولأن إعطاء القوت هو من باب إعطاء الحقوق التي هي عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لأهله وفي ذلك عون لهم على الطاعة والقيام بالواجبات .

القسم السادس

فيما اختص به من المحرمات تشريفاً له

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص رسول الله ﷺ بتحريم الزكاة ، والصدقة والكافرة عليه وعلى آله ومواليه إن كان لهم ما يكفيهم وعلى زوجاته بالإجماع ، وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) يقول : « إنما كان حراماً عليه صدقات الأعيان ، دون الصدقات العامة كالمسجد ومياه الآبار » (١)

وخصص بتحريم جعل آله عملاً ، وصرف النذر والكافرة إليهم وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل ، وما خص به تحريم الكتابة والشعر القراءة في الكتاب ، وكان يحرم عليه نزع لأمته (٢) إذا لبسها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه ، وكذلك الأنبياء

(١) صدقات التطوع أو الصدقات العامة تحل لآل بيت النبي ﷺ في الأصل عند الشافعية والحنابلة وأكثر الحنفية وهو الصحيح المشهور عند المالكية ، واستدل للحل بما رواه الشافعى عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان يشرب من سقایات بين مكة والمدينة فقيل له : أتشرب من الصدقات فقال : إنما حرم علينا الصدقة المفروضة .

(٢) لأمته ، هي الدرع والسلاح ان احتاج له ، أما إذا هرب عدوه أو حصل بينهم صلح أو نحو ذلك جاز نزعها وهذا يشعر به قوله بعدها : أو يحكم الله بينه وبين عدوه ، فقد روى الإمام أحمد والبيهقي وحسنه والبخاري وعلقه عن جابر (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال : ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضمهما حتى يقاتل ... الحديث .

كلهم «عليهم الصلاة السلام»، والمن ليستكثر^(١) (أى أن يهدى هدية لثاب بأكثر منها) وخائنة الأعين ، ونكاح الكتابية^(٢) ومد الأعين إلى ما متع به الناس ، وتحريم الإغارة إذا سمع التكبير^(٣) ، وحرم عليه الخمر من أول ما بعث قبل أن يحرم على الناس بنحو عشرين سنة ، ولم يشربه قط ، ولا أبو بكر : لا في جاهلية ولا إسلام ، ونهى عن التعري وكشف العورة قبل مبعثه بخمس سنين .

(١) تحريم المن ليستكثر أى : لا تعطى شيئاً تمن به لتطلب أكثر منه فهذا طمع لا يليق
بمقامه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

(٢) تحريم نكاح الكتابية عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ولوذمية لأن أزواجه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أمهات المؤمنين ولا يجوز أن تكون الكافرة أمههم ، وأيضاً لأنهن زوجات له في الآخرة ومعه في الجنة .

(٣) تحريم الإغارة (أى على الأعداء) إذا سمع التكبير أى الأذان فقد ورد في الصحيحين عن أنس (رضي الله عنه) كان بِسْمِ اللَّهِ إِذَا غَرَّا قَوْمًا لَمْ يَفْزْ حَتَّى يَصْبَحُ وَيَنْظُرْ فَإِذَا سَمِعَ أَذَانًا كَفَ عَنْهُمْ ، وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ أَغَارَ عَلَيْهِمْ .

القسم السابع

فيما اختص به من المباحثات

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص رسول الله ﷺ بإباحة المكث في المسجد جنباً^(١) ، وبجواز صلاة الوتر على السراحلة وقائعاً مع وجوبه عليه ، وبالجهر في القراءة فيه ، وغيره يسر ، وبجواز صلاة الركعة الواحدة بعضها من قيام وبعضها من قعود - عند بعضهم - ، والقبلة في الصوم مع قوة الشهوة لعصمتها ﷺ والوصال ، وقهـرـ من شاء على طعامه وشرابه ولباسه إذا احتاج إلى ذلك ، ويجب على مالك ذلك بذله وإن هلك ، ويفدـ بمـهـجـتهـ مـهـجـةـ رسولـ اللهـ ﷺ وـبـإـبـاحـةـ النـظـرـ إـلـىـ الـأـجـنبـيـاتـ وـالـخـلـوـةـ بـهـنـ وـإـرـادـ فـهـنـ^(٢) ، ونكاح أكثر من أربع نسوة ، وكذلك الأنبياء ، والنـكـاحـ بلاـ مـهـرـ

(١) قال الزرقاني في شرح المawahـبـ : هذا قاله صاحب التلخيص ، ومنـهـ القـفالـ وهوـ المعـتمـدـ ، وقال النـسـوـيـ : ماـقـالـهـ فـيـ التـلـخـيـصـ قـدـ يـعـتـجـحـ لـهـ بـحـدـيـثـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ : يـاـ عـلـىـ لـاـ يـحـلـ لأـحـدـ أـنـ يـجـنـبـ فـيـ هـذـاـ مـسـجـدـ (أـيـ يـمـكـثـ فـيـ هـذـاـ مـسـجـدـ) غـيرـهـ وـغـيرـكـ ، قال التـرمـذـيـ حـسـنـ غـرـيبـ ، وروـيـ الـبـخـارـيـ فـيـ تـارـيـخـهـ : لـاـ يـحـلـ الـمـسـجـدـ لـحـائـضـ وـلـاجـنـبـ إـلـاـ لـمـحـمـدـ وـآلـ بـيـتـهـ وـكـذـاـ روـيـ الـبـيـهـقـيـ وـابـنـ عـاسـكـرـ . هـذـاـ وـمـنـ يـرـاجـعـ شـرـحـ الزـرقـانـيـ عـلـىـ الـمـواـهـبـ يـجـدـ اـخـلـافـ الـعـلـمـاءـ بـشـأنـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ وـتـضـعـيفـهـ وـحـكـمـ الـاحـتـاجـحـ بـهـ ، وـقـدـ غـلـطـ إـمامـ الـحـرـمـينـ صـاحـبـ التـلـخـيـصـ فـيـ الإـبـاحـةـ ، وقال الزـرقـانـيـ : وـاعـلـمـ أـنـ مـعـظـمـ الـمـبـاحـاتـ لـمـ يـفـعـلـهـ النـبـيـ ﷺ وـإـنـ جـازـ لـهـ .

(٢) جواز الخلـوـةـ بـالـأـجـنبـيـاتـ وـالـنـظـرـ إـلـىـهـنـ لـثـبـوتـ عـصـمـتـهـ ﷺ وـهـذـاـ مـاـ أـثـبـتـهـ اـبـنـ حـجـرـ فـيـ فـتـحـ الـبـارـيـ وـقـالـ : إـنـ هـذـاـ مـنـ خـصـائـصـهـ ﷺ وـإـنـ نـازـعـ فـيـ ذـلـكـ القـاضـيـ عـيـاضـ ، وـيـدلـ لـهـ قـصـهـ أـمـ حـرـامـ بـنـتـ مـلـحـانـ وـفـيـهـ أـنـ النـبـيـ ﷺ كـانـ يـدـخـلـ عـلـيـهـاـ وـيـنـامـ عـنـهـاـ وـتـفـلـيـ رـأـسـهـ وـلـمـ يـكـنـ يـتـهـمـاـ مـحـرـمـةـ وـلـاـ زـوـجـيـةـ اـهـ . رـوـاـ الـبـخـارـيـ .

ابتداء وانتهاء ، وبلا ولیٰ ، وبلا شهود^(۱) ، وفي حال الإحرام ، وبغير رضا المرأة ، وإذا رغب في نكاح امرأة حرم على غيره خطبتها بمجرد الرغبة ، وإذا رغب في مزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها^(۲) .

وكان له أن يخطب على خطبة غيره ، وأن يزوج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن ولديها أو يزوجها لنفسه ، وتولى الطرفين^(۳) بغير إذنها ولا إذن ولديها ، وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس ، فقدم على الأقرب ، وقال لأم سلمة مرى ابنك أن يزوجك فزوجها ، وهو يومئذ صغير لم يبلغ ، وزوجه الله تعالى بزينة ، فدخل عليها بتزويع الله تعالى بغير عقد من نفسه ، وكان له أن يستثنى في كلامه بعد حين منفصلاً ، وأن يصطفى من الغنيمة قبل القسمة ما شاء .

(۱) من خصائصه عليه السلام النكاح بغير ولی أو شهود وذلك لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه وإنما اعتبر الولي في حق غيره للمحافظة على الكفاءة وهو عليه السلام فوق الأكفاء واعتبر الشهود لأنهم الجحود وذلك لا يجوز عليه عليه السلام ولو جحدت هي (أي المرأة) تكون كافرة بتكذيبه عليه السلام .

(۲) إذا رغب في مزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها ، لأنه لا يرغب ولا يشتهي إلا ما أذن الله له فيه ، فما تحصل منه رغبه في شيء إلا ويكون قد قدره الله تعالى وألهمه بطريق الوحي أنه حق وما له إليه ، وقال الغزالى : لعل السر في ذلك (أى وجوب التطليق على الزوج) امتحان إيمانه بتکلیف التزول عن أهله فإنه عليه السلام قال : لا يؤمن أحدكم - إيماناً كاملاً - حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين » .

(۳) ويتولى طرف العقد لأنه عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

وكان له أن يشهد لنفسه ولولده ، وأن يقبل شهادة من شهد له ولولده ، وله قبول الهدية بخلاف غيره من الحكام ، وكان له قتل من اتهمه بالزنا من غير بينة ، ولا يجوز ذلك لغيره ، وكان له أن يدعوا لمن شاء بلفظ الصلاة ، وليس لنا إلا أن نصلى على النبي أو ملك وضحى عن أمته ، وليس لأحد أن يضحي عن الغير بغير إذنه ، وله أن يجمع في الضمير بينه وبين الله بخلاف غيره^(١) ، وله قتل من سبه أو هجاه ، وكان يقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها ، وله أن يقطع أرض الجنة من باب أولى صلى الله عليه وأله وسلم .

(١) الجمع في الضمير بينه وبين الله تعالى كما قال العز بن عبد السلام وغيره : إن له الجمع في الضمير بينه وبين ربه كقوله ﷺ : «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وقوله : «ومن يعصها فإنه لا يضر إلا نفسه» وذلك ممتنع في حق غيره لقوله ﷺ للخطيب حين قال : «ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصها فقد غوى : بشن الخطيب أنت قل : «ومن يعص الله ورسوله» قالوا : إنما امتنع من غيره دونه لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية (بين الله ورسوله) بخلافه هو ﷺ فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك .

القسم الثامن

فيما اختص به من الكرامات والفضائل

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص رسول الله بمنصب الصلاة ، وبأنه لا يورث ، وكذلك الأنبياء فلهم أن يوصوا بكل مالهم صدقه ، وكان إذا خرج للغزاة بنفسه يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى : ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخللوا عن رسول الله ﴾ . ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء .

وخصص بتحريم رؤية أشخاص أزواجه وبناته في الأزر ^(١) ، وبحرم كشف وجههن وأكفهم لشهادة أو غيرها ^(٢) ، وسؤالهن مشافهة ، وصلاتهن على ظهور البيوت ، وأنهن أمهات المؤمنين ، ووجوب جلوسهن بعده في البيوت ، وأباح لهن ولآلهم الجلوس في المسجد مع الحيض والجنابة ^(٣) .

(١) (٢) تحريم رؤية أشخاص بناته وأزواجه في الأزر لأن فرض العجب بما اختص به بلا خلاف في الوجه والكافرين فلا يجوز كشف ذلك في شهادة ولا غيرها بل يحرم عليهم إظهار شخصهن وإن كن مستترات بالأزر ونحوها إلا ما دعت إليه ضرورة من خروجهن إلى قضاء حاجة فلا حرمة ، ويستدل لذلك بأن زينب بنت جحش أمرت باتخاذ القبة فوق نعشها لتنستر شخصها وذلك بمحضر الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي صلى عليها ولم ينكر ذلك وفيه أنه يمنع رؤية أشخاصهن ولو بعد الموت .

(٣) سبق الكلام عن ذلك .

وكان تطوعه قاعداً كتطوعه قائماً بلا عذر^(١) ، وكان يجب على المصلى إجابته^(٢) ، وكذلك الأنبياء ، وكان جابر (رضي الله عنه) يقول : ليس على من ضحك في الصلاة وضوء ، إنما وجب على الصحابة لكونهم ضحكوا خلف رسول الله ﷺ ، ويحرم نداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد ، وخاص بطهارة دمه وبوله وسائل فضلاله^(٣) ، بل شرب بوله شفاء^(٤) ومن سبّه قتل ، ومن استهان به كفر ، ومحبته فرض على الأمة ، وكذلك محبة أهل بيته وأصحابه ، ولم تبع امرأة نبىٰ قط ، وأولاد بناته ينسبون إليه . وفي حديث : « إن الله تعالى لم يبعث نبئاً قط إلا جعل ذريته من صلبه ، غيري فإن الله تعالى جعل ذريتي من صلب على »^(٥) . ولا يجوز التزوج على بناته^(٦) ومنع بعض العلماء التزوج على

(١) لما أخرجه الإمام مسلم وأبو داود عن ابن عمر قال : حدثت أن النبي ﷺ قال : « صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة فأنتهت فوجده يصلى جالساً فقلت يا رسول الله حدثت أنك قلت صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة ، وأنت تصلي قاعداً قال : أجل ولكنني لست كأحد منكم ».

(٢) لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » الآية ، قال العلماء : استدل بها على وجوب إجابتة ﷺ إذا نادى أحداً وهو في الصلاة – وعن الشافعى أن هذا لا يبطلها – وبيه القول بالوجوب ما أخرجه الترمذى والنسائى عن أبي هريرة من النبي ﷺ على أبي ابن كعب وهو يصلى فدعاه فجعل في صلاته ثم جاء فقال : ما منعك من إجابتى قال : كنت أصلى قال : ألم تخbir فيما أوحى : « استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » قال : بلى ولا أعود إن شاء الله ... الحديث .

(٣) (٤) يراجع الخصائص الكبرى للإمام السيوطي فقد فصل القول في كل ما يتعلق بذلك .

(٥) رواه الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس .

(٦) عدم التزوج على بناته ﷺ لحديث البخارى وفيه : « إن بنى هاشم استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم على بن أبي طالب ، فاستشاروا النبي ﷺ فقال : لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتى ... الحديث .

ذرية بناته ، وإن سفلن إلى يوم القيامة ، ووجهه ظاهر ، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار ، ولا يجتهد في محارب صلی إلیه لا في يمنة ولا في يسرا ، ويجل منصبه عن الدعاء له بلفظ الرحمة^(١) .

وليس لأحد أن ينقش « محمد رسول الله » على خاتمه ، كما كان خاتمه ﷺ وكان لا يقول في الغضب والرضا إلا حقاً ، ورؤياه حق ، وكذلك الأنبياء .

ولا يجوز على الأنبياء الجنون ولا الإغماء الطويل الزمن ، على أن إغماءهم بخلاف إغماء غيرهم ، كما خالف نومهم نوم غيرهم ، وبالجملة فيجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل نقص ينفر النفوس وكان له ﷺ أن يُخَصَّ من شاء بما شاء من الأحكام ، كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين ، وكما رخص في

(١) قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد إذا ذكر النبي ﷺ أن يقول : رحمة الله ، لأنه قال : من صلی على ، ولم يقل من ترحم على ولا من دعا على وإن كان معنى الصلاة الرحمة ، ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيماً له ﷺ فلا يعدل عنه إلى غيره ، ويفيد قوله تعالى : ﴿ لَا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ قال ابن حجر في (شرح البخاري) وهو بحث حسن .

النياحة لخولة بنت حكيم ^(١) وفي ترك الإحداد لأسماء بنت عميس ^(٢) ، وخصص نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن ، لكونهن غرائب لا مأوى لهن .

(١) ترخيصه عليه السلام في النياحة لأم عطية (نسيبة بنت الحارث الأنبارية) - أو لخولة بنت حكيم - أخرج ذلك الإمام البخاري في كتاب التفسير عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية ، قالت : بايعنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم فلأننا « أَن لَا يُشْرِكَنَّ بِاللهِ شَيْئًا » ونهانا عن النياحة فقضت امرأة يدها وقالت : أُسْعَدْتَنِي فلانة (الاسعد قيام المرأة مع الأخرى في المناحة تراسلها ، أى تساعدها ، وهو خاص بهذا المعنى ولا يستعمل إلا في المساعدة عليها) أريد أن أجزيها مما قال لها النبي صلوات الله عليه وسلم شيئاً فانطلقت ورجعت فباعها . وللنمسائي : اذهبى فأسعدتها وقال الحافظ : التي قضت يدها هي أم عطية .

قال النووي : هذا محمول على الترخيص لأم عطية خاصة وللشارع أن يخص من العموم من يشاء ، وقال الزرقاني (في المawahب) : والظاهر أن النياحة كانت مباحة ثم كرهت تنزيهاً ثم حرمت فيكون الإذن بذلك وقع بيان الجواز مع الكراهة ثم لما تمت مباعة النساء وقع التحريرم وورد الوعيد الشديد . ولا يفهم من هذا الترخيص لأم عطية أنه عليه السلام رخص لها في النياحة على إطلاقها ، فليس كل نياحة فيها ألفاظ السخط والاعتراض على المولى عز وجل ولطم الخدوذ وشق الجيوب فهذا كفر ومحال أن يرخص فيه النبي صلوات الله عليه وسلم لأحد ويحمل أن يكون رخص لها أن تساعدهم لعلمه أنهم لا يأتون مثل هذه الألفاظ أو الأفعال التي فيها سخط واعتراض وإن كان هناك نوع من الكراهة التنزيهية كما لا يخفى وهذه قضية في أمر خاص لا يقاس عليها .

(٢) ترك الإحداد لأسماء بنت عميس الخثعمية التي تزوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر ثم على وولدت لهم وماتت بعد على وهي اخت ميمونة بنت الحارث (أم المؤمنين) لأمها ، أخرج ابن سعد والنمسائي : « لَمَا أُصِيبَ جعفرَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَسْلِي أَى (أَحَدًا) عَلَى زَوْجِكَ ثَلَاثًا (والتسليب امتناع المرأة من الزينة والخضاب بعد موت زوجها) ثُمَّ اصْنُعْ مَا شِئْتَ ، فَأَبْسَحْ لَهَا تَرْكَ الإِحْدَادَ بَعْدَهَا مَعَ وجْهِهِ عَلَى الْمَرْأَةِ مَا دَامَتْ فِي العِدَّةِ .

وكان يرى من خلفه كما ينظر أمامه وعن يمينه وعن شماله^(١) ، ويرى بالليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار^(٢) وفي الوضوء ريقه يعذب الماء المالح ، ويجزي الرضيع ، ويبلغ صوته وسمعه مالا يبلغه غيره ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وما تشاءب قط ، ولا احتلم قط ، وكذلك الأنبياء في (الثلاثة) ، وعرقه أطيب من المسك .

وكان إذا مشى مع الطويل طاله ، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ، ولم يقع ظله على الأرض^(٣) ، ولا رؤى له ظل في الشمس ولا القمر^(٤) ، ولم يقع على ثيابه ذباب قط ولا آذان القمل .

وكان إذا ركب دابة لا ترورث ولا تبول وهو راكبها ، ولم تكن لقدمه خَمْصٌ ، وكان خنصر رجله متظافرة ، وكانت الأرض تطوى

(١) أخرج الشیخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « هل ترون قبلتی هاهنا فوالله ما يخفی على رکوعکم ولا سجودکم ، إنی لأراکم من وراء ظهری » .

وأخرج ابن عدى والبيهقي وابن عساكر ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء كما يرى في الضوء : وقال العلماء : هذا الإبصار إدراك حقيقى خاص به ﷺ انحرفت له فيه العادة ، ثم يجوز أن يكون برأوية عينيه انحرفت له فيه العادة أيضاً ، فكان يرى بهما من غير مقابلة لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها المقابلة عقلاً ، ولذلك حكمو بجواز رؤية الله تعالى في الآخرة ، والله أعلم .

(٢) أخرج الحكيم الترمذى ، عن ذكوان أن رسول الله ﷺ لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر ، وقال ابن سبع : من خصائصه : أن ظله كان لا يقع على الأرض ، وقيل حتى لا يطؤه كافر بقدمه ، والله أعلم .

له إذا مشى ، وأوتى قوة أربعين في الجماع^(١) والبطش ، كل رجل
قوته قوة مائة رجل .

وكان أقنع الناس في الغذاء ، تقنعه اللعقة ، وكانت الأرض
تبتلع ما يخرج منه^(٢) ، ويشم من مكانه رائحة المسك ، وكذلك
الأنبياء ، ولم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح قط ، وتقلب في
الساجدين حتى خرج نبياً ، ولم يلد أبواه غيره ، ونكست الأصنام
لمولده ، وولد مختوناً ، ومقطوع السرة ونظيفاً ما به قذر ، ووقع
إلى الأرض ساجداً ، رافعاً أصبعه كالمتضرع المبتهل ، ورأت أمه
 عند ولادته نوراً خرج منها أضاءات له قصور الشام ، وكذلك
أمهات النبيين يرین ، ولم ترضعه مرضعة إلا أسلمت ، وكان في
مهده يتحرك بتحريك الملائكة ، ويميل القمر إليه حيث أشار
إليه^(٣) ، وتكلم في المهد ، وكان ما تكلم به أن قال : « الله أكبر »

(١) أخرج البخاري من طريق قتادة ، عن أنس قال : كان النبي ﷺ يدور على نسائه في
الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قلت لأنس : أو كان يطيقه ؟ قال : كنا
نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين » ... وغير ذلك من الأحاديث التي ساقها السيوطي في
الخصائص .

(٢) أخرج ابن سعد وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ثانية
الخلاء فلا يرى منك شيء من الأذى ؟ قال : « أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من
الأنبياء ». .

(٣) أخرج البيهقي والصابوني في (المأتين) والخطيب وابن عساكر عن العباس بن عبد
المطلب قال : قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتكم رأيتكم في المهد
تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال . قال : إنني كنت أحدهم ويهدينى
ويلهينى عن البكاء وأسمع وجنته حين يسجد تحت العرش » .

كبيراً والحمد لله كثيراً»^(١) ورددت إليه الروح بعد ما قبض ، ثم خير بين البقاء في الدنيا والرجوع إلى الله فاختار الرجوع إليه ، وكذلك الأنبياء .

وأرسل إليه ربه جبريل ثلاثة أيام في مرضه ، يسأله عن حاله ، ولما نزل إليه ملك الموت نزل معه ملك يقال له « إسماعيل » يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء ولم يهبط إلى الأرض قبل ذلك اليوم قط^(٢) ، وسمعوا صوت ملك الموت يبكي وينادي عليه : « وامحدها ».^(٣)

وصلى عليه ربه والملائكة ، وصلى عليه الناس أفواجاً بغير إمام ، وقالوا : هو إمامكم حياً وميتاً ، وبغير دعاء الجنازة المعروف ، ودفن في بيته حيث قبض ، وكذلك الأنبياء .

والأفضل في حق غيرهم الدفن في المقبرة ، وأظلمت الأرض بعد موته ، وهو حي في قبره يصلى فيه بأذان وإقامة ، وكذلك

(١) قال ابن حجر في شرح البخاري : أن النبي ﷺ تكلم أوائل ما ولد وذكر ابن سبع أن مهده كان يتحرك بتحررك الملائكة وأن أول كلام تكلم به : « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً » .

(٢) رواه الشافعى والبىهقى والطبرانى بإسناد معرض ذكر السيوطى الحديث بطوله فى الخصائص باب : « ما وقع له عند احتضاره ﷺ من الآيات والخصائص .

اما حديث بكاء ملك الموت فقد أخرجه أبو نعيم عن على (رضى الله عنه) كما ذكر السيوطى فى الخصائص أيضاً .

الأنبياء ، وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها كقراءة القرآن^(١) ، ويستحب الغسل لقراءة حديثه والطيب ، ولا ترفع عنده الأصوات كما هو في حياته عليه السلام ويكره لقارئه حديثه أن يقوم لأحد ، وحملة الحديث لا تزال وجوههم نصرة ، وأصحابه كلهم عدول .

ومن خصائصه ، أن الإمام بعده لا يكون إلا واحداً^(٢) ولم تكن الأنبياء قبله كذلك . وأن الله لا يكافئهم في النكاح أحد من الخلق ، ويطلق عليهم الأشراف ، وهم ولد على وعقيل وجعفر و العباس ، كذا مصطلح السلف (رضي الله عنهم) .

وإنما حدث تخصيص الشرف بولد الحسن والحسين في مصر خاصة ، من عهد الخلفاء والفاتميين .

ومن خصائص ابنته فاطمة رضي الله عنها : أنها كانت لا تحيض^(٣) ، وكانت إذا ولدت ظهرت من نفاسها بعد ساعة حتى لا تفوتها صلاة ، ولذلك سميت الزهراء .

(١) لأنها راجعة إلى الوحي في معناها ، قوله : «قراءة القرآن» أي أنه يثاب على تلاوتها كما يثاب على تلاوة القرآن إلا أنه يشرط فيها الفهم . أما القرآن فهو متعدد بتلاوته بفهم وغير فهم . وعلى هذا فليس المقصود أن أحاديثه عليه السلام تساوي القرآن في الدرجة .

(٢) المقصود بالآباء هنا الإمام العظيم وهي الخلافة الدينية ومن شروطها : يجب أن يكون الإمام واحداً ثلثاً يختلفاً فيؤدي ذلك إلى الفساد في أحوال الأمة .

(٣) في الفتاوى الظهيرية الحنفية . قالت المولدات : ظهرت من نفاسها بعد ساعة ثلثاً تفوتها صلاة ولذلك سميت الزهراء . وجزم بذلك من أصحاب الشافعية المحب الطبرى وأورد حديثين في كتابه «ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربي» وقال ابن الجوزى عن الحديثين إنهما موضوعان وأقره على ذلك السيوطى مع شدء عليه . =

ولما جاءت وضع عليه السلام يده على صدرها ، فما جاءت بعد ، ولما احتضرت غسلت نفسها ، وأوصت أن لا يكشفها أحد ، فدفنتها على (رضي الله تعالى عنه) بغسلها ذلك .

وكان عليه السلام إذا مسح بيده رأس أقرع نبت الشعر في وقته ، وغرس نخلاً فأثمرت من عامها ، وكان إذا تبسم في الليل أضاء البيت ، وكان يسمع حفيظ أجنحة جبريل وهو بعد في سدرة المتهى ، ويشم رائحة إذا توجه بالوحى إليه ، وكان له قراءة القرآن بالمعنى ^(١) ، واهتز العرش لموت أحد أصحابه فرحاً بلقاء روحه ^(٢) .

ولم يكن يمر عليه السلام في طريق فيتبعه فيها أحد إلا عرف أنه سلكها

= وليس معنى هذا أننا ننكر إمكان أنها (رضي الله عنها) كانت لا تحيس ولا يرى لها دم في طمث ولا في ولادة ، بأن يظهرها الله سبحانه وتعالى من دم الحيس والنفاس خصوصية لها دون غيرها ، وإن كان الحديثان موضوعين - كما حكم ابن الجوزي ومن تبعه - فهذا من ناحية الإسناد ، وليس هو من المستحبيل العقلى في شيء .

(١) هذه العبارة تحتاج إلى تمحیص وإثبات لأن القرآن الكريم على مذهب الجمهور لفظاً ومعنى من عند الله تبارك وتعالى ، ولا يجوز فيما نعلم روایته بالمعنى ، ولذلك فلا يثبت تخصيص إلا بنص ونحن نطالب به .

(٢) هو سيدنا سعد بن معاذ (رضي الله عنه) فقد أخرج الشیخان عن جابر (رضي الله عنه) عن رسول الله عليه السلام : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ، قال ابن فورك في مشكل الحديث وبيانه : وال الصحيح من التأويل في ذلك أن يقال : الاهتزاز هو الاستبشر والسرور ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن العرش تحرك واهتز حقيقة ولا منافاة بين الرأيين لأننا شاهد في الإنسان إذا زادت فرحته بشيء اهتز وتمايل من شدة الفرح .

من طيه وحسن رائحته، وبالجملة فأوصي به بِحَلْلِهِ الحسنة لا تحصى ولا تحصر، وفي هذا القدر كفاية وتنبيه على ماسواه.

قال الإمام الشعراوي (رضي الله عنه) : وقد كتبت هذه الخصائص من خط سيدنا وشيخنا خاتمة المحفظ الشیخ جلال الدين السيوطي (رحمه الله وفعلنا بعلمه وال المسلمين) وكان رضي الله عنه يقول : تتبع هذه الخصائص حتى أنهيتها إلى هذا الحد مدة عشرين سنة ، ولم أعلم أحداً أنهاها إلى هذا الحد ، والله أعلم .



العجز عن وصف المصطفى

(صلى الله عليه وآلـه وسلـم)

قال في الهمزية :

فک اذ لا يحده الإحصاء

كيف يستوعب الكلام سجيما

ك و هل تنزع البحار الرگاء

ليس من غاية لمدحك أبغى

ها وللقول غاية وانتهاء

إنما فضلك الزمان وأيا

تـك فـيـمـا نـعـنـدـه الـآنـاء

وقال السبكي في آخر تائيته :

وأقسم لـ و أن البحار جميعها

مدادی وأقلامی لها كل غوطة

لما جئت بالمعشار من آيك التي

تزييد على عد النجوم المنيرة

وقال غيره :

بالغ وأكثر لن تحيط بوصفه

وأين الشريعة من يد المتناول

ورؤى عمر بن الفاراض فى الشوم فقيل له : لم لم تمدح
النبي صراحة ؟ فقال :

أرى كل مدح فى النبي مقصرا

مهما بالغ المثنى عليه وأكثرا

إذ الله أثني بالذى هو أهل

عليه فما مقدار ما تمدح الورى ؟

وقال غيره :

مدحتك آيات الكتاب فما عسى

يأنى على عليك نظم مدحى

وإذا كتاب الله جاءك مادحا

كان القصور قصاري كل فصيح



أنا ابن العواتك (١)

«أنا ابن العواتك من سليم» رواه سعيد بن منصور ، والطبراني عن شبابة بن عاصم (رضي الله عنه) . قال رحمة الله تعالى : قال في الصحاح : «العواتك من جداته عليه السلام تسع ، وقال غيره : كان له ثلاث جدات من سليم ، كل تسمى عاتكة ، وهن : عاتكة بنت هلال بن فالج (بالجيم) ابن ذكوان ، أم عبد مناف ، وعاتكة بنت مرة بن هلال «أم هاشم» ، وعاتكة بنت الأوقصى بن مرة بن هلال «أم وهب أبي آمنة» وبقية التسع من غير بنى سليم .

قال الحليمي : لم يرد عليه السلام بذلك فخرًا بل تعريف منازل المذكورات ، كما يقال كان أبي فقيهاً لا يريد به إلا التعريف ، ويمكن أنه عليه السلام أراد به التحدث بنعم الله تعالى في نفسه وأبائه وأمهاته ، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة .

وفي رواية لابن عساكر ، «أنا ابن الفواطم» وهذا قاله يوم حنين ، قال في الروض : يقال : امرأة عاتكة ، وهي المصفرة بالزعفران والطيب ، وفي القاموس : العاتك : الكريم وقال ابن سعد : العاتكة في اللغة : الطاهرة .

(١) وفي القاموس : عنكت المرأة شرفت ورأست .

أنا أولى بالمؤمنين

«أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فمن توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلى قضاوه ، ومن ترك مالاً فهو لورثته ، رواه الإمام أحمد ، والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) . وهو عليه السلام أولى بالمؤمنين بنص رب العالمين ، قال الله تعالى : ﴿الْبَشِّرُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ .

قال بعض الصوفية : وإنما كان عليه السلام أولى بهم من أنفسهم لأن أنفسهم تدعوهם إلى الهلاك ، وهو عليه السلام يدعوهם إلى النجاة ، ويترتب على كونه أولى ، أنه يجب عليهم إيثار طاعته على شهوات نفوسهم ، وإن شق عليهم ، وأن يحبوه بأكثر من محبتهم لأنفسهم ، ويدخل فيه النساء .

وقوله عليه السلام : «من أنفسهم» أي أنا أولى بهم من أنفسهم في كل شيء من أمر الدارين ، لأنى الخليفة الأكبر الممد لكل موجود فيجب عليهم أن أكون أحب إليهم من أنفسهم ، وحكمى أنفذ عليهم حكمها ، وهذا قاله عليه السلام لما نزلت الآية .

ومن محسن أخلاقه السنوية عليه السلام «أنه لم يذكر ماله في ذلك من الحقوق ، بل اقتصر على ما عليه ، حيث قال : فمن توفى من المؤمنين» الخ .

قال النووي : وحاصل معنى الحديث : أنا قائم بمصالحكم

فِي حَيَاةِ أَحَدْكُمْ وَمَوْتِهِ ، أَنَا وَلِيهِ فِي الْحَالِيْنِ ، فَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ دِينٌ
قَضَيْتُهُ إِنْ لَمْ يَخْلُفْ وِفَاءَ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلُورِثَتْهُ ، لَا أَخْذُ مِنْهُ
شَيْئاً ، وَإِنْ خَلَفَ عِيَالاً مُحْتَاجِينَ ، فَعَلَى مَؤْنَتِهِمْ : عَلَيْهِمْ ، مَا أَرَأَفَهُ
وَأَشْفَقَهُ عَلَى أُمَّتِهِ .

تقلله عَلَيْهِ الدِّينُ مِنَ الدُّنْيَا كَانَ اخْتِيَاراً

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «عَرَضَ عَلَى رَبِّي لِي جُعَلَ لِي بِطْحَاءَ مَكَةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ : لَا
يَا رَبَّ ، وَلَكَنْ أَشْبَعْ يَوْمًا وَأَجْوَعْ يَوْمًا ، فَإِذَا جَعْتُ تَضَرَّعَتْ إِلَيْكَ
وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبَّعْتَ حَمْدَتُكَ وَشَكَرْتُكَ» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
وَالْتَّرمِذِيُّ .

وَجَمِيعُ عَلَيْهِ الْمَحْمَدٌ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالشَّكْرِ ، وَهُمَا صَفَاتُ الْمُؤْمِنِ الْكَاملِ
الْمُخْلِصِ ، قَالَ تَعَالَى : «إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ» .
وَحِكْمَةُ هَذَا التَّفْصِيلِ الْاسْتِلْذَادُ بِالْخُطَابِ ، وَإِلَّا فَاللَّهُ تَعَالَى
عَالَمُ بِالْأَشْيَاءِ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا . وَهَذَا يُعْرَفُ بِأَنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ
مِنَ التَّقْلِيلِ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ اضْطَرَارًا بِلَ اخْتِيَارًا مَعَ إِمْكَانِ التَّوْسُعِ
وَالتبَسْطِ لِهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

لطيفة

كان للأديب الأكبر الشيخ « عبد الجليل براة المدنى ، صديق حميم سافر إلى المغرب فأرسل إلى الشيخ عبد الجليل يقول له :

تعالى نجدد دارس الحب بيننا

كلانا على طول البعد ملوم

فأجابه :

تعالى نجدد دارس الحب بيننا

بطيبة إذ فيها النعيم يتدوم

يعلم الذى عنها تناهى فلا نقل

كلانا على طول البعد ملوم

اهـ / إملاء شيخنا محمد نور سيف

أسماء النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قد تعرض جماعة لتعدادها ، وبلغوا بها عدداً مخصوصاً ،
فمنهم من بلغ تسعه وتسعين ، موافقة لعدد أسماء الله الحسنى
الواردة في الحديث .

وقال القاضى عياض : وقد خصه الله تعالى بأن سماه من
أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثة اسماً .

وقال ابن دحية فى كتابه « المستوفى » : إذا فحص عن جملتها
من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفي الثلاثمائة .

قال فى المواهب : ورأيت فى كتاب أحكام القرآن للقاضى أبي
بكر بن العربي ، قال بعض الصوفية ، : الله تعالى ألف اسم
وللنبي ﷺ ألف اسم ، والمراد من الأسماء « الأوصاف » فكل من
الأسماء التى وردت أوصاف مدح وإذا كان ذلك فله ﷺ من كل
وصف اسم ثم إن منها ما هو مختص به أو الغالب عليه . ومنها ما
هو مشترك ، وكل ذلك ين بالمشاهدة لا يخفى ، وإذا جعلنا له
كل وصف من أوصافه اسمًا بلغت أوصافه ما ذكر ، بل وأكثر .

قال : والذى رأيته فى كلام شيخنا « يعنى الحافظ السخاوي »
فى « القول البديع » والقاضى عياض فى « الشفا » وابن العربي
فى « القبس » و« الأحكام » له ، وابن سيد الناس ، وغيرهم يزيد

على الأربعمائة ثم سردها مرتبة على الحروف ، وأكثرها جمع شيخه السخاوي في القول البديع ، وما زاده لغيره قليل جداً ، وزاد عليهم نحو ضعفها الحافظ الشامي تلميذ الحافظ السيوطى ، كما نقله عنه الزرقانى في شرح المواهب ، وقد جمع ذلك الشيخ النبهانى ، وزاد عليه فبلغ ثمانمائة ونيفاً وعشرين اسماءً ، ونظمها في مزدوجة سماها ، « أحسن الرسائل في نظم أسماء النبي الكامل » .

من علامات محبته

(صلى الله عليه وآله وسلم)

روى البخارى عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أنه صلوات الله عليه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

وروى البخارى عن عمر (رضى الله عنه) أنه قال للنبي صلوات الله عليه : لأنك يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا نفسى التي بين جنبي ، فقال النبي صلوات الله عليه : « لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر : « والذى أنزل عليك الكتاب لأنك أنت أحب إلى من نفسى التي بين جنبي ، فقال له النبي صلوات الله عليه : الآن يا عمر » .

وقال على بن أبي طالب (رضى الله عنه) : كان رسول الله صلوات الله عليه

أحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى
الظَّمَاءِ » .

وروى ابن اسحق : أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت بعد أن أخبروها بموتهم : ما فعل رسول الله ﷺ قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : « كل مصيبة بعدهك جَلَلٌ » أي صغيرة .

ولما أخرج مشركون مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه ، قال له أبو سفيان بن حرب - وذلك قبل أن يسلم - : أنسدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا نضرب عنقه وأنك في أهلك ، فقال زيد : والله ما أحب أن محمد الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه وأنى جالس في أهلي فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد مهداً » .

ولمحبته ﷺ علامات : أعظمها الاقتداء به ، واستعمال سنته ، وسلوك طريقته ، والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف على ما حده لنا من شريعته ﷺ قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فجعل تعالى متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد ربه .

ومن علامات محبته ﷺ : أن يرضى المؤمن بما شرعه الله

تعالى على لسانه ﷺ حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » فسلب اسم الإيمان عنمن وجد في صدره حرجاً من قضائه ولم يسلم له ﷺ فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ وأكده ذلك بقوله : « يد الله فوق أيديهم » .

قال سهل بن عبد الله : من لم ير ولایة رسول الله ﷺ في جميع أحواله ويرى نفسه في ملکه ﷺ لم يذق حلاوة ستته . ومن علامات محبته ﷺ نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشقات وأثر ذلك على أعراض الدنيا الفانيات .

ومن علامات محبته ﷺ تعظيمه عند ذكره ، وإظهار الخشوع والخشوع والانكسار مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئاً خضع له ، كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه ﷺ خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا ، وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم ، يفعلون ذلك محبة له وشوقاً إليه وتهيباً وتوقيراً .

ومن علامات محبته ﷺ كثرة الشوق إلى لقائه .

ومن علامات محبته ﷺ حب القرآن الذي أتى به ، وإذا أردت أن تعرف ما عندك من محبة الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك .

ومن علامات محبته ﷺ محبة سنته وقراءة حديثه .

ومن علامات محبته ﷺ إن يلتذ بحبه وبذكره ، وعند سماع اسمه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن علامات محبته ﷺ محبة دينه وآلته وصحابه وبلده ، ومحبة كل شيء ينسب إليه ﷺ ، وإذا اشتدت محبة العبد للنبي ﷺ شغلته عن كل شيء ، واستغرقت قلبه وروحه وسمعه ، فتكثّر رؤيته له في المنام ولا يذهب عن خاطره ، وقد يراه ﷺ يقظة فيكون من أكابر الأولياء وخير الأصفياء .

وهذه صورة من حرص الصحابة على آثار المصطفى ﷺ :

قال أبو نعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد . حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، قال حدثنا هشيم ، قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن خالد بن الوليد ، أنه فقد قلنوسة له يوم اليرموك فقال : اطلبوها ، فلم يجدوها ، فقال : اطلبوها فوجدوها فإذا هي قلنوسة خلقة ، فقال خالد : اعتمر رسول ﷺ فحلق رأسه ، فابتذر الناس جوانب

شعره ، قال فسبقتهم إلى ناصيته ، فجعلتها في هذه القلسسة ،
فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا رزقت النصر ، رواه أبو نعيم .

أبو لهب يخاف من دعوة النبي

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

قال الحافظ أبو نعيم : « عن هبار بن الأسود ، قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام ، وتجهزت معهما ، فقال ابنه « عتبة » والله لأنطلقن إليه فلاؤذينه في ربه ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : « يا محمد هو يكفر بالذى دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى » فقال رسول الله ﷺ « اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك » ثم انصرف عنه فرجع إليه ، فقال : أى بُنَى ما قلت له ؟ قال : كفرت بإلهه الذي يعبد ، قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال : اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك ، فقال : أى بُنَى والله ما آمن عليك دعوة محمد ، فسرنا حتى نزلنا الشراة (وهي مأسدة) فنزلنا صومعة راهب ، فقال : يا معاشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد ، وإنها مسرح الضيغم ؟ فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم حقى ، قلنا : أجل يا أبا لهب ، فقال : إن محمداً قد دعا على أبنى دعوة ، والله ما آمنها عليه ، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ، ثم افرشوا حوله ففعلنا حتى جمعنا المتاع حتى ارتفع ، ثم فرشنا له عليه ، وفرشنا حوله ، وبيننا نحن حوله ، وأبو لهب معنا

أَسْفَلُ ، وَبَاتٌ هُوَ فَوْقُ الْمَتَاعِ ، فَجَاءَ الْأَسْدُ فَشَمَ وَجْهَنَا ، فَلَمَّا
لَمْ يَجِدْ مَا يَرِيدُ تَقْبِضَ ، ثُمَّ وَثَبَ ، فَإِذَا هُوَ فَوْقُ الْمَتَاعِ ، فَجَاءَ
الْأَسْدُ ، فَشَمَ وَجْهَهُ ثُمَّ هَزَمَهُ هَزْمَةً فَفَضَحَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : سَيِّفِيْ
كَلْبٌ : لَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَوَثَبَنَا فَانْطَلَقَ الْأَسْدُ ، وَقَدْ فَضَحَ
رَأْسَهُ .

«رواه أبو نعيم في دلائل النبوة» .

من عجائب آثار معجزاته

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

قال الحافظ أبو نعيم : « حدثنا أحمد بن إسحق وعبد الله بن محمد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عاصم قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة : قال : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، : حدثني رجل من بنى سلامان بن سعد ، عن أمه ، أن خالها حبيب بن أبي فديك ، حدثها ، أن أباها خرج به رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان ، لا يبصر بهما شيئاً ، فسألة : ما أصابه ؟ قال : إنني كنت أمرّن جملأ لي ، فوقعت رجلي على بيض حية ، فأصيب بصرى ، فنفت رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر ، قال : فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين ، وإن عينيه لمبيضتان .

من عجائب المعجزات وتأثيرها في القوى البدنية

قال الحافظ أبو نعيم :

وحدثنا فاروق الخطابي ، حدثنا أبو مسلم ، حدثنا المقدمي ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، : حدثنا حسين بن واقد ، : حدثني أبو نهيك الأزدي ، : حدثني عمرو بن أخطب قال : استسقى رسول الله ﷺ فأتيته بجمجمة وفيها ماء ، وفيه شرة فناولته ، فنظر إلى ف قال : اللهم جمله ، قال : فرأيته وهو ابن

ثلاث وتسعين سنة ، وما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء » وقال :
حدثنا به القاضي أبو أحمد إملاء ، قال أبو عبد الله بن إسحق
الجوهرى ، قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد الرقى ، :
حدثنا يعلى بن الأشدقى ، قال : سمعت النابغة بن الجعد ،
يقول : أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر فأعجبه :

بلغنا السماء مجدنا وثراءنا وإنما لنرجو فوق ذلك مظهراً
فقال النبي ﷺ إلى أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : إلى الجنة ،
قال : أجل إن شاء الله تعالى :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرها
ولا خير في جهل إذا لم يكن حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي ﷺ : أجدت ، لا يفضض الله فاك » قال يعلى :
فلقد رأيته وقد أتى عليه نيف ومائة سنة ، وما ذهب له سن » . اهـ

زيارة أبي الحسن الشاذلي « رضى الله تعالى عنه »

لما جاء الإمام أبو الحسن الشاذلي المدينة المنورة ، وقف أمام القبر الشريف من الروضة المباركة ، وقال : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله يا رسول الله أفضل وأذكي وأسنن وأعلى صلاة صلاتها على أحد من أنبيائه وأصفيائه ، أشهد يا رسول الله أنك بلغت ما أرسلت به ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربّك حتى أتاك اليقين ، كنت كما نعتك الله في كتابه :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ». فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سمواته وأرضه عليك يا رسول الله .

السلام عليكم يا صاحبى رسول الله ﷺ يا أبا بكر ويا عمر، ورحمه الله وبركاته ، فجزاكم الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به وزيرى نبى فى حياته ، وعلى حسن خلافته فى أمته بعد وفاته ، فقد كتتما لمحمد ﷺ وزيرى صدق ، وخلفتماه بالعدل والإحسان فى أمته بعد وفاته فجزاكم الله عن ذلك مرافقته فى الجنة ، وإيانا معكما برحمته ، إنه أرحم الراحمين . اللهم إنىأشهدك وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد الملائكة النازلين بهذه الروضة الكريمة ، والعاكفين عليها ، أنىأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين

وإمام المرسلين . وأشهد أن كل ما جاء به من أمر ونهى ، وخبر عن ما كان وما هو كائن ، فهو صدق لاشك فيه ولا امتراء ، وإنما مقر لك بجنايتك ومعصيتك في الخطأ والفتنة ، والإرادة والفعلة ، وما استأثرت به على إذا شئت أخذت وإذا شئت عفوت عنه ، مما هو متضمن للكفران ، والنفاق أو البدعة أو الضلال أو المعصية أو سوء الأدب معك ومع رسولك وأنبيائك وأوليائك من الملائكة والإنس والجن ، وما خصصت به من شيء في ملكك فقد ظلمت نفسك بجميع ذلك ، فامتن على بالذى مننت به على أوليائك ، فإنك أنت الله الملك المنان الكريم الغفور الرحيم » .

(انظر درة الأسرار)

عمر رضى الله عنه لم يقطع شجرة الرضوان

جاء أن سيدنا عمر قطع الشجرة التي بايع عندها رضي الله عنه أصحابه على الموت ، وتسنى بشجرة الرضوان ، ويستدل بعض الناس بهذا على عدم جواز التبرك بالآثار النبوية ، وعندي : أن هذا لا يدل على ذلك .

وقد ظهر لي دليل بحمد الله قوى ، وهو أن الشجرة التي قطعها عمر رضى الله عنه شجرة زعم الناس أنها شجرة الرضوان ، فصلوا عندها ، وقصدوها بالتوجه . وهذا عمل باطل عند شىء لا تصح نسبته إلى صاحبه ، ولا تثبت إضافته إليه ، فهم نسبوا الشجرة إلى النبي صلوات الله عليه وسلم ، ومن هنا اشتدت غيرة الصحابي الجليل على هذه الإضافة المشكوك فيها .

ودليلي على ذلك : هو أن الشجرة غير معروفة ولأمر أراده الله ، أنسى الله الأمة محلها ، كما أنسى نبيه صلوات الله عليه وسلم تعين ليلة القدر في لحظة ، وهذا مصدق قول ابن عمر في البخاري : أنه جاء في العام التالي لعام بيعة الرضوان ، قال : فبحثنا عن الشجرة فلم يقع عليها رجالان .

وقول المسيب والد سعيد : لقد رأيت الشجرة ، ثم أنسيتها بعد فلم أعرفها .

وقول طارق بن عبد الرحمن : طلعت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب ، فأخبرته ، فقال : حدثني أبي : أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة ، قال : فلما خرجنا من العام الم قبل نسيناها ، وعلمتها أنت ، فأنت أعلم ، وفي رواية أنه قال : فعميت علينا .

[انظر صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة الحديبية]

أى لم يتفق رأى رجلين على شجرة بالتعيين ، فإذا كان هذا فى خلال سنة واحدة ، فى عهد واحد ، ومع توفر وجود أصحاب الرضوان الذى حضروا عندها وبايعوا تحتها ، فما بالك بحال شجرة ظهرت فى زمن عمر بعد سنوات عديدة . اختلف العهد ، ومات أكثر من حضر الموقف فعمر (رضى الله عنه) لم يقطعها لمنع التبرك بالأثار ، أو لأنه لا يرى ذلك ، ولم يقع ذلك المعنى فى قلبه أصلاً ، ولم يخطر على باله أبداً ، بدليل أنه (رضى الله عنه) ثبت عنه التبرك ، وطلب التبرك بالأثار ونحوها ، كطلبه من أبي بكر العزبة التى كانت عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استعارها من الزبير ، كما فى البخارى « باب شهود الملائكة بدرأ » من كتاب المغازي ، وفي نسخة القسطلاني ج ٦ ص ٢٦٤ .

رجل يطلب من النبي ﷺ الشفاعة

كان رجل يقال له : مازن بن الغضوب ، وكان يقوم بخدمة صنم في قرية يقال لها : « سمایا » من عمان ، فشرح الله صدره للإسلام ، وقدم على رسول الله ﷺ يقول : يا رسول الله : إني أمرت مولع بالطرب وبالهلوكة من النساء وبشرب الخمر ، فألحت علينا السنون فأذهبني الأموال وأهزلن الذراري والعيال ، وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويأتنا بالحياة ، ويهب لي ولدا . فقال النبي ﷺ : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعهر عفة ، وأته بالحياة ، وهب له ولدا ». قال : فأذهب الله عز وجل عنى ما أجد ، واصحبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر ، وحفظت شطر القرآن ، ووهب الله عز وجل لي حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

إليك رسول الله خبت مطيتي

تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

لتشفع لي يا خير من وطئ الحصا

فيغفر لي ربى فأرجع بالفالج

إلى عشر خالفت في الله دينهم

فلا رأيهم رأى ولا شرحهم شرحي

وَكُنْتَ امْرَأً بِالْعَهْرِ وَالْخَمْرِ مَوْلَعًا
شَبَابًا حَتَّى آذَنَ الْجَسْمَ بِالنَّهْجِ
فَبَذَّلَنِي بِالْخَمْرِ خَوْفًا وَخُشْبَيْةً
وَبِالْعَهْرِ إِحْصَانًا ، فَعَصَنِي لِي فَرْجِي
فَأَصْبَحْتَ هَمِي فِي الْجَهَادِ وَنِيَّتِي
فَلَلَّهِ مَا صَوْمِي وَلِلَّهِ مَا حَجْيٌ .

رواہ أبو نعیم بسنده فى دلائل النبوة : ص ۷۷ ، ۷۸ .

من عجائب القدرة الإلهية في حماية الحضرة المحمدية

من عجائب القدرة ما حصل بالمستهزئين بالنبي ﷺ من قريش وهم سبعة : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وفكيهة بن عمرو الفهري ، والحرث بن الطلاطلة ، والأسود بن الحرث ، وابن عيطة . كانوا يكثرون به الاستهزءة ويواصلون عليه الإيذاء ، وهو ﷺ صابر محتبب ، خصوصاً بعد قول الله تعالى له ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزَئِينَ﴾ وقد أظهر الله تعالى فيهم جميعاً عجائب قدرته ، وتولى أمرهم .

فأما الوليد بن المغيرة فإنه ارتدى فعلق بردائه شوك ، فذهب يجلس عليه ، فقطع أكحله ^(١) ، فتنزف فمات لوقته .
وأما العاص بن وائل ، فوطيء على شوكة فتساقط لحمه من عظامه ، فمات من يومه .

وأما الأسود بن عبد يغوث ، فقد كان رسول الله ﷺ دعا عليه بالعمى ، وثكل ولده ، فأتى بغضن فيه شوك فأصاب عينه فسالت

(١) عرق في الذراع يقصد .

حدقتاه على وجهه ، وقتل ولده زمعة يوم بدر ، فأعمى الله بصره ، وأثكله ولده . وأما فكيةة بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد ولم يوجد .

وأما الحيث بن الطلاطلة ، فإنه خرج لبعض حوائجه ، فضربه السّموم في الطريق ، فاسودَ منه ومات ، وأما الأسود بن الحيث ، فأكل حوتاً مملوحاً ، فأصابه عطش ، فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه ومات .

وأما ابن عيطة فاستسقى فمات .

من منهجه في التربية والتعليم

صلى الله عليه وآله وسلم

من هديه ﷺ في منهج تعليمه أن ينتقل بالحاضر من صورة واقعية محسوسة إلى صورة ذهنية بالإيمان أو الأخلاق أو السلوك .

وهذا أكبر سبيل لثبتت النظرية ، وتجسيدها أمام الناظر .

ومثال ذلك : أنه رأى امرأة من السبئي ، وقد اندفعت وراء طفلها ناسية حالتها ، فأخذته ووضعته على ثديها ، وكأنها ليس بها شيء ، فقال : أرأيتم رحمة هذه الأم بولدها (أو فرحتها بولدها) .

قالوا : نعم ، قال : فالله أرحم بعبده (أو أفرح بتوبه عبده من فرح هذه الأم بولدها) .

ومن هديه ﷺ في منهج تعليمه : أن يوجه الهمم والعزائم إلى عالي الأمور ، ومعالى المقاصد .

وأن يكون المؤمن عالي الرأس في غير كبر ، وعزيز النفس في غير عجب ، وأصيل الرأي في غير أنفه .

يقول ﷺ في هذا الميدان : إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها^(١) ، ويقول : «إذا سألت الله فاسأله الفردوس الأعلى ، فإنه أعلى الجنة وسقفه عرش الرحمن»^(٢) ، وكثيراً ما يغتنم ﷺ

(١) رواه الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن العرباض بن سارية رضي الله عنه .

الفرصة فينتقل بالسامع من المعانى القريبة المحسوسة إلى معانٍ بعيدة ، ومقاصد شريفة ، مستخدماً للألفاظ المستعملة في المعنى المصطلح عليه .

ومن ذلك قوله ﷺ في حقيقة الرجل الشديد القوى ، إذ الظاهر أنه الذى يغلب الناس ، ويصرعهم ، ولكنه يضع للشديد تعريفاً جديداً جيداً بقوله : « ليس الشديد بالصرامة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

(رواه البخارى فى الأدب ، باب العذر من الغضب فتح ١٠ / ٥١٨)

ومن ذلك قوله ﷺ : « أتدرؤن ما الرقوب ؟ قلنا : الذى لا يولد له ، قال : إن الرقوب الرجل الذى له الولد ، لم يقدم منهم شيئاً ». رواه البيهقى (ترغيب ٢ / ١٥٢).

ومن ذلك قوله ﷺ : أتدرؤن ما الصعلوك ؟ قال : قلنا : الذى لا مال له ، قال : « إن الصعلوك كل الصعلوك الذى له المال لم يقدم منه شيئاً » رواه البيهقى (ترغيب ٢ / ١٥٢).

ومن ذلك قوله ﷺ : أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغسل منه فى اليوم خمس مرات : هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا ، قال : كذلك الصلوات الخمس . . . » الحديث .

شهود فضله فى كل نعمة

صلى الله عليه وآلـه وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير : « شهود فضل النبي ﷺ فى كل نعمة يشهدها المسلم أمر واحد ، لأن دواعيها حاصلة ، إذ هو الذى فتح لنا طرق الخير ، وأظهر لنا سبل الفضل ، ولذلك فإنه فى كثير من مواطن النعمة الإلهية والتوفيق الربانى يأتي ذكره ليلتفت العبد إلى سبب هذا التوفيق والفضل ، وواسطة هذا الخير العميم ، ألا وهو الرحمة المهدأة سيدنا محمد ﷺ . فمثلاً فى الأذان يأتي ذكره ، وفي التشهد ، وعند مصافحة الأخ لأخيه ، تشرع الصلاة عليه . وعند دخول المسجد ، وعند الدعاء ، وعند ابتداء الخطيب ، وافتتاح الكلام .

حضور روحانية المصطفى

صلى الله عليه وآلـه وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير :

روحانية المصطفى ﷺ حاضرة فى كل مكان ، فهى تشهد أماكن الخير ، ومجالس الفضل ، والدليل على ذلك أن الروح من حيث هى روح غير مقيدة فى البرزخ ، بل منطلقة تسبح فى ملوكوت الله .

وهذا عام فى جميع أرواح المؤمنين ، مع ملاحظة أن إطلاقها وسياحتها تختلف باختلاف أهليتها ، - شأنها فى ذلك شأنها لما كانت فى الدنيا - فمنها القريب ، ومنها بعيد ومنها الحاضر مع حضرة الحق ، ومنها الغائب ، ومنها الشاهد ، ومنها المظلوم ، ومنها المنور ، ومنها الخفيف ، ومنها الكثيف ، وهى هكذا فى البرزخ ، انطلاقها وسياحتها وحضورها واستجابتها بحسب مقامها ، والدليل على ذلك قول ﷺ في الحديث الصحيح :

«نسمة المؤمن على طائر تسبح حيث تشاء» .

أو كما قال ، (رواه مالك) .

وروحه ﷺ أكمل الأرواح ، فهى لذلك أكمل فى الحضور والشهود .

وقد جاء فى الحديث : «أنه ينبغي للعبد إذا دخل المسجد أن يسلم على رسول الله ﷺ ، وذلك لحضور روحانيته فى مثل هذا المشهد المبارك .

وجاء فى الحديث : «أنه اذا سلم عليه المسلم يرد الله عليه روحه فيرد عليه السلام» .

وهذا يدل على أمرتين :

الأول : أن روحه منطلقه فى ملوكوت الله .

الثانى : أن جسده باق متكملا وهو أهل لرجوع الروح إليه ،

ومعنى « رد الله على روحى » هنا أى حصول إمكان سماع الجواب
لمن أراد الله له ذلك ، وأنه لولا اختلاف الدائرين بين المسلم
والمسلم عليه لأمكن سماع جوابه ورده عَلَيْهِ الْكَفَافُ .

الفرح بالحبيب

صلى الله عليه وآلـه وسلم

وقلت في مجلس من مجالس الخير : الفرح بسيدنا محمد ﷺ من المأمور به شرعاً ، وقد استظهرت ذلك من القرآن الكريم وهو من قوله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (١) .

وهو ﷺ رحمة لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالين ﴾ (٢) ولقوله سبحانه وتعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتمن حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ (٣) وقوله ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة » وقد ورد ما يدل على أن الفرح والسرور برسول الله ﷺ من أجل الأعمال النافعة ، وقد انتفع به أبو لهب إذ جاء : أنه لما أخبرته ثوبية بولادته ﷺ فرحة وسر ، وأعتقها لذلك ، فهو يخفف عنه كل يوم اثنين ، فيشرب من نقرة إبهامه ، وفي ذلك يقول الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه بتبت يداه فى الجحيم مخلداً
أتى أنه فى يوم الاثنين دائمًا يخفف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذى طول عمره بأحمد مسروراً ومات موحداً

(١) سورة يونس آية ٥٨ .

(٢) الأنبياء آية ١٠٧ .

(٣) التوبة آية ١٣٨ .

ومما يدل على الفرح بالنبي ﷺ ما حصل في يوم دخوله ﷺ إلى المدينة قادماً من مكة ، وقد خرجت المدينة عن بكرة أبيها ، رجالاً ونساءً وهم يرحبون به ﷺ .

ومما يدل على الفرح به ﷺ : أن امرأة نذرت أن تضرب بالدف على رأس الرسول ﷺ إن عاد سالماً من غزوة بدر ، فلما عاد وأخبرته ، قال لها : أوف بندرك ، فقامت ففعلت .



اهتمام العلماء بمثال نعل النبي

صلى الله عليه وآلـه وسلم

اهتم بذلك الأئمة الفحول ، وصنف فيها رسالة خاصة الشيخ المقرى ، وذكر لها أمثلة ، وكتب عنها كلمات جليلة مهمة ، خلاصتها : اعلم أرشدنا الله وإياك إلى سواء السبيل ، وأوردنا مع الرعيل الأول منا حل الرحيق والسلسيل : أن جماعة من الأئمة المغاربة المقتدى بهم تعرضوا للمثال الظاهر ، وحسن الباهر ، وأقرروا بمشاهدته عين الناظر ، منهم الإمام أبو بكر بن العربي ، والحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي ، والكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الأبار ، والرحالة أبو عبد الله بن رشيد الفهري ، والراوية أبو عبد الله محمد بن جابر الواديشي ، وخطيب الخطباء أبو عبد الله بن مرزوق ، والمفتى الإمام أبو عبد الله محمد الرصاع التونسي والولى الصالح الشهير أبو إسحق إبراهيم بن الحاج السلمى الأندلسى ، وعنه أخذ ابن عساكر المثال ، وغير هؤلاء من يطول تعدادهم ، كأبى الحكم مالك بن المرحال ، وابن أبى الخصال ، وهم القدوة ، ولنا بهم أسوة .

وتلامهم من أهل المشرق جماعة كالحافظ ابن عساكر ، وتلميذه البدر الفارقى ، والحافظ العراقي ، وابنه (أى الولى العراقي) والشيخ القسطلاني فى مواهبه اللدنية وغيرهم .

قال الإمام المقرى : وقد بلغنى عن بعض الأغمار ممن هو كمثل الحمار ، أنه أنكر تصويري الأمثلة الشريفة ذات الظلال الوريفية ، قائلاً : كيف تنهون عن الصور وأنتم تفعلونها ! ؟ فقلت لمن بلغنى عنه ذلك : قل له : وأنتم لم تتكلمون في الأمور التي تجهلونها ؟ وليس هذا من تلك الصور ، لا في ورد ولا صدر ، ثم قال : فلنشرع فيما أرددته ، سائلًا من الله العون على ما أوردته ، فأقول مستمدًا من واهب العقول : إنى ذاكر هنا مثالين عليهما المعول ، ثم أعززهما بأربعة : لا تقوى قوة الشانى ولا الأول . منشداً من جحد ما يتعدد من الأمثلة ويتتنوع :

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره

هو المسك ما كرته يتضوع

ومذكراً بقول الآخر كل لبيب :

أيا ساكنى أكباف طيبة كل لكم

إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

ولا خفاء أن مثال النعل الشريف ، تصدر بإضافته إلى ذى الصدر . وخاص لذلك برفعه الشأن والقدر ، فعلا على البدر ،

قدم النبوة والرسالة والعلا :

يا من يذكرني حديث أحبة طاب الزمان بذكرهم ويطيب
أعد الحديث على من جنباته إن الحديث عن الحبيب حبيب
وما المثال المكرم . إلا وسيلة للقدم – التي خص الله بأكمل
الأوصاف صاحبها عليه السلام .

وَمَا حَبُّ النَّعَالِ شَغَفْنَ قَلْبِي

ولكن حب من لِيَسَ النَّعَالَا

فأكرم بها من نعال ، زكت بأطيب الفعال ، وشرفت بالمحختار
وسمت . واتسمت من الفضائل بما اتسمت ، وحاكها المثال
بمحاسنه التي ارتسمت ، فأنشدته بلسان الحال . مخاطبا ذلك
المثال :

حَاكَ بَدْرُ الدَّجَى

لَمْ يَلْدِرْ مَنْ حَاكَى

شَتَانْ مَا بَيْنَ

مَحْكِيٌّ وَمَنْ حَاكَى

ولو لم يحصل للمثال المعظم من الشرف إلا محاكاة نعل
من ليس لمجلده حد ولا طرف سيد ولد آدم . عمدة من تأخر أو

تقدّم ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وشرف وكرم — لكان ما حصل له من ذلك كافياً .
وبالمنى وافيأً فكيف وقد غدا للأوصاب شافياً — وللأقسام نافياً؟ .
فخواصه ظاهرة ومنافعه باهرة ، وفضله بينّ . ووضعه على
المجاجر متعين .

ويرحم الله الشيخ العلامة الناصح الصالح ، الشيخ أبا حفص
عمر الفاكهانى الاسكندرى المالكى ، إذ قال : حين أبصر المثال
الذى جر على المجرة ذيلا ، متمثلا بقول مجنون ليلى :

ولو قيل للمجنون : ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما فى زواياها
لقال : غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلوهاها



هذه صورة مثال النعل النبوى الشرييف

على رأس هذا الكبون نعمل محبة على جميع المسلمين تحت ظرمه
لأنها الطقوس التي تزورى أخلع وأحمد على القرب لهم بمراسخ نفاله

مشائی حکی نغلہ لاشرف مرسی۔ تمثیل مقام اتریب منه لفرا و
حضر از ها اسی بسموایت کلمہا۔ غیرای و تجارت ایک لوگ خواہد

مثال: العنبر المصطفى مارشل ٠ اروحي به رایح لعینی
فأكفرم به تحشان نعلٍ كرميٌّ ٠ لها كلّ رأس و دَرْجَةٍ وأشرِجلٍ

ولما رأيت الدّهر قد حارب الوريء جعلت لنفسي نعْل سيد حصننا
تحصنت منه في يديع مثالها بسويني^ج نلت في ظلمة الأمان

أَنْ خَدَمَتْهُ مِثَالْ نَعْلَ الْمَصْطَفَى
لَا يُعِيشَ فِي الدَّارِينَ تَحْتَ ظَرَفِ الْمَهْلَةِ

**سَعْدَ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَخْدُمُهُ نَبِيًّا
وَأَنَّ السَّعِيدَ يَخْدُمُهُ لِتَالِهَا**

الاحتفال بموالد النبي

صلى الله عليه وآلـه وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير : عن حكم الاحتفال
بالمولد النبوى : أن ذلك جائز من وجوه :

الأول : أن الاحتفال بالمولد الشريف تعبير عن الفرح والسرور
بالمصطفى ﷺ ، وقد انتفع به الكافر ، فقد جاء فى البخارى أنه
يخفف عن أبي لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لشوبية جاريته لما
بشرته بولادة المصطفى ﷺ .

ويقول فى ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر
الدمشقى :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ببيت يداه فى الجحيم مخلداً
أنى أنه فى يوم الاثنين دائمًا يخفف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذى طول عمره بأحمد مسروراً ومات موحداً

الثانى : أنه ﷺ كان يعظم يوم مولده ، ويشكر الله تعالى فيه
على نعمته الكبرى عليه ، وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود ، إذ
سعد به كل موجود ، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام ، كما
جاء فى الحديث عن أبي قتادة : أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم

يوم الاثنين فقال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل على ». رواه الإمام مسلم في الصحيح في كتاب الصيام .

وهذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة ، ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبي ﷺ أو سماع شمائله الشريفة .

الثالث : أن الفرح به مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ فالله تعالى أمرنا أن نفرح بالرحمة ، والنبي ﷺ أعظم الرحمة . قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ .

الرابع : أن النبي ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت ، فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه كأن فرصة لتذكرها ، وتعظيم يومها ، لأجلها ، ولأنه ظرف لها :

وقد أصل ﷺ هذه القاعدة بنفسه ، كما صرحت في الحديث أنه ﷺ : لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، سُأله عن ذلك ، فقيل له : إنهم يصومونه لأن الله نجى نبيهم وأغرق عدوهم فيه ، فهم يصومونه شكرًا لله على هذه النعمة ، فقال ﷺ : نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه .

الخامس : أن الاحتفال بالمولد لم يكن في عهده ﷺ ، فهو

بدعة ، ولكنها حسنة لأن دراجها تحت الأدلة الشرعية ، والقواعد الكلية ، فهي بدعة باعتبار هيئتها الاجتماعية ، لا باعتبار أفرادها ، لوجود أفرادها في العهد النبوى كما سنعلم ذلك تطبيقاً إن شاء الله تعالى .

السادس : أن المولد الشريف يبعث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيْمًا ﴾ وما كان يبعث على المطلوب شرعاً فهو مطلوب شرعاً ، فكم للصلاحة عليه من فوائد نبوية ، وإمدادات محمدية ، يسجد القلم في محراب البيان عن تعداد آثارها ، ومظاهر أنوارها .

السابع : أن المولد الشريف يشتمل على ذكر مولده الشريف ومعجزاته وسيرته والتعريف به ، أو لسنا بأموريين بمعرفته ومطالبين بالاقتداء به ، والتأسى بأعماله ، والإيمان بمعجزاته ، والتصديق بآياته ، وكتب المولد تؤدى هذا المعنى تماماً .

الثامن : التعرض لمكافأته بأداء بعض ما يجب له علينا ، ببيان أوصافه الكاملة ، وأخلاقه الفاضلة ، وقد كان الشعراء يتقررون إليه بِعَيْلَةٍ بالقصائد ، ويرضى عملهم ، ويجزىهم على ذلك بالطيبات والصلات ، فإذا كان يرضى عن مدحه فكيف لا يرضى عن جمع شمائله الشريفة؟ ، ففى ذلك التقرب له عليه الصلاة والسلام ، باستجلاب محبته ورضاه .

التاسع : أن معرفه شمائله ومعجزاته وإرهاصاته تستدعي كمال الإيمان به عليه الصلاة والسلام ، وزيادة المحبة إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل ، خلقاً وخلقأ علماً وعملاً حالاً واعتقاداً ، ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً . فما كان يستدعيهما مطلوب كذلك .

العاشر : أن تعظيمه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مشروع ، والفرح بيوم ميلاده الشريف بإظهار السرور ووضع الولائم والاجتماع للذكر ، وإكرام الفقراء من أظهر مظاهر التعظيم والابتهاج والفرح والشكر لله ، بما هدانا لدینه القويم ، وما من به علينا من بعثه عليه أفضل الصلاة والتسليم .

الحادي عشر : يؤخذ من قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في فضل يوم الجمعة ، وعد مزاياه ، « وفيه خلق آدم » تشريف الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأى نبى كان من الأنبياء عليهم السلام ، فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النبىين وأشرف المرسلين .

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه ، بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرر ، كما هو الحال فى يوم الجمعة ، شكرأ للنعمـة ، وإظهاراً لمزية النبوة ، وإحياءً للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم فى تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود ، كما يؤخذ تعظيم المكان الذى ولد فيه

نبى من أمر جبريل عليه السلام النبى ﷺ بصلة ركعتين بيت لحم ، ثم قال له : أتدرى أين صلิต ؟ قال : لا ، قال : صلิต بيت لحم ، حيث ولد عيسى .

الثانى عشر : أن المولد أمر استحسن العلماه والمسلمون فى جميع البلاد ، وما جرى به العمل فى كل صقع ، فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف : « ما رأاه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأاه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح ^(١) » ، أخرجه أحمد .

الثالث عشر : أن المولد اجتماع ذكر وصدقة ، ومدح وتعظيم للجناب النبوى فهو سنة ، وهذه أمور مطلوبة شرعاً ، وممدودة وجاءت الآثار الصحيحة بها ، وبالبحث عليها .

الرابع عشر : أن الله تعالى قال : ﴿ وَكُلًاً نَّصْرٌ عَلَيْكَ مِنْ أَبْنَاءِ

(١) قال صاحب المقاصد الحسنة ما نصه : « حديث ما رأاه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » رواه أحمد فى كتاب السنة ووهم من عزاه للمسند من حديث أبي وائل عن ابن مسعود قال : إن الله نظر فى قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ بعثه برسلته ، ثم نظر فى قلوب العباد فاختار له أصحابه ، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ، فما رأاه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأاه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح » وهو موقوف حسن وكذا أخرجه البزار والطیالسى والطبرانى وأبو نعيم فى ترجمة ابن مسعود من الحلية بل هو عند البيهقي فى الاعتقاد من وجه آخر عن ابن مسعود » .

وقال معلق حواشيه (الشيخ عبد الله الصديق الغمارى) فى الحاشية : « بل هو فى المسند أيضاً » .

الرسل ما ثبتت به فؤادك ﴿١﴾ يظهر منه أن الحكمة في قصص
أنباء الرسل عليهم السلام ثبت الفؤاد الشريف بذلك ، ولا شك
أننا اليوم محتاجون إلى تثبيت أقوالنا بأنباءه وأخباره أشد من
احتياجه هو ﷺ .

الخامس عشر : ليس كل مالم يفعله السلف ، ولم يكن في
الصدر الأول بدعة منكرة سيئة يحرم فعلها ويجب الإنكار عليها ،
بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع ، فما اشتمل على
مصلحة فهو واجب ، أو على محرم فهو محرم ، أو على مكروه
فهو مكروه أو على مباح فهو مباح ، أو على مندوب فهو مندوب ،
وللوسائل حكم المقاصد ، ثم قسم العلماء البدعة إلى خمسة
أقسام :

واجبة : كالرد على أهل الزيف ، وتعلم النحو.

ومندوبة : كإحداث الربط والمدارس ، والأذان على المنائر ،
وصنع إحسان لم يعهد في الصدر الأول . ومكروهه : كزخرفة
المساجد وتزويق المصاحف .

ومباحة : كاستعمال المنخل ، والتوسيع في المأكل والمشرب .

ومحرمة : وهي ما أحدث لمخالفة السنة ، ولم تشمله أدلة
الشرع العامة ولم يحتو على مصلحة شرعية .

(٢) سورة هود آية ١٢٠ .

السادس عشر : كل مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْصُّدُرِ الْأُولَى بِهِيَئَتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، لَكِنْ أَفْرَادُهُ مُوْجَودَةٌ ، يَكُونُ مُطْلُوبًا شَرْعًا ، لَأَنَّ مَا تَرَكَ مِنَ الْمَشْرُوعِ فَهُوَ مَشْرُوعٌ كَمَا لَا يَخْفِي .

السابع عشر : لِيُسْتَ كُلَّ بَدْعَةً مَحْرَمَةً وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَحْرَمَ جَمْعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَزَيْدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ ، وَكَتَابَتِهِ فِي الْمَصَاحِفِ خَوْفًا عَلَى ضَيَاعِهِ بِمَوْتِ الصَّحَابَةِ الْقَرَاءَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) وَلَحْرَمَ جَمْعَ عَمْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) النَّاسَ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي صَلَاةِ الْقِيَامِ مَعَ قَوْلِهِ : « نَعَمْتَ الْبَدْعَةَ هَذِهِ » وَلَحْرَمَ التَّصْنِيفَ فِي جَمِيعِ الْعِلُومِ النَّافِعَةِ ، وَلَوْجَبَ عَلَيْنَا حَرْبُ الْكُفَّارِ بِالسَّهَامِ وَالْأَقْوَاسِ مَعَ حَرْبِهِمْ لَنَا بِالرَّصَاصِ وَالْمَدَافِعِ وَالدَّبَابَاتِ وَالْطَّائِرَاتِ وَالْغَواصَاتِ وَالْأَسْاطِيلِ ، وَلَحْرَمَ الْأَذَانَ عَلَى الْمَنَاثِرِ وَاتِّخَاذِ الرِّبَطِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفَياتِ وَالْإِسْعَافِ ، وَدارَ الْيَتَامَى وَالسُّجُونَ ، وَمِنْ ثُمَّ قَيْدَ الْعُلَمَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) حَدِيثُ « كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ » بِالْبَدْعَةِ السَّيِّئَةِ وَيَصْرِحُ بِهَذَا الْقَيْدِ مَا وَقَعَ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ مِنَ الْمُحَدَّثَاتِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي زَمْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الثامن عشر : قَالَ الْإِمامُ الشَّافِعِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : مَا أَحَدَثَ وَخَالَفَ كِتَابًا أَوْ سَنَةً أَوْ إِجْمَاعًا أَوْ أَثْرًا فَهُوَ الْبَدْعَةُ الضَّالَّةُ وَمَا أَحَدَثَ مِنَ الْخَيْرِ وَلَمْ يَخَالِفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ الْمُحْمَودَةُ . اهـ وجَرِيَ الْإِمامُ الْعَزِيزُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَالنَّوْوَى كَذَلِكَ ، وَابْنُ الْأَثِيرِ

على تقسيم البدعة إلى ما أشرنا إليه سابقاً .

الحادي عشر : كل ما تشمله الأدلة الشرعية ، ولم يقصد بإحداثه مخالفة للشريعة ولم يشتمل على منكر فهو من الدين .

وقول المتعصب : إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليلاً له ، بل هو عدم دليل ، كما لا يخفى على من مارس علم الأصول ، فقد سمي الشارع بدعة الهدى سنة ، ووعد فاعلها أجراً فقال عليه الصلاة والسلام : « من سن في الإسلام سنة حسنة فَعُمِّلَ بها بعده كتب له مثل أجراً من عمل بها ، ولا يُنْقَصَ من أجورهم شيء » (١) .

العشرون : إن الاحتفال بالمولد إحياءً لذكرى المصطفى ﷺ ، وذلك مشروع عندنا في الإسلام ، فأنت ترى أن أكثر أعمال الحج إنما هي إحياء لذكريات مشهودة ، ومواقف محمودة ، فالسعى بين الصفا والمروءة ، ورمي الجamar والذبح بمنى ، كلها حوادث ماضية سابقة ، يحيى المسلمون ذكرها بتجديد صورتها في الواقع .

الحادي والعشرون : كل ما ذكرنا سابقاً من الوجوه في مشروعية المولد إنما هو في المولد الذي خلا من المنكرات المذمومة التي يجب الإنكار عليها ، أما إذا اشتمل المولد على شيء مما يجب

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذى والنمسانى وابن ماجة بالفاظ مختلفة .

الإنكار عليه كاختلاط الرجال النساء وارتكاب المحرمات ، وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف ﷺ فهذا لا شك في تحريمها ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات ، لكن تحريمه حينئذ يكون أمراً عرضياً لا ذاتياً ، كما لا يخفى على من تأمل ذلك .



توصيل الناس بالنبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

في عهد عمر (رضي الله تعالى عنه)

روى سيف عن مبشر بن الفضل ، عن جيير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب ، أن رجلاً من مزينة - عام الرمادة - سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شيء فألحووا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حمر، فقال : يا محمداه ، فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله ﷺ يقول له : « أبشر بالحياة إيت عمر فأقرئه مني السلام وقل له : إن عهدي بك ، وفي العهد شديد العقد ، فالكيس الكيس يا عمر » فجاء حتى أتى باب عمر ، فقال لغلامه استأذن لرسول الله ﷺ فأتى عمر فأخبره ، ففزع ثم صعد عمر المنبر ، فقال للناس : أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام ، هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه ؟

قالوا : اللهم لا ، ومِمَّ ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزنى (وهو بلايل بن الحارث) ففطنوا ، ولم يفطن .

قالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا . فنادي في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ، ثم قال : اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجزت عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحى البلاد والعباد .

وقال الحافظ أبو بكر البهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسى ، قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر ، حدثنا إبراهيم ابن على الذهلى ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن مالك ، قال : أصحاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب ، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام ، فقال : إيت عمر فأقرئه منى السلام ، وأخبرهم أنهم مُسْقَون ، وقل له : عليك بالكيس الكيس ، فأتى الرجل فأخبر عمر ، فقال : يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح . كذا قال الحافظ ابن كثير فى البداية ح ٧ ص ٩١ فى حوادث سنة ثمانية عشر (١) .

(١) هذا الحديث رواه أيضاً ابن أبي شيبة بإسناده عن أبي صالح السمان عن مالك الدار (وكان خازن عمر) . وهو حديث صحيح ، صاححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري [ج ٢ / ٣٩٧] والكتورى في المقالات [ص ٣٨١] والغمارى في الرد المحكم المتبين [ص ٥٢ ، ٥٣] . وقد طعن الألبانى في الحديث بأن مالك الدار مجهول ، وعول في ذلك على سكوت ابن أبي حاتم عنه .

وهذه علة واهية لأن سكوت ابن أبي حاتم يعني أنه لم يجد جرحاً ولا تعديلاً ولا يلزم من ذلك جهالة الزاوي . إذا تقرر هذا فاعلم أن مالك الدار ذكره الحافظ ابن حجر في المحضرمين من كتاب الإصابة [ج ٣ / ٤٨٤] ، وابن سعد في الطبقات (٦/٥) وقال : وكان معروفاً ، ووثقه ابن حبان في الثقات [ج ٥ / ٣٨٤] .

وقال الخليلي في الإرشاد [ج ١ / ٣١٣] : تابعي قد يتفق عليه أئمّة التابعون =

= ولو لم يكن في توثيقه من النقل إلا أنه خازن عمر مع رواية أربعة عنه كما في الإصابة لكتفي. ولا تضر عنعنة الأعمش إسناد الحديث رغم عدم تصريحه بالسماع لأنّه يروي عن أبي صالح السمان. فحديشه هذا من جملة ما يقبل. قال الذهبي عند ترجمته للأعمش في الميزان [ج ٢ / ٢٤] : متى قال : «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر منهم كإبراهيم وابن أبي وائل وأبي صالح السمان فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال اهـ.

فالحديث حينئذ صحيح ولو كان ما فعله الرجل منكراً وباطلاً لما أقره عمر رضي الله عنه على ذلك لأنّه شديد في الحق. وفي الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد بسند صحيح : إنَّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

وقد علق الشيخ زايد الكوثري في المقالات [ص ٣٨٩] على حديث مالك الدار بقوله : وهذا نص على عمل الصحابة في الاستسقاء به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حيث لم ينكر عليه أحد منهم مع بلوغ الخبر إليهم ، وما يُرفع إلى أمير المؤمنين يذيع ويسبّع اهـ . والله أعلم .

[كتب هذا التعليق الأخ الفاصل محمد الهادي عبيد التونسي].

فضائل أعمال الأمة في ميزان رسول الله

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

قال الإمام العز بن عبد السلام في بداية السول : « إن الله يكتب لكلنبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمتـه وأحوالها وأقوالها ، وأمته بِنَيَّةٍ شطر أهل الجنة . وقد أخبر الله تعالى أنهم « خير أمة أخرجت للناس » ^(١) وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعرف والأحوال والأقوال والأعمال ، فـما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء يتقرب به إلى الله عز وجل مما دل رسول الله بِنَيَّةٍ ، ودعا إليه ، إلا وله بِنَيَّةٍ مثل أجر من عمل به إلى يوم القيمة ، لقوله بِنَيَّةٍ : « من دعا إلى هـدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيمة » ^(٢) ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة .

وقد جاء في الحديث : « الخلق عـيـالـ الله وأـحـبـهـمـ إـلـيـهـ أـنـفـعـهـمـ لـعـيـالـهـ » فإذا كان بِنَيَّةٍ قد نفع شـطـرـ أـهـلـ الجـنـةـ ، وـغـيـرـهـ منـ الـأـنـبـيـاءـ إنـماـ نـفـعـ جـزـءـ الشـطـرـ ، كـانـتـ مـنـزـلـتـهـ بِنَيَّةٍ فـيـ القـرـبـ عـلـىـ قـدـرـ مـنـزـلـتـهـ فـيـ النـفـعـ ، فـمـاـ مـنـ عـارـفـ مـنـ أـمـتـهـ إـلـاـ وـلـهـ بِنَيَّةٍ مـثـلـ أـجـرـ مـعـرـفـتـهـ ،

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) رواه أحمد في مسنده والـإـلـامـ مـسـلـمـ وـغـيـرـهـ مـاـعـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ رـضـيـ اللـهـعـنـهـ .

مضافاً إلى معارفه ، وما من ذى حال من أمتة إلا وله مثل أجراه على حاله مضموماً إلى أحواله عليه السلام ، وما من ذى مقال يتقرب به إلى الله تعالى إلا وله عليه السلام مثل أجر ذلك القول ، مضموماً إلى مقالته وتبلیغ رسالته ، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاة و Zakah وعتق وجهاد وبر و معروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله عليه السلام مثل أجر عامله مضموماً إلى أجراه على أعماله ، وما من درجة عالية ومرتبة سنية نالها أحد من أمتة بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجراها مضموماً إلى درجته عليه السلام ومرتبته ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمتة إلى هدى ، أو سن سنة حسنة كان له أجر من شئ بذلك على عدد العالمين ، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا عليه السلام لأنه دل عليه وأرسل إليه ، ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبي عليه السلام إذ يدخل من أمتة الجنة أكثر من يدخل من أمة موسى ، ولم يبك حسداً كما يتوهمه بعض الجهلة ، وإنما بكى أسفًا على ما فاته من مثل مرتبته .



وا مُحَمْدًا . وَا مُحَمْدًا

روى الحافظ ابن كثير عن الإمام أحمد بن حنبل (رضي الله عنه) قصة موت رسول الله ﷺ بسنده إلى السيدة عائشة رضي الله عنها . وفيها أنه جاء أبو بكر (رضي الله عنه) فرفعت الحجاب فنظر إليه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات رسول الله ﷺ : ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال : وابياء ، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال : واسفياه ، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال : واحليلاه ، مات رسول الله ﷺ (انظر البداية ج ٤٢ ص ٢٤٢) .

وروى الحافظ الدارمي في سننه قال : أخبرنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك : أن فاطمة قالت : يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ قالت : يا أبتابا من ربه ما أدناه ، وأبتابا جنة الفردوس مأواه ، وأبتابا إلى جبريل ننعاه ، وأبتابا أجباب ربآ دعاه .

قال حماد : حين حدث به ثابت بكى ، وقال ثابت : حين حدث به أنس بكى ، (انظر سنن الدارمي ح : ١ ص ٤١ باب وفاة النبي ﷺ) .
وذكر الحافظ ابن كثير أن شعار المسلمين في موقعة اليمامة كان : « يا محمداه » وقال ما نصه : « وحمل خالد بن الوليد ، حتى جاوزهم وسار لجبار مسلمة ، وجعل يتربقب أن يصل إليه

فيقتله ، ثم رجع ، ثم وقف بين الصفين ، ودعا إلى البراز^(١) ،
وقال أنا ابن الوليد العود^(٢) أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادى بشعار
المسلمين ، وكان شعارهم يومئذ « وامحمداه » .

(انظر البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٤) .

(١) أي المبارزة .

(٢) العود : الرجاع ، والمعنى أنه كرار ليس بفرار .

النبي يعلم أحد الصحابة كيفية التوسل به

(صلى الله عليه وآله وسلم)

أخرج الحاكم في مستدركه عن شبيب بن سعيد الجبلي ، حدثنا أبي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المدني ، وهو الخطمي عن أبي أمامة عن سهل بن حنيف عن عمته عثمان بن حنيف (رضي الله عنه) قال : « سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير فشكى إليه ذهاب بصره ، فقال : يا رسول الله ليس لي قائد ، وقد شق على ، فقال رسول الله ﷺ : أئت الميضاة فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل : « اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلّي لي عن بصرى ، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي ، قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ، ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل ، وكأنه لم يكن به ضر » هذا حديث صحيح ، على شرط البخاري ولم يخرجاه ، وهو في الجزء الأول من الترغيب والترهيب ص ١٩٠ .

عن عثمان بن حنيف - رضي الله عنه - « أن أعمى أتى إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصرى ، قال : أَوْ أَدْعُك ؟ ، قال : يارسول الله قد شق على ذهاب بصرى . قال : فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك

وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه إلى ربى بك أن يكشف لى عن بصرى ، اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى ، فرجع وقد كشف الله عن بصره » .

رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، والنسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وصححه والحاكم ، وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم ، وليس عند الترمذى « ثم صل ركعتين » إنما قال : وأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يدعوا بهذا الدعاء ، فذكره بنحوه ، ورواه في الدعوات ، وروى الطبرانى هذا الحديث وذكر في أوله قصة وهى أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في حاجة له ، وكان عثمان (رضي الله عنه) لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي عثمان ابن حنيف ، فشكى ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف : أئت الميسرة فتوضاً ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك ، ورح إلى حتى أروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ، ثم أتى بباب عثمان ، فجاء الباب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان ، فأجلسه معه على الطنفسة ، وقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضها له .

ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة . ثم قال :

ما كانت لك حاجة فائتنا ، ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقى عثمان بن حنيف ، وقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلى حتى كلمته في ، فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ، ولكن شهدت رسول الله ﷺ ، وأتاه رجل ضرير فشكى إليه ذهاب بصره ، فقال له النبي ﷺ : أو تصبر ؟ فقال يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق على فقال له النبي ﷺ : أئ الميساة فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات ، فقال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرقنا - وطال بنا الحديث - ، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط » قال الطبراني بعد ذكر طرقه ، والحديث صحيح .

رأى الشيخ ابن تيمية في درجة الحديث^(١):

وقد ذكر هذا الحديث بطوله شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذكر كل طرقه وأسانيده وذكر قصة عثمان بن حنيف مع الرجل بкамملها ، وصحح كل ذلك وأيده من الناحية الإسنادية في كتابه « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » (ص ٩٥ و ٩٦) .

(١) بحث هام يتعلق بحديث الأعمى للأخ الفاضل محمد الهادي عبيد التونسي . لم ينفرد ابن تيمية رحمه الله بتصحيح حديث الأعمى بل صتحجه أيضاً جمع من الحفاظ - كما ذكره المؤلف أكرم الله - منهم الترمذى والطبرانى وابن خزيمة والحاكم والذهبى . وإنتماماً للفائدة فسأذكر إن شاء الله تعالى بعض المباحث المتعلقة بمتن الحديث =

أبین فيها وجه الاستدلال به على مشروعية التوسل وبعض ما يؤيد ذلك من الأثر والنظر والله ولِي التوفيق .

يرى بعض أهل العلم أن التوسل بالنبي ﷺ لا يكون إلا بدعائه ويقولون : لو كان التوسل بالذات جائزًا لما عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه . وعلى هذا فقول الأعمى « أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد » فيه حذف عندهم والتقدير : بدعائه وشفاعته .

وهذا الذي قالوه غير مسلم بل هو احتمال ضعيف لا تنهض به الحجّة لأنَّ التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما يكون بدعائه فإنه يكون بذاته التي شرفها الله تعالى ، ولا مانع من هذا الصحة الدليل عليه .

— أمَّا دليل التوسل بالذَّعاء الذي اتفق أهل العلم على جوازه فهو ثابت في كتاب الاستسقاء من صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك فلا داعي لذكره .

— وأمَّا الدليل على جواز التوسل بالذات صراحة فهو ما رواه البخاري في صحيحه [كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا] عن عبد الرحمن بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب :

وأيضاً يُستسقى الغمام بوجهه * ثمَّال اليتامي عصمة لسلام

ووجهُ الاستدلال بالحديث هو أنَّ ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قد تذكَّرَ ذلكُ الْبَيْتُ من الشِّعْرِ وَتَمَثَّلَ بِهِ حِجَّارًا حَتَّى سَمِعَهُ غَيْرُهُ فَلَمْ يُعْتَرِضْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَهَذَا يَدْلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْبَيْتِ ثَابِثٌ وَمَقْبُولٌ ، وَتَقْدِيرُهُ : وَأَيْضًا يَسْتَسْقِي النَّاسُ بِوَجْهِهِ . فَهَذَا ظَاهِرٌ فِي التَّوْسُلِ بِالذَّاتِ لِأَنَّ الْوَجْهَ جُزْءٌ مِنْهَا وَلَمْ يَرُدْ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَنَّ الْوَجْهَ يَكُونُ بِمَعْنَى الدُّعَاءِ بِلْ قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ اسْتِعْمَالٌ لِنَفْظِ الْوَجْهِ بِمَعْنَى الذَّاتِ وَذَلِكَ فِي قُولِهِ تَعَالَى : « وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ دُوَّبَ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » [انظر تفسير ابن كثير ج ٣ صفحه ٤٠٣ ط التراث الإسلامي] . ولذلك فإنَّ المعنى لا يُستقيم هنا لمن أراد أن يقدِّر مضافاً ماحذفوا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّكْلِفِ المُفْسِدِ إِلَى تحميل النَّفْظِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَحَمَّلُ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْكَلَامِ عَدَمُ الْحَذْفِ . وَيُؤَيِّدُهُ قُولُ ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما فِي رِوَايَةِ أَخْرَى لِبَخَارِيِّ : وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ يَدْلِيلٌ عَلَى تَرجِيعِ حَمْلِ نَفْظِ الْوَجْهِ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْناهَا وَأَنَّ إِحْضَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامَ الاستسقاءِ رَغْمَ صَغْرِ سَنِّهِ زَمْنَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ كَانَ لِلتَّوْسُلِ بِذَاتِهِ فَكَانَ لِسَانَ حَالَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اسْقُنَا بِوَجْهِ ذَاهِنِ الْمَبَارَكَةِ بَيْنَا .

= قال الامام العيني في عمدة القاري (ج ٦ صفحه ١٠) عند تعليقه على الترجمة ما نصه : « . . . معنى قول أبي طالب هذا في الحقيقة توسل إلى الله عز وجل بنبيه لأنَّه حضر استسقاء عبد المطلب والنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاً . فيكون استسقاء الناس الغمام في ذلك الوقت ببركة وجهه الكريم وإن لم يكن في اللفظ أنَّ أحداً سأله . . . الخ اه . فالحاصل مما سبق أنَّ حديث ابن عمر رضي الله عنهما يؤيد صحة ما فهمه أكثر أهل العلم من حديث الأعمى .

وبيان ذلك أنَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتف بما وعَدَ به الأعمى من الدُّعاء لَهُ ، بل دَلَّهُ على ما يزيدُ في تحقيق التَّدَلُّ والعبودية لله سبحانه فأمره بالطَّهارة والصَّلَاةِ وعلمه أن يقول في أول دعائِه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوَجِّهُ إِلَيْكَ بَنِيَّكَ مُحَمَّدَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ . وهذا هو مَحْلُ الشَّاهِدِ مِنَ الْحَدِيثِ إِذَا لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الصِّيَغَةِ تَدْلُّ صَرَاحَةً عَلَى التَّوْسِلِ بِالذَّاتِ . وأمَّا قول من قال : هناك مُضَافٌ مَحْذُوفٌ والتَّقْدِيرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوَجِّهُ إِلَيْكَ بَدْعَاءَ نَبِيِّكَ ، فهو قول مَرْجُوحٍ وتأويلٍ واه لأنَّ الأصلَ في اللُّغَةِ عَدْمُ التَّقْدِيرِ ولا حاجةٌ إليه لعدم وجود ما يقتضي صرف اللفظ عن ظاهرِ مَا دَلَّ عليه . ومن أقوى القرائن إيقاع الكلام على ما هو عليه قول الأعمى بعده : يا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوَجِّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حاجتي هذه . فلفظة مُحَمَّدُ ، اسم عَلَمٌ دالٌّ على الذَّاتِ الْمُضطَقَوَيَّةِ ، وحيثندَ فما محلُ ذلك القول؟ ولماذا هذا التَّدَلُّ للنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن استهلَّ الأعمى دعاءَ بنداءِ الله حيث قال : اللَّهُمَّ؟ فهذا يدلُّ على أنَّ الأعمى مستشعر لحرمة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستحضر لذاته متواسل بها . ومن ترك التكليف والتعسُف أدركَ أنَّ حديثَ الأعمى هَذَا يَدُلُّ بِطَرْفِيهِ بِدُونِ تعطيلٍ ولا تَنَاقُضٍ على أمرين : فأولُ الحديث يدلُّ على وقوع التَّوْسِلِ بذاتِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سبق ما يؤيد جوازه ، وأخره يدلُّ على وقوع التَّوْسِلِ بدعاءِ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا يقتضي أنَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دعا فِعْلًا لِلأعمى وهو الراجح فإنَّ لم يُتَّصَّ عَلَيْهِ الحديث لأنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنْ وَقَيْ عِمَّا وَعَدَ ، ولا مانع من أن يكون صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد توجهَ إلى الله تعالى بقلبه ونوى الدُّعاءِ أثناء تلقينه صيغة التَّوْسِلِ للأعمى . =

= وحيستذ فقوله : وَتُشَفَّعْنِي فِيهِ مَعْنَاهُ : أَقْبَلَ دُعائِي فِي أَنْ تَقْبَلَ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي : وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَتُشَفَّعْهُ فِي فَمَعْنَاهُ : اللَّهُمَّ أَقْبَلَ شَفَاعَتِهِ أَيْ دَعَاءً فِي أَنْ تَرْدَ عَلَيَّ بَصَرِي .

فإن قيل لقد وجَدَ مِنَ الْعُمُّي مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الْأَعْمَى وَلَمْ يُشْفَتْ قَلْنَا لَا يَلْزَمُ مِنْ حُصُولِ الإِبْصَارِ لِهَذَا الْأَعْمَى أَنْ يَحْصُلَ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ ، وَلَا يَتَوَقَّفُ الإِبْصَارُ عَلَى هَذَا التَّوْسُلِ وَهَذَا الدَّعَاءُ إِذْ إِنَّ الْإِجَابَةَ لَهَا شَرُوطٌ مَعِيَّنَةٌ لَا بُدَّ مِنْ تَوْفِرِهَا كَأَكْلِ الْحَلَالِ وَصِدْقِ التَّوْجِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِخْلَاصِ وَغَيْرِهَا مَمَّا يَقِنُدُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . بَلْ لَقَدْ دَعَا بِعِضُّهُمْ بِاسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى - كَمَا فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَالسَّائِئِي وَغَيْرِهِمَا بِسَنْدِ صَحِيحٍ - فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ . وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ فِي هَذَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَمَنَ لَنَا الْإِجَابَةَ فِيمَا يَرِيدُهُ هُوَ لَا فِيمَا نَرِيدُهُ نَحْنُ وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَرِيدُهُ هُوَ لَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي نَرِيدُهُ نَحْنُ .

وَقَدْ أَخْرَجَ التَّرمِذِيُّ فِي السَّنْنَ [كِتَابُ الدُّعَاءِ بَابُ مَا جَاءَ أَنْ دُعَوَةُ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ مَا سُأَلَ أَوْ كَفَ عنْهُ مِنَ السَّوْءِ مَثْلُهُ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطْبِعَةٍ رِحْمٍ .

أَمَّا قَوْلُ ابْنِ تِيمِيَّةَ : لَوْ كَانَ أَعْمَى تَوَسَّلَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَدْعُ لَهُ الرَّسُولُ بِمَنْزِلَةِ ذَلِكَ الْأَعْمَى لِكَانَ عَمِيَانُ الصَّحَابَةِ أَوْ بَعِضُهُمْ يَفْعَلُونَ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْأَعْمَى ، فَعَدُولُهُمْ عَنْ هَذَا إِلَى هَذَا دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْمَشْرُوعَ مَا سُأَلُوهُ دُونَ مَا تَرَكُوهُ . ۱- [قَاعِدَةُ جَلِيلَةٍ صَ ۱۳۴] فَلَيْسَ بِسَدِيدٍ لَأَنَّهُ مَجْرَدُ احْتِمَالٍ لَا دَلِيلٌ عَلَيْهِ إِذْ يَجْزُوزُ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَوْ أَنَّ بَعِضَهُمْ فَعَلَهُ ، خَاصَّةً وَلَمْ يَرِدْ مَا يَنْصُ عَلَى تَرْكِهِمْ . وَعَلَى فَرْضِ أَنَّ بَعِضَهُمْ تَرَكَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَدْلِي أَبْدًا عَلَى الْمَنْعِ بَلْ يَجْزُوزُ أَنَّهُمْ آتَوْا الصَّبَرَ وَالْفَوْزَ بِالْأَجْرِ .

وَأَمَّا عَدُولُ عَمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ التَّوَسُلِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى التَّوَسُلِ بِالْعَبَاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَا حِجَةٌ فِيهِ عَلَى الْمَنْعِ لَأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ وَقَوْعَةُ التَّوَسُلِ بِذَادَهُ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيَا وَمِيتَا . لَاسِيَّمَا وَقَدْ كَانَ النَّاسُ - كَمَا فِي رِوَايَةِ الْبَخَارِيِّ - يَرْفَعُونَ أَيْدِيهِمْ يَدْعُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْتَ اسْتِسْقَائِهِ لَهُمْ . وَقَدْ تَقْدَمَ الْإِسْتِدَالَالُّ بِحَدِيثِ الْأَعْمَى وَأَنَّ ابْنَ عَمِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ أَبِي طَالِبٍ : وَأَبْيَضُ يَسْتَسْقِي الْفَمَامُ بِوْجَهِهِ . الْخَ .

= فإذا كانوا يتولون به إلى الله فيستقيهم فأحرى أن يقدموه للسؤال.

فقول عمر رضي الله عنه «اللهم إنا كنّا نتول إليك بنبيك صلّى الله عليه وسلم» لا يفيد عند التحقيق سوى العدول عن التوسل بالدعاء إذ الغالب أن الصحابة (رضي الله عنهم) إذا استسقوا يتولون بمن كان من أهل الفضل والصلاح بأن يقدموا ويقيموا بينهم ليدعُوا هو ويدعو الناس معه.

ولا يخفى أن هذا التقديم هو المتعذر بعد وفاته صلّى الله عليه وسلم لا سيما إذا اجتمع الناس ليصلّي بهم الداعي صلاة الاستسقاء. إذا تقرر هذا فعدول عمر رضي الله عنه لا يصلح دليلاً على منع التوسل بالنبي صلّى الله عليه وسلم بعد وفاته، وقد سبق بيان ذلك عند الكلام على جواز التوسل بغير النبي صلّى الله عليه وسلم [ص ١٦٠ / ١٦١].

هذا وإن القصة التي رواها الطبراني والبيهقي صحيحة خلافاً لمن ضعفها وهي تنص على أن الصحابي الجليل عثمان بن حنيف رضي الله عنه وجه رجلاً إلى التوسل بالنبي صلّى الله عليه وسلم بعد وفاته فأفاد ذلك أن حديث الأعمى مشتمل على التوسل بالذات وهذا مترجح لأنّ فهم الصحابي أولى من فهم غيره إذا كان هو الرأوى للحديث والمعايير لأسباب وروده وسائر ملابساته.

ولا يبعد أن يقال بأن التوسل بالدعاء مرتب بالتوسل بالذات ارتباط الفرع بأصله إذ لو لا الاعتقاد بأن المتتوسل به وجيه عند الله ذو صلاح وفضل لما تضافرت الدواعي في النقوس لتتوسل بدعايه. ولو كان التوسل بالدعاء خالياً من ملاحظة التوسل بالذات لما كان للاتجاه إلى المتتوسل به وجه من النظر.

الآن طالب الدعاء يلاحظ بقلبه مكانة المتتوسل به وكرامته على الله بحيث يكون ذلك هو الباعث على رجاء الإجابة.

وهذا المعنى متصل في التوسل بالذات ، فمن يقول : «اللهم إني أسألك بنبيك محمد» لا يزيد بذلك سوى أن يستجيب الله له من باب إكرام نبيه وإظهار مزيته بحيث لا يُخفيه في أفراد أمته التي كان حريصاً على نفعها فإن ما يؤلمها يؤلمه وما يسعدها يسعده صلّى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم وأحكم .

من خصائص آل البيت رضى الله تعالى عنهم

قال الإمام الحافظ ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام ص ٢١٠ ، ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على الإطلاق ، خصهم الله سبحانه وتعالى بخصائص :

منها : أنه أمر عبادة بأن يصلوا على أهل هذا البيت ، كما صلى على أهل بيتهم وسلفهم ، وهم إبراهيم وأله ، وهذه خاصية لهم .
ومنها : جعل أهل هذا البيت فرقاناً بين الناس ، فالسعادة أتباعهم ، والنار لأعدائهم ومخالفتهم .

ومنها أنه سبحانه وتعالى جعل خلاص خلقه من شقاء الدنيا والآخرة على أيدي هذا البيت ، فلهم على الناس من النعم ما لا يمكن إحصاؤه ، ولا جزاوها ، ولهم المنن الجسام في رقاب الأولين والآخرين من أهل السعادة والأيدي العظام عندهم التي يجازيهم الله عز وجل عليها .

ومنها : أن كل نفع وعمل صالح وطاعة الله في العالم ، فلهم من الأجر مثل أجور عامليها ، فسبحان من يختص بفضله من يشاء من عباده .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى سد جميع الطرق بينه وبين العالمين ، وأغلق دونهم الأبواب فلم يفتح لأحد قط إلا من

طريقهم وبابهم ، قال : وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك «^(١) . ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصمهم من العلم بما لم يخص به أهل بيته سواهم من العالمين ، فلم يطرق العالم أهل بيته أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وثوابه وعقابه وشرعه ومواقع رضاه وغضبه وملائكته ومخلوقاته منهم ، فسبحان من جمع لهم علم الأولين والآخرين .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصمهم من توحيده ومحبته بما لم يخص به أهل بيته سواهم .

ومنها : أنه سبحانه مكّن لهم في الأرض واستخلفهم فيها ، وأطاع لهم أهل الأرض ما لم يحصل لغيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى محا بهم من آثار الضلال والشرك ومن الآثار التي يبغضها ويمقتها ما لم يمحه بسواهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل آثارهم في الأرض سبباً لبقاء العالم وحفظه ، فلا يزال العالم باقياً ما بقيت آثارهم ، فإذا ذهبت آثارهم من الأرض فذاك أول خراب العالم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى غرس لهم من المحبة والإجلال والتعظيم في قلوب العالمين ما لم يغرسه لغيرهم .

وهكذا الناس إنما قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم ، وقيام أمرورهم وحصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم

(١) أخرجه ابن حميد وابن عوانة .

بحسب ظهورها بينهم وقيامها ، وهلاكهم وعنتهم وحلول البلاء
والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتخاذ
سواتها .

ومن تأمل تسلط الله سبحانه وتعالى البلاد والعباد من الأعداء ،
علم أن ذلك بسبب تعطيلهم لدين نبيه وستته وشرائعه ، فسلط الله
عليهم من أهلكهم وانتقم منهم ، وحتى أن البلاد التي لا ظهور
فيها لآثار النبي وستته وشرائعه ، يكون دفع البلاء عنها بحسب
ظهور ذلك بينهم ، وهذه الخصائص وأضعاف أضعافها من آثار
رحمة الله عز وجل وبركاته على أهل هذا البيت ، فلهذا أمرنا رسول
الله ﷺ أن نطلب له من الله أن يبارك عليه وعلى آله كما بارك على
هذا البيت العظيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن بركات أهل هذا البيت أنه سبحانه وتعالى أظهر على
أيديهم من بركات الدنيا والآخرة مالم يظهره على أيدي أهل بيته
غيرهم .

ومن بركاتهم وخصائصهم : أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم من
خصائصه مالم يعط غيرهم ، فمنهم من اتخره خليلاً .

ومن خصائصهم وبركاتهم على أهل الأرض : أن الله سبحانه
وتعالى رفع العذاب العام عن أهل الأرض بهم وبيعتهم ، وكانت
عادته سبحانه وتعالى في أمم الأنبياء قبلهم ، أنهم إذا كذبوا

أنبياءهم ورسلهم أهلکهم بعذاب يعمهم ، كما فعل بقوم نوح
واليهود وقوم صالح وقوم لوط ، فلما أنزل الله التوراة والإنجيل
والقرآن رفع بها العذاب العام عن أهل الأرض ، وأمر بجهاد من
كذبهم وخالفتهم ، وكان ذلك نصرة لهم بأيديهم وشفاء لصدورهم
واتخاذ الشهداء منهم وإهلاك عدوهم بأيديهم لتحصيل عقابه
سبحانه على أيديهم .



بئر الخاتم

وتسمى بئر «أرييس» نسبة إلى رجل اليهود ، كان يقال له : «أرييس» وهى أمام مسجد قباء ، وسميت بئر الخاتم لأنه سقط فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فى السنة السادسة من خلافته ، واجتهد ثلاثة أيام فى استخراجه بكل ما وجد إلى ذلك سبيلاً فلم يصل إلى هذه الغاية ، وقيل : سقط من يد معيقib ، واستدلوا بسقوطه على حادث فى الإسلام عظيم .

قالوا : ومنذ ذلك اليوم حصل فى خلافته من اختلاف الأمر لفوats بركة الخاتم .

وقد كان قبله فى يد أبي بكر ثم فى يد عمر رضى الله عنهمما ثم بقى فى يد عثمان (رضي الله عنه) ست سنين جاء فى صحيح الإمام مسلم من حديث سعيد بن المسيب قال : أخبرنى أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقال : لأ Zimmerman رسول الله ﷺ ولا تكون معه يومى هذا فجاء إلى المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا : خرج وجه ها هنا . قال : فخرجت على إثره أسأل عنه ﷺ فقالوا : حتى دخل بئر أرييس ، قال : فجلست عند الباب ، «وبابها من جريد» ، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته ، وتوضأ ، فقمت إليه ، فإذا هو قد جلس على بئر أرييس .

(كذا فى المغامن المطابه فى معالم طابة للفير وزبادى ص ٢٦)

زِمْرَمُ الْمَدِينَة

زمزم : بئر بالمدينة ، على يمين السالك إلى بئر على رضى الله عنه ، بعيدة عن الجادة قليلاً في سند من الحرة وحوّط حولها ببناء مجصص ، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر ، لم يزل أهل المدينة ينزلون بها ، وينقل ماوتها إلى الأفاق ، كما ينقل زمم مكة ، ولا يعرف فيها أثر (١) ، وهي بالقرب من البئر التي تعرف بسقيا سعد .

قال الشيخ جمال الدين المطري : ولا تعرف أهي السقيا الأولى لقربها من الطريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ قال : ولعلها البئر التي احتفرت بها فاطمة بنت الحسين بن على ، زوج الحسن بن الحسن بن على ، حين خرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى في أيام الوليد ، لما أمر بإدخال الحجرات وبيت فاطمة في المسجد فإنها بنت دارها بالحرة ، وأمرت بحفر بئر فيها ، فطلع لهم جبل وأكديه ، فذكروا لها ، فتوضأت وصلت ودعت ، ورشت موضع البئر بفضل وضوئها وأمرتهم فحفروا فبلغوا الماء بسرعة ، فالظاهر أنها هذه السقيا الأولى ، والله أعلم .

(١) قال السمهودي عن بئر زمم : اسم للبئر التي على يمين الذاهب للعقيق ، بعيدة عن الجادة ، وذكر في بئر « إهاب » : الظاهر أنها المعروفة اليوم « بزمزم » وهي في طرف الحرة الغربية .

(انظر المغافن في معالم طابة) ص ١٧٢ اهـ مالكي . (المؤلف).

العيق

وعن جابر بن عبد الله (رضي الله تعالى عنهمَا) قال : كان سلمة بن الأكوع الأسلى (رضي الله عنه) يصيد الظباء فيهدي لحومها لرسول الله ﷺ جفيناً وطرياً ففقده رسول الله ﷺ فقال : يا سلمة مالك لا تأتيني بما كنت تأتي به؟ فقال : يا رسول الله : تباعد عنا الصيد فإنما نصيد بتيب وصدور قناه ، فقال ﷺ : « أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت ، ولقيتك إذا رجعت ، فإني أحب العقيق ». .

وعن زكرياء بن إبراهيم قال : بات رجلان بالعقيق ، ثم أتيا رسول الله ﷺ قال : أين بتما؟ قالا : بالعقيق ، قال ﷺ : « لقد بتما بواط مبارك ». .

وعن عامر بن سعيد « رضي الله عنهمَا » قال : ركب رسول الله ﷺ إلى العقيق ، ثم رجع فقال : يا عائشة : جئنا من هذا العقيق ، فما ألين موطنَه ، وأعذب ماءَه ! قالت : قلتُ يارسول الله ، أفلَان تنتقل إلَيه؟ فقال ﷺ : وكيف وقد ابْتَنى الناس؟ ، وعن عامر بن سعيد رضي الله عنهمَا قال : إن رسول الله ﷺ نام بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يوقظه ، فحال بينه وبينه رجل من أصحابه وقال : لا توقظه ، فإن الصلاة لم تفته ، فتجاذبا

حتى أصاب بعض أحد هما رسول الله ﷺ فأيقظه ، فقال ﷺ :
ما لكم ؟ فأخبراه ، فقال : لقد أيقظت مانى ، وإنى لأرانى بالوادى
المبارك .

(انظر المفاسد المطابقة فى معالم طابة للفيروز أبادى ص ٢٦٦) .

أم معبد تتحدث عن المصطفى

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

جاء في الحديث أن النبي ﷺ أثناء هجرته من بآم معبد ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلي ، فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشتروننه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً . قالت : لو كان عندنا شيء ما أعزكم القرى ، وكانوا ممحلين فنظر إلى شاة في كسر خيمتها . فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد ، فقال : أتأذنين لي أن أحليها ؟ فقالت : إن كان بها حلب فاحلبه ، فدعها بالشاة فمسحها ، وذكر اسم الله ، فذكر الحديث في حلبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها إماءها ملأى ، وكان يربض الرهط ، فلما جاء بعلها استنكر اللبن ، وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ولا حلوبة في البيت ، والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله إنه من بنا رجل مبارك كان من حدثه كيت وكيت ، فقال : صفيه لي فوالله إنني لأراه صاحب قريص الذي يطلب ، فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، حسن الخلق مليح الوجه ، لم تعبه ث杰ة ، ولم تزربه صعلة ، قسيم وسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، أحور أكحل ، أزج ، أقرن ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعلية الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزد ولا هذر ، لأن منطقه خرزات

نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجملهم من بعيد ، وأحلام
وأحسنهم من قريب ، ربعة لاتثنؤه عين من طول ، ولا تقتحمه
عين من قصر ، غصن بين غصين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ،
وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن
أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محسود ، لا عابس ولا مفند .

فقال بعلها : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، ولو
صلفته لا لتمست أن أصحابه ، ولأجتهدن إن وجدت إلى ذلك
سبيلاً .

قال : وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه
ولا يرون من يقوله وهو يقول :

رفيقين حلا خيمتى أم معبد
 فأفع من أمسى رفيق محمد
 به من فعال لا تجازى وسؤدد
 فإنكمو إن تسألوا الشاة تشهد
 له بتصريح ضرة الشاة مزيد
 يدر لها فى مصدر ثم مورد
 جزى الله رب الناس خير جزائه
 هما نزلا بالبر وارتحالا به
 فيما لقصى ما زوى الله عنكم
 سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
 دعاها بشاة حائل فتحلىت
 فغادره رهناً لديها لحال

ثم إن الحافظ البهقى أتبع هذا الحديث بذكر غريبه . . .
ونحن نذكر هنا نكتاً من ذلك : فقولنا : ظاهر الوضاءة : أى
ظاهر الجمال . أبلغ الوجه : أى مشرق الوجه مضيئه ، «لم تعبه
ثجله» ، قال أبو عبيد : هو كبر البطن ، وقال غيره : هو كبر

الرأس ، «ولم تزر به صعلة» : وهو صغر الرأس ، وأما «الوسيم» فهو حسن الخلق ، وكذا «القسيم» أيضاً ، «والداعج» : شدة سواد الحدقة ، والوطف : طول أشفار العينين ، وفي صوته «صالح» وهو بحّة يسيرة ، وهى أحلى فى الصوت ، قال أبو عبيد : وبالصالح يوصف الظباء ، وأما قولها : «أحور» فمستغرب فى صفة النبي ﷺ وهو فى العين يزينها لايшинها كالحول ، وقولها : «أزج» . قال أبو عبيد : هو المتقوس الحاجبين ، قال : وأما قولها : «أقرن» فهو التقاء الحاجبين بين العينين ، قال : ولا يعرف هذا فى صفة النبي ﷺ إلا فى هذا الحديث .

قال : والمعرفة فى صفتة عليه السلام أنه أبلغ الحاجبين ، فى عنقه سطع ، قال أبو عبيد : أى طول ، وقال غيره : نور ، قلت : والجمع ممكن بل متعين ، وقولها : «إذا صمت فعليه الوقار» أى الهيبة عليه فى حال صمته وسكنه «وإذ تكلم سما» أى علا على الناس ، «وعلاه البهاء» أى فى حال كلامه حلو المنطق ، «فصل» أى فصيح بلين ، يفصل الكلام ويبينه ، «لا نظر ولا هذر» أى لا قليل ولا كثير ، «كأن منطقه خرزات نظمن» من حسنه وبلاعته وفصاحته وبيانه وحلاؤه لسانه ، «أبهى الناس وأجملهم من بعيد وأحلاتهم وأحسنهم من قريب» أى هو مليح من بعيد ومن قريب ، وذكرت أنه : «لا طويل ولا قصير» بل هو

أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابه يعظمونه ويخدمونه
ويقادون إلى طاعته وما ذلك إلا لجلاله عندهم وعظمته في
نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس ، أى ليس يعبس ، « ولا
يفند أحداً » ، أى يهجنه ويستقل عقله ، بل جميل المعاشرة ،
حسن الصحبة ، صاحبه كريم عليه ، وهو حبيب إليه صلى الله
عليه وأله وسلم .

(انظر البداية والنهاية ح ٦ ص ٣١).



مشاركته أصحابه في العمل

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

جاء في الأثر أن رسول الله ﷺ في غزوة الخندق اشترك مع المهاجرين والأنصار في حفر الخندق وعمل فيه ، فكان أحياناً يحمل معهم التراب ، وأحياناً ينشد نشيداً ينشط به العاملين ، وهم يجيئونه باخر . روى البخاري : أن الصحابة كانوا يحفرون وينقلون التراب على ظهورهم ورسول الله ﷺ ينشدهم قول عبد الله ابن رواحة :

اللهم إن العيش عيش الآخرة
فاغفر لـلأنصار والمهاجرة
والله لـولا أنت ما اهدـتـنـا
ولا تصدقـنا ولا صـلـيـنـا
فـأـنـزلـنـ سـكـيـنـةـ عـلـيـنـا
وـبـثـتـ الـأـقـدـامـ إـنـ لـاقـيـنـا
إـذـاـ أـرـادـواـ فـتـنـةـ أـبـيـنـا

وكان الصحابة يجيئون بعد كل بيت ينشده بقولهم :

نـحـنـ الـذـيـنـ بـأـيـعـواـ مـحـمـداـ عـلـىـ الـجـهـادـ مـاـ بـقـيـنـاـ أـبـداـ
وـقـدـ سـنـ نـبـيـ الـإـسـلـامـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ فـىـ الـعـالـمـ الـإـنـسـانـىـ
اشـتـرـاكـ الرـؤـسـاءـ وـالـعـظـمـاءـ فـىـ الـعـلـمـ مـعـ مـنـ يـعـمـلـ تـحـتـ سـلـطـانـهـمـ
وـنـفـوـذـهـمـ ،ـ ثـمـ خـفـفـ عـنـ الـعـامـلـيـنـ التـعبـ وـالـنـصـبـ ،ـ بـمـاـ كـانـ
يـنـشـدـهـ مـنـ الرـَّجـزـ لـيـرـدـدـواـ فـيـسـهـلـ الـعـلـمـ وـيـجـمـلـ ،ـ فـيـذـهـبـ الضـجرـ
وـالـمـلـلـ ،ـ فـهـلـ نـصـ التـارـيـخـ عـلـىـ أـنـ عـظـيـمـاـ مـنـ عـظـمـاءـ أـىـ دـوـلـةـ

فيما مضى أو في هذا العصر الذي يسمونه : (عصر العمل والعمال) فعل كما فعل رسول الله ﷺ مع شعبه وقومه ؟ اللهم : لا ، فالإسلام هو مهد الحضارة الحقة والحرية الكاملة ، والعدالة الشاملة وهو دين الإخاء والمساواة ، وليس له في ذلك شريك .

صورة من صبره

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد اتصف النبي الكريم ﷺ بالصبر ، وشدة الاحتمال ، والعفو عند المقدرة ، كان لا يزداد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً ، لقى في سبيل الله الشدائد ، وتعرض للمكاره ، وهو لا يزداد إلا ثباتاً ومضاء وإقداماً ، ويقول :

« والله لو وضعوا (بريداً قريشاً) الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ولما أصابه من قريش ما أصابه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال ﷺ : « إنني لم أبعث لعاناً ، ولكنني بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » ^(١) .

(١) رواه الطبراني في الكبير والبخاري في الأدب ومسلم في الصحيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والبيهقي في شعب اليمان بهذا اللفظ الذي كتبه المؤلف .

ثلاثة من أعظم قريش يقرؤن بصدق وأمانة النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقي رجل أبا جهل - وكان من ألد أعداء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد رسالته - فقال له : يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا ، فخبرني عن محمد صادق أم كاذب ؟ فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ومع ذلك لم يؤمن به عناداً واستكباراً .

وسائل (هرقل) عنه (أبا سفيان) قبل أن يسلم أبو سفيان ، فقال : هل كنتم تتهمنه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . وقال : (النصر بن أبي الحرت) لقريش المكذبين لمحمد : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو ساحر ، فهذه شهادة ثلاثة من أعظم قريش ، اتفقوا على صدقه وأمانته عَزَّلَهُ اللَّهُ .

«والفضل ما شهدت به الأعداء»

كمال وجهه

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

أجمعت كلمة الصحابة الذين وصفوا رسول الله ﷺ على أنه كان منير الوجه ، مشرق المحيا ، يتلألأ بالنور الباهر والضياء الظاهر والبهاء الظاهر ، فمن الصحابة من ضرب المثل لبهاء نوره ﷺ بالشمس ، ومنهم من شبه ذلك بالقمر ، ومنهم من شبه لمعة إشراقات وجهه بلمعة القمر ، وقد تقدم قول كعب في الحديث الصحيح ، « وكان إذا سر ﷺ استثار وجهه كأنه قطعة قمر » .

وجاء في حديث الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة ، قال : « كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر » رواه الترمذى .

ونظر إليه جابر بن سمرة في ليلة مقرمة فقال « فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهم عندي أحسن من القمر » رواه الترمذى وهو صحيح .

وسأل رجل البراء بن عازب : أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ ، فقال : « لا بل مثل القمر » رواه البخارى والترمذى .

وقال جابر : « مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً » رواه مسلم وتقول السيدة عائشة : « كان ﷺ أحسن الناس وجهًا ، وأنورهم لوناً لم يصفه واصف إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر ، وكان عرقه

فِي وَجْهِهِ مِثْلُ الْلَّؤْلُؤِ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمُسْكِ الْأَذْفَرِ» رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ .
وَقَبْلِ لِلرَّبِيعِ بْنِ مَعْوِذٍ : «صَفِى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ! فَقَالَتْ :
يَا بْنِي لَوْ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً» رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ .

وقال أبو هريرة : « كأن الشمس تجري في وجهه » رواه الترمذى ، ووصفته أم معبد فقالت : « رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، حسن الخلق ، مليح الوجه ، قسيماً وسيماً » الحديث رواه البهقى والحاكم وصححه ، وهو من الشهرة بمكان .

سید ولد آدم

قال الحافظ الدارمي، في سننه المعروفة:

أخبرنا عبد الله بن عبد المجيد ، حدثنا زمعة عن سلمة عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ يتظرونه ، فخرج ، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فتسمع حديثهم ، فإذا بعضهم يقول : عجبا : إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، فإبراهيم خليله ، وقال آخر : ماذا بأعجب من موسى : « وكلم الله موسى تكليماً » ، وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه . وقال آخر : وأدم اصطفاه الله ، فخرج صلى الله عليه وآله وسلم عليهم فسلم ، وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم : إن إبراهيم خليل الله ، وهو كذلك ، وموسى نجيء وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وأدم اصطفاه الله وهو كذلك ،

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيمة
تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيمة
ولا فخر ، وأنا أول من يحرك بحلق الجنة ولا فخر ، فيفتح الله لي
فيدخلنها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين
والآخرين على الله ولا فخر». سنن الدارمى ج ١ ص ٣٠

استرجاع النبى ﷺ لصفية من دحية

جاء فى الحديث أن النبى ﷺ استرجع صفية بنت حبيى من
دحية الكلبى ، وقال له : خذ غيرها من السبى ، وذلك فى غزوة
خيبر ، ورواه البخارى فى مواضع ، منها فى «باب ما يذكر فى
حكم الفخذ» من كتاب الصلاة .

قال القسطلاني : «وارتجعها منه ، لأنه إنما كان أذن له فى
جارية من حشو السبى ، لا من أفضلهن ، فلما رأه أخذ أنفسهن
نسباً وشرفاً وجمالاً ، استرجعها لئلا يتميز دحية بها على سائر
الجيش ، مع أن فيهم من هو أفضل منه ، وأيضاً لما فيه من
انتهاكها مع مرتبتها ، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره ، مما
لا يخفى ، فكان اصطفاؤه ﷺ لها قاطعاً لهذه المفاسد .

وفي فتح البارى ، نقاً عن الشافعى فى «الأم» عن سيرة

الواقدى ، أنه (عليه الصلاة والسلام) أعطى دحية أخت كنانة بن الريبع بن أبي الحقيق زوج صفية ، (أى تطييباً لخاطره).

وفي سيرة ابن سيد الناس أنه أعطاه ابنتى عم صفية ، اهـ / ارشاد السارى ١ / ٣٩٩ .

قلت : وبهذا ظهر أنه عَزَلَهُ اللَّهُ لم يعطه صفية ابتداءً بالتعيين ، وإنما أذن له في أن يأخذ جارية من السبى فاختار هو صفية .

قاعدة طبية نبوية في المركبات من الأدوية

جاء في الحديث : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كان يأكل القثاء بالرطب » وهو صحيح .

وفي الترمذى : « أنه جمع بين البطيخ والرطب » وقال : يكسر حر هذا برد هذا .

قال القرطبي : يؤخذ من هذا جواز مراعاة صفات الأطعمة وطبقائهما واستعمالها على الوجه اللائق بها ، على قاعدة الطب ، لأن في الرطب حرارة ، وفي القثاء برودة ، فإذا أكلَا معاً اعتدلا ، وهذا أصل كبير في المركبات من الأدوية ، انتهى .

من « نفاثات صدر المكمد بشرح ثلاثيات مسنن أحمد » للسفارينى ٢ / ٥٥٤ .

حنين الجذع للنبي

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

قال الإمام الحافظ الدارمي في سنته : أخبرنا محمد بن حميد ، حدثنا تميم بن عبد المؤمن ، حدثنا صالح بن حيان ، حدثني ابن بريدة ، عن أبيه ، قال : كان النبي ﷺ إذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليه قيامه ، فأتى بجذع نخلة فحفر له ، وأقيم إلى جنبه قائماً للنبي ﷺ فكان النبي ﷺ إذا خطب فطال القيام عليه ، استند إليه فاتكاً عليه ، فبصر به رجل كان ورد المدينة فرأه قائماً إلى جنب ذلك الجذع ، فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أنَّ محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام ، بلغ ذلك النبي ﷺ فقال : ائتونى به ، فأتوه ، فأمر أن يصنع له هذه المراقي الثلاث أو الأربع [هي الآن في منبر المدينة] فوجد النبي ﷺ في ذلك راحة ، فلما فارق النبي ﷺ الجذع ، وعمد إلى هذه التي صنعت له ، جزع الجذع فحن كما تحن الناقة ، حين فارقه النبي ﷺ ، فزعم بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه ، وقال : اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت ، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها : فيحسن نبتك وتشمر فيأكل أولياء الله من ثمرك

ونخلك ، فزعم أنه سمع من النبي ﷺ وهو يقول له : نعم ، قد فعلت (مرتين) فسأل النبي ﷺ فقال : اختار أن أغرسه في الجنة .

وفي رواية : « حن ذلك الجذع حتى سمعنا حنينه ، فوضع رسول الله ﷺ يده عليه فسكن » وفي رواية أخرى « أنه لما حن احتضنه ﷺ وقال : لو لم أحتضنه لحنَ إلى يوم القيمة ». (روى ذلك الدارمي في سننه ج ١ ص ٢٣).

تفضيل النبي على الكوينين

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الإمام الحافظ الدارمي في سننه المعروفة :

أخبرنا إسحق بن إبراهيم ، أخبرنا بن أبي حكيم ، حدثني الحكيم بن أبيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء ، فقالوا : يا ابن عباس بم فضله على أهل السماء ، قال : إن الله قال لأهل السماء : « ومن يقل منهم إني إلى منه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » الآية .

وقال الله لمحمد ﷺ : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قالوا : بما فضله على الأنبياء ؟ قال

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيَبْيَنَ لَهُمْ ﴾ الآية وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ ﴾ فأرسله إلى الجن والإنس .

(انظر سنن الدارمى ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠) .

معجزة باهرة

قال الإمام الحافظ الدارمى فى سننه المعروفة :

أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبان (وهو العطار) حدثنا قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي عبيد ، أنه طبخ للنبي ﷺ قدراً فقال له : ناولنى الذراع ، (وكان يعجبه الذراع) فناوله الذراع ، ثم قال : ناولنى الذراع ، فناولة ذراعاً ، ثم قال : ناولنى الذراع ، فقلت يا نبى الله : وكم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذى نفسي بيده لو سكت لأعطيت أذرعاً ما دعوت به .

(انظر سنن الدارمى ١ ص ٢٧) .

أشياء ما كان يردها

(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

جاء فى حديث الترمذى : « ثلث لا ترد : اللبن ، والوساد ، والدهن » .

وأنشد بعضهم :

قد كان من سيرة خير الورى صلى الله عليه طول الزمن
أن لا يرد الطيب والمتكا والتمر واللحـم معـاً واللبـن

وأوصلها الحافظ السيوطي إلى سبع
عن المصطفى سبع يسن قبولها
إذا ما بها قد أتحف المرأة خلان
فحلو ، وألبان ودهن وسادة
ورزق لمحجاج وطيب وريحان
وفي طبقات الشعراوى عن سفيان بن عيينه : « ماء زمزم بمنزلة
الطيب ، لا يرد » .

محبته ﷺ لماء زمزم وطلبه له من المدينة المنورة

كان ﷺ يرسل في طلب ماء زمزم ، ويحرص على ذلك فكان
يحمل إليه مخصوصاً من مكة إلى المدينة المنورة ، وقد ترجم في
الإصابة لأئية الخزاعي ، عن أبي قرة (موسى بن طارق) : أن
النبي ﷺ كتب إلى سهيل بن عمرو : (وإن جاءك كتابي ليلاً فلا
تصبحن ، أو نهاراً فلا تمسين حتى تبعث إلى من ماء زمزم ،
قال : فاستعان سهيل بأئية الخزاعي ، حتى جعل مزادتين ملأهما
سهيل من ماء زمزم ، وبعث بهما على بعيره ، ورواه المفضل بن
محمد الجنوي ثم ترجم في الإصابة أيضاً : أزيهر مولى سهيل بن
عمر له صحبة أرسله مولاه سهيل إلى النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم بماء زمزم .

وروى الفاكهي من طريق محمد بن سليمان ، عن حرام بن

هشام عن أبيه عن أم معبد ، قال : مرّ بخيتى غلام سهيل أزير
ومعه قربتا ماء ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : إن النبي ﷺ كتب إلى
مولاه سهيل يستهدىء ماء زمزم فإني أتعجل السير لكيلا تنشف
القرب .



تنقله عَلَيْهِ الْمَسْكُون من عهد آدم في أصلاب الأنبياء

روى الحافظ عبد الرحمن بن الدبيغ الشيباني مؤلف « جامع الأصول » قال : قال عَلَيْهِ الْمَسْكُون « كنت نوراً ^(١) بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام ، يسبح الله ذلك النور ، وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طيته ». .

قال عَلَيْهِ الْمَسْكُون : « فأهبطني الله عز وجل إلى الأرض في ظهر آدم ، وحملني في السفينية في صلب نوح ، وجعلني في صلب الخليل إبراهيم حين قذف به في النار ، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة ، حتى أخرجني الله من بين أبيي ، وهو مالم يتقيا على سفاح قط ». .

وقد مدح العباس (رضى الله عنه) رسول الله عَلَيْهِ الْمَسْكُون في قوله :
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لبشر أنت ولا مضعة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد تنقل من صلب إلى رحم
إذا مضى عالم بما طبق ووردت نار الخليل مستتراً
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف ^(٢) علية تحتها النطق ^(٣)

(١) قوله كنت نوراً، رواه محمد بن عمر العدنى شيخ مسلم فى مسنده، وابن الجوزى فى «الوفا» ٢٥ / ١ وفي الموضوعات له ، والسيوطى فى الالائى المصنوعة ٣٤٥ / ١ والقاضى عياض فى الشفا، وقال : يشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور فى مدحه عَلَيْهِ الْمَسْكُون ٨٣ / ١ - ٩٠ مالكى . (المؤلف).

(٢) الخندقة : أن يمشى مفاجأ ويقلب قدميه كأنه يغرف بهما ، وهو من التبختر . اهـ قاموس .

(٣) النطق : أعراض وحال بعضها فوق بعض ، شبهت بالنطق الذى تشد بها الأوساط والمتطرق : العزيز .

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر هذه الأبيات في ترجمة « خريم بن أوس » قال : « هاجرت إلى رسول الله ﷺ فقدمت عليه منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ! فقال له النبي ﷺ : قل لا يفضض الله فاك . فأنشأ يقول : وساق الأبيات ، ثم قال : وقد روی هذه الأبيات جرير بن أوس أخو خريم بن أوس كما رواه خريم .

(كذا في الاستيعاب ٣٤٠ / ٣)

قال مقيده عفا الله عنه : وجرير هذا قدم مع أخيه خريم على النبي ﷺ . قال ابن عبد البر : جرير بن أوس الطائي : هاجر إلى رسول الله ﷺ فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم . وروي شعر العباس بن عبد المطلب الذي مدح به النبي ﷺ ثم قال : خريم وجرير قدما على إلى النبي ﷺ ورويا شعر العباس .

(الاستيعاب ٣٤٠ / ٣).

قال مقيده عفا الله عنه : وذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة خريم ، وقال : رواها ابن خيثمة ، والبزار وابن شاهين ١ / ٤٣٣ .

قال مقيده عفا الله عنه : ثم ظفرت بفائدة نفيسة ، وهي أن الحاكم روى أيضاً في كتابه « المستدرك » هذه الأبيات عن خريم

، وأقره الذهبي ، وهو معروف بتشدده وتعنته ، فقال : رواية الأعراب عن آباءهم ، ومثلهم لا يضعون . (كذا في المستدرك وتلخيصه) ٣٣٧ / ٣

وقد ذكر هذه الآيات أيضاً الحافظ ابن كثير في السيرة ١ / ١٩٥ عن أبي السكن زكرياء الطائي ، عن زخر بن حصين ، عن جده حميد بن منهب ، قال : قال جدتي خريم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله ﷺ ، فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول الله إني أريد أن امتدحك ! فقال له النبي ﷺ : « قل لايفضض الله فاك » فأنشأ يقول ... وقال : قد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت ، والمحفوظ أن هذه الآيات للعباس .

وجاء عن ابن عباس ما يؤيد هذا التنقل النبوى في تفسير قوله تعالى من سورة الشعراة : « وتقلبك في الساجدين » قال ابن عباس : يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه (أخرجها ابن أبي حاتم) وابن مردويه ، وأبو نعيم في الدلائل .
(كذا في الدر المثور، ٥ / ٩٨).

ونقل هذا أيضاً ابن كثير في تفسيره وابن أبي حاتم وابن الجوزي كلهم في سورة الشعراة ، عند قوله تعالى : « وتقلبك في الساجدين » وجاء مثل هذا عن مجاهد أخرجته سفيان بن عيينة والقربابي ، والحميدى ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ،

وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردویه ، والبيهقي في الدلائل ، ونحوه عند البزار ، والطبراني عن مجاهد قال : « من نبى إلى نبى حتى أخرجت نبىاً » .

(كذا في الدر المثور) .

وبهذا ظهر أن مسألة تنقله ﷺ أمر ثابت من طريق أبيات العباس التي قالها أمام النبي ﷺ ، وأقره عليها ، ويؤيد هذا ما جاء عن ابن عباس في تفسير آية : ﴿ وَتَقْلِبُكُمْ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ فهذا أمر ثابت نقاًلاً ، وقد يظن بعض من ساء فهمه وضاق عقله أن هذا التنقل ذاتي وأنه خاص بالذات المحمدية فتنقل من صلب إلى صلب ومن بطن إلى بطن ، وهذا لا يقول به إلا جاهل أو مجنون والذى أراه وهو الحق إن شاء الله : أن هذا التنقل ليس تنقاً بالذات ، وعليه فليس هو خاصاً به ﷺ ، بل هو عام في جميع الذرية التي كانت في أصلاب هؤلاء النبيين المذكورين عليهم الصلاة والسلام ولكن لرسول الله ﷺ وجود أتم وأكمل ، ولعل ذلك كان يعلم منه وشعور بقى في تلك الحالة ، حين ظهوره في العالم الدنیوی ، وهذا التنقل أيضاً معناه ، إعلام كل نبى من أجداده بأن محمداً ﷺ في ضمن ذريته ، وهذا وجه تميذه ﷺ عن غيره ، وهى خصوصية خصه الله بها ، وأما غيره من الذرية فيحتمل أنهم كان لهم شعور ما في تلك الأحوال ، سيما عندأخذ الميثاق ، ولكنه لم يبق لهم ذلك لا علمأ ولا شعوراً ، كما بقى له ﷺ كما أن غيره من الذرية لم يحصل إعلام لأجدادهم بهم ، أو

إخبار عنهم لهم ، والذى يؤيد هذا المعنى الذى فتح الله به علىَّ :
هو أن الذرية من ظهر آدم لا محالة - حتى في الجنة - كما جاء في
الحديث : « وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم »؟ وفي
محاجة موسى لأدم : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة
بخطيئتك !

وورد في الحديث : « إن الله تعالى لما استخرج الذرية من ظهر
آدم عليه السلام فرأتهم الملائكة ... » الحديث وورد أيضاً « أنه
استخرج الذرية من ظهر آدم فرأى منهم واحداً ... (١) » الحديث
وما أحسن قول الحافظ المحدث السلفي شمس الدين بن ناصر
الدمشقي :

تنقل أَحْمَدْ نُورًا عَظِيمًا تَلَأَّ فِي جَبَاهِ السَّاجِدِينَ
تَقْلِبُ فِيهِمْ قَرْنَا فَقَرَنَا إِلَى أَنْ جَاءَ خَيْرَ الْمَرْسُلِينَ

(كذا في مسالك الحنفية للسيوطى)

(١) حديث : لما استخرج الله الذرية من ظهر آدم ... الخ

رواه الترمذى وصححه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : لما خلق الله
آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها [من ذريته] إلى يوم القيمة وجعل بين عيني
كل رجل منهم وبصراً من نور ثم عرضهم على آدم فقال : يارب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك
فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبصراً ما بين عينيه فقال : أى ربٍ من هذا قال : هذا رجل من آخر الأئم
من ذريتك يقال له : داود فقال : يارب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أى رب زده من
عمرى أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم عليه السلام جاءه ملك الموت ، فقال : أو لم يبق من
عمرى أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنته داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسى آدم
فنسيت ذريته ، وفي غير الترمذى : فحيثئذ أمر بالكتاب والشهود .

النور المحمدى

عن جابر بن عبد الله قال : قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى
أخبرنى ، عن أول شيء خلقه الله قبل الأشیاء .

قال : يا جابر إن الله تعالى : خلق قبل الأشیاء نور نبيك من
نوره ...) الحديث رواه عبد الرزاق الصنعاني بسنته عن
جابر (١) .

(كذا في المواهب اللدنية ١ / ٩)

(١) تعليق على حديث أولية النور المحمدي

حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ...» الخ ذكره جمع من العلماء وعزوه إلى مصنف عبد الرزاق ، منهم الإمام القسطلاني في المواهب وابن حجر في شرح الهمزة والعلجوني في كشف الخفا وغيرهم ، إلا أنَّ من يطالع مصنف عبد الرزاق - المطبوع والمتداول الآن - لا يجد هذا الحديث ومن هنا ارتتاب البعض في شأن هذا الحديث ومنهم من حكم بوضعه وقد جانبه الصواب في ذلك وكان الأولى أن يتبرأ وأن يراعي لهؤلاء العلماء والحفظ قدرهم حيث استدلوا بالحديث وأوردوه في مصنفاتهم من غير استدراك ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، وذكر الحديث الشيخ رشيد الراشد التاذفي في ج ١ ص ١٤ من كتابه «السيرة المرضية» وعلق عليه بقوله : رواه عبد الرزاق في مصنفه والله لفظ له والبيهقي عن جابر وصححه ابن القطان . ١- وكيف يسوغ أن يُحکم بوضع الحديث دون معرفة إسناده؟ وكل من حكم على متنه بالوضع متوهماً أنه يدل على أن الله نور بمعنى الضوء وأن النبي ﷺ جزء من الله لأنه جزء من نوره ، فهو حكم غير سديد لأن للحديث معنى مستقيماً يمكن أن يحمل عليه ، وذلك بأن تكون الإضافة للتشريف والتعظيم وليس «من» للتبعيض ، ومثاله قوله تعالى : «إِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» قوله : «أن طهر بيته» قوله : «وَسَخَرْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ» ويؤيد هذا ما ذكره البيضاوى في تفسير قوله تعالى : «ثُمَّ سَوَاه وَنَفَخْ فِيهِ مِنْ رُوحِه» حيث قال =

= أضافه إلى نفسه تشيريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب وأن له مناسبة إلى حضرة الرّبوبية اهـ [كشف الخفا ج ١ ص ٣١٢].

هذا وما عليه عقيدة أشياخنا وأئمتنا من العلماء العاملين وأهل المعرفة المحققين : أن أول المخلوقات على الإطلاق نور نبينا ﷺ فهو أول مخلوق للذات العلية وب بواسطته وسيبه وجدت جميع الكائنات العلوية والسفلية وإلى هذا يشير حديث جابر رضي الله عنه عندما سأله النبي ﷺ عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال : يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا إنس ولا جان فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث بقية الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنفسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الحديث اهـ [انظر كتاب استحالة المعية بالذات للشنقطي ص ٣٥٣].

هذا وقد وردت أحاديث أخرى تؤيد هذا الحديث منها : ما جاء في أحكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : كنت نوراً بين يدي ربِّي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام . اهـ [استحالة المعية بالذات ص ٣٥٣] وحديث : «أول ما خلق الله نورى» ذكره العلامة الفاسى فى شرح دلائل الخبرات ، وقال عنه السيوطي فى تخریج أحاديث شرح المواقف (ص ١٢٣) : لا يحضرني بهذا اللفظ لكن فى مسند ابن عمر العدنى عن ابن عباس : إن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم أبقى ذلك في صلبه ، قال رسول الله ﷺ فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقدفه في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينتقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الظاهرة حتى أخرجني من بين أبوئي لم يلتقطها على سفاح فقط اهـ [اط دار المعرفة ١٤٠٦] هذا ولا يخفى أن المراد من هذه الأحاديث هو بيان حقيقته النورانية ﷺ لا حقيقته الطينية فهو أول الخلق في الأنوار وإن تأخر في الظهور والإرسال .

= وكون حديث جابر ليس موجوداً في النسخة المطبوعة من مصنف عبد الرزاق لا ينفي صحة ما ذكره بعض الحفاظ كابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية والقسطلاني وغيرهما، وبيان ذلك أن المحدث حبيب الرحمن الأعظمي الذي حقق المصنف نبه في أوله على أن جميع النسخ المخطوطة والمصورة ناقصة وأن أتمها نسخة [مراد ملا] ثم طلب من يعثر عليها أن يضيفها إليه. وعليه فلا يصح القول بعدم وجود الحديث في المصنف حتى يظهر الناقص منه.

ولا يعارض حديث أولية النور المحمدي ما ورد من أحاديث أخرى في أن أول شيء خلقه الله القلم [رواه أحمد والترمذى وصححه من حديث عبادة بن الصامت] وكذلك حديث الماء والعرش فقد قال العلامة الشنقيطي : إن أولية ذلك بالنسبة إلى ما عدا النور المحمدي أو أن الأولية فيما عدا النور المحمدي في كل بالإضافة إلى جنسه فأولية ما عدا النور المحمدي أولية نسبية أما حديث «أول ما خلق الله العقل» فلم يثبت له . [راجع لمزيد الفائدة كتاب استحالة المعية بالذات للعلامة الشنقيطي طبعة صبيح].

وقال الزرقانى : رواه البيهقى أيضاً ببعض المخالفة ، ولا يعارضه حديث الترمذى : « أول ما خلق الله القلم » إذ يمكن الجمع بينهما بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور محمدى ، وقيل الأولية فى كل شيء بالإضافة إلى جنسه ، أى أول ما خلق الله من الأنوار نورى .

ومما يثبت هذه النورانية المحمدية ما رواه على بن الحسين عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ قال : « كنت نوراً بين يدي ربى ». (المواهب اللدنية ١ / ١٠)

وهذا الحديث ذكره الحافظ أبو الحسين على بن محمد بن القطان فى أحکامه وابن القطان من نقاد الحديث المعروفين بصناعته ، ومن أشد العلماء عناية بالرواية والحفظ والإتقان .

ومما يثبت هذه النورانية قوله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ فقد قال كثير من العلماء : إن المراد بالنور هو محمد ﷺ كذا فى تفسير الطبرى ، وابن حاتم والقرطبى .

وقال قتادة : يعني بالنور محمداً (كذا فى تفسير ابن الجوزى ٣١٧) .

ومما يدل على هذه النورانية أيضاً ما ثبت بالطرق المستفيضة

من أنه عَزَّلَهُ اللَّهُ لما ولد « رأت أمه نوراً » وخرج معه نور أضاءات .
له قصور الشام . قال ابن حجر : وصحح ذلك ابن حبان
والحاكم .

(كذا في المawahب ١ / ٣٣).

ومما يثبت هذه النورانية ما جاء في حديث الطبراني : « ورأينا
كأن النور يخرج من فيه » .

وما جاء عن ابن عباس قال : إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين
ثناياه (غزاه الزرقانى للترمذى والدارمى) وما جاء عن ابن أبي هالة
(عند الترمذى فى الشمائى) فى وصفه عَزَّلَهُ اللَّهُ إذ قال : « له نور يعلوه
وما جاء عن السيدة عائشة قالت : « كنت قاعدة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت .
فقال : مالك بهت ؟ قلت : جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقه
يتولد نوراً ، ولو راك أبو كبير الهدلى لعلم أنك أولى بشعره حيث
يقول :

ومبراً من كل غبر حيضةٍ وفساد مرضعةٍ وداء مغيلٍ
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل .
ومما يدل على أوليته عَزَّلَهُ اللَّهُ ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص
عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل
أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على

الماء ومن جملة ما كتب في الذكر - وهو أم الكتاب - إن محمداً خاتم النبيين » أخرجه مسلم وفي رواية « إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمجنده في طيته ، رواه أحمد والبيهقي والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وفي رواية أنه قيل له : متى وجبت لك النبوة ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد » رواه الترمذى وحسنه .

وفي رواية : « كنت أول النبيين في الخلق وأخرهم في البعث » قال السخاوى : رواه أبو نعيم في الدلائل ، وابن أبي حاتم في تفسيره . وابن لال من طريقه عن أبي هريرة مرفوعاً « وله شاهد صحيحه الحاكم ، وأخر في صحيحى ابن حبان والحاكم ، وثالث عند الترمذى ، وقال عنه : حسن صحيح ، وأما الذي يجري على الألسنة « كنتنبياً وآدم بين الماء والطين » فلم نقف عليه بهذا اللفظ ، فضلاً عن زيادة « كنتنبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » . وقال الحافظ ابن حجر ، في بعض أجوبته عن الزيادة : إنها ضعيفة والتى قبلها أقوى .

(المقاصد الحسنة ، وكشف الخفاء والإلباس : حرف الكاف)

قال مقيده عفا الله عنه : لكن الشيخ العلقمى في شرح الجامع الصغير ، قال عن هذا الحديث : « كنتنبياً وآدم بين الماء والطين » إنه حديث صحيح (كذا في شرح الجامع) .

ومما يدل على نورانيته ﷺ أنه مجاب الدعوة ، وقد دعا وطلب أن يكون نوراً ، فقال : اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصرى نوراً وفي شعرى نوراً ثم قال : واجعلنى نوراً» وهو حديث صحيح .

أفضلية النبي على الملائكة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد فضل الله على أنبيائه ورسله من البشر ، وكذلك فضله على من اصطفاه من رسله من أهل السماء وملائكته ، لأن أفضلاً من البشر أفضل من الملائكة لقوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » والملائكة من جملة البرية ، لأن البرية الخليقة مأخوذة من برأ الله الخلق ، أي اخترعه وأوجده . ولا تدخل الملائكة في قوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات » مع أنهم قد آمنوا وعملوا الصالحات ، لأن هذا اللفظ مختص بعرف اللغة - فيمن آمن من البشر ، بدليل أنه هو المبادر إلى الأفهام عند الإطلاق .

فإن قيل : البرية مأخوذة من البرا وهو التراب ، فكأنه قال : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البشر ، فالجواب من وجهين : أحدهما أن أئمة اللغة قد عدوا البرية من جملة ما تركت العرب همزه ، والوجه الثاني : وهو الأظهر : أن نافعاً قرأ بالهمز ، وكلا القراءتين كلام الله ، فإن كانت إحداهما فضلت

الذين آمنوا وعملوا الصالحات على سائر البشر ، فقد فضلتهم القراءة الأخرى على سائر الخلق .

وإذا ثبت أن أفالأنبياء أفضل البشر أفضل من الملائكة . فالأنبياء صلوات الله عليهم وسلمه أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، بدليل قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الأنبياء : ﴿وكلاً فضلنا على العالمين﴾ فدللت الآية على أنهم أفضل البشر ، وأفضل من الملائكة ، لأن الملائكة من العالمين ، سواء كان مشتقاً من العالم أو العلامة .

وإذا كان الأنبياء أفضل من الملائكة ورسول الله ﷺ أفضل من الأنبياء ، فقد ساد سادات الملائكة ، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين ، وأعلى منهم برتبتين ، لا يعلم قدر تنيك الدرجتين وشرف تنيك الدرجتين إلا من فضل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين على جميع العالمين .

(انظر بداية السول للعز بن عبد السلام) .



قبول الصلاة والسلام عليه ﷺ بلا قيد أو شرط

قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقى السرهندي فى مكتوباته : قال العلماء : إن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة ولو صدرت رباء وسمعة ، وهي واصلة للنبي ﷺ ، وإن لم يحصل منها ثواب إلى المصلى ، فإن حصول الثواب من الأعمال مربوط بتصحیح النية ، وأما وصولها إلى النبي ﷺ الذي هو محبوب رب العالمين ، وكونها مقبولة في حقه - ﷺ - فتكفيه أدنى علة .

قال أبو العباس التجانى - رضى الله عنه - كما نقله عنه فى جواهر المعانى : ولا وسيلة عند الله أعظم نفعا وأرجى فى استجلاب رضا رب عن العبد فى حق العامة أكبر من الصلاة على النبي ﷺ ، وإن تدافعت العلماء فى القطع بقبولها ، فمن قائل بأن قبولها قطعى ، ومن قائل بعدم القطع بقبولها ، كسائر الأعمال ، والذى نقول به : إنها مقبولة قطعا ، والحجة لنا فى ذلك : أن الله يقول للنبي ﷺ : «من صلى عليك صلیت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه»^(١) .

وهذا الوعد صادق لا يخلف وهو لا من حيثية العبد ، بل من

(١) وفي حديث الإمام مسلم وأحمد وأبي داود والترمذى والنسائى الذى رواه أبو هريرة (رضى الله عنه) «من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرة» .

حيثية شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيه صلى الله عليه وأله وسلم وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلى عليه - ﷺ - لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء ، وهو معنى قبول الصلاة من العبد .

قال ﷺ : « كل الأعمال منها المقبول والمردود إلا الصلاة على فإنها مقبولة غير مردودة » (١) .

قال في الإبريز : ولهذا نرى الرجلين كل منهما يصلى على النبي ﷺ فيخرج لهذا أجر ضعيف ويخرج لهذا أجر لا يكيف ولا

(١) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة : قال ابن حجر : ضعيف جداً / اهـ . هذا وقد أحسن القائل : أدم الصلاة على العبيب محمد فقبولها حتم بدون تردد إلا الصلاة على النبي محمد أعمالنا بين القبول وردها

هذا آخر ما يسره الله تعالى من التعليقات . نسأل الله عز وجل أن يتقبلها وأن يجعل فيها قبسا من نور ينبد ظلة الخلاف من الصدور ، وأن يجازي المؤلف خير الجزاء بما جمعه من بعض كمالات سيدنا محمد صلى الله عليه وأله وسلم وخصائصه التي نشر قلب المؤمن الحاذق وتشرح صدر المحب الصادق .

ولله در ابن الوردي حيث يقول :

فالناس لم يصنفوا في العلم * *
لكي يصيروا هدفا للذم ما صنفوا إلا رجاء الأجر
والدعوات وجميل الذكر

وهناك مباحثة بسيطة اكتفيت فيها بما أوردته المؤلف فلم نعلم عليها خشية الإطالة لاسيما وقد أفردها كثير من أهل العلم بجزء مستقل وذلك كمسألة الاحتفال بالمولود وقضية البدعة ولشيخ المحدث عبد الله الغماري [رحمه الله] جزء طريف أجاد فيه وأفاد سماه : إنegan الصنعة في تحقيق معنى البدعة قوله أيضاً : حسن التفهم والدرك لمسألة الترك فليرجع إلى ذلك وإلى غيره من أراد استزادة البحث والفائدة .

[وكان الفراغ منه يوم الخميس ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٤١٤ هـ].
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يُحصى ، وسبيبه أن الرجل الأول خرجت منه الصلاة على النبي ﷺ مع الغفلة وعمارة القلب بالشواغل والقواعد ، وكأنه ذكرها على سبيل الألفة والعادة فأعطي أجرًا ضعيفاً .

والثاني : خرجت منه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المحبة والتعظيم ، لأن حبه وتعظيمه ﷺ فرض واجب على كل أحد لقوله تعالى : ﴿ قل إن كان آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كсадها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجihad في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ (١) .

سعة حوض النبي ﷺ وكثرة آنيته وحلاؤه مائة وبياض لونه

روى الإمام مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال ﷺ : « حوضى مشيرة شهر ، وزواياه سواء ، وما فيه أبيض من الورق - أى الفضة - وريحة أطيب من المسك ، وكيزانه - أى كؤوسه - كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً » .

روى مسلم أيضاً عن أبي ذر - رضي الله عنه قال : قلت :

(١) سورة التوبة آية ٢٤ .

يارسول الله ما آنية الحوض؟ فقال ﷺ والذى نفس محمد بيده
لآنـته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة
المظلمة المصحية، آنية الجنة، من شرب منها لم يظـمـأ آخر ما
عليه يشـخـب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظـمـأ، عرضـه
مثل طـولـه، ما بين عـمـانـ إلىـ أـيـلـةـ، مـاـؤـهـ أـشـدـ بـيـاضـاـ منـ الـلـبـنـ
وأـحـلـىـ منـ العـسلـ».

وروى الإمام مسلم عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ
قال : (قدر حوضى كما بين أيلة وصنـعـاءـ منـ الـيـمـنـ ، وإنـ فيهـ منـ
الأـبـارـيقـ كـعـدـدـ نـجـوـمـ السـمـاءـ) .

وفي الصحيحين وسنن الترمذى عن أنس - رضى الله عنه - أن
رسول الله ﷺ قال : «ما بين ناحيتى حوضى كما بين صـنـعـاءـ
والمـدـيـنـةـ» .

وفي رواية : مثل ما بين المدينة وعمان ، وفي رواية أخرى : «ترى
فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء» زاد في رواية :
«آنيـتهـ أـكـثـرـ مـنـ عـدـدـ نـجـوـمـ السـمـاءـ» .

وفي رواية : إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنـعـاءـ الـيـمـنـ ، وأنـ فيهـ
الأـبـارـيقـ كـعـدـدـ نـجـوـمـ السـمـاءـ» واختلاف هذه المسافات التي
ضـرـبـهاـ رسـوـلـ اللهـ ﷺـ أـمـثـلـةـ لـعـرـضـ حـوـضـهـ الشـرـيفـ ، هـذـاـ الاـخـتـلـافـ

جاء لإعلام المخاطبين بسعة الحوض، فإن منهم من يعرف ما بين
أيلة وصنعاء، ومنهم من يعرف مسافات أخرى غير تلك فضرب
رسول الله ﷺ أمثله لسعة الحوض، جاء في بقية روایات أحاديث
الحوض، والقليل من هذه المسافات داخل تحت الكثير، والكثير
باق على ظاهره. كما قال الإمام النووي: وليس في القليل من هذه
منع الكثير والكثير ثابت على ظاهر الحديث، ولا معارضة، والله
أعلم . اهـ.

قال القاضي عياض (رحمه الله تعالى): وهذا الاختلاف في قدر
عرض الحوض: ليس موجباً للاضطراب أى في أحاديث
الحوض، فإنه أى الاختلاف لم يأت في حديث واحد، بل في
أحاديث مختلفة الرواية عن جماعة من الصحابة سمعوها في
مواطن مختلفة ضرب لها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً، وبعد
أقطار الحوض وسعته، وقرب ذلك من الأفهام وبعد ما بين البلاد
المذكورة، لا على التقدير الموضوع للتحديد، بل للإعلام بعظام
هذه المسافة، فبهذا تجمع الروایات .

شفاعته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في رفعة الدرجات في الجنة

ورد في الأحاديث النبوية: أن هناك شفاعة خاصة معلقة على أسباب خاصة، فمن جاء بذلك السبب نال تلك الشفاعة، فإن كانت له ذنوب ومعاصي لم يتبع منها غفران الله تعالى له بتلك الشفاعة - حسب مشيئة الله تعالى وحكمته - وإن لم تكن له ذنوب ومعاصي رفعت درجاته في الجنة بسبب تلك الشفاعة ومن هذه الأسباب: سؤال الدعاء بالوسيلة والمقام المحمود عقب الأذان.

روى مسلم وأصحاب السنن عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأله لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

وروى البخاري وأصحاب السنن عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيمة».

وزاد البيهقي في روايته: «إنك لا تخلف الميعاد».

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول إذا سمع المؤذن: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة صل

على محمد وأعطه سؤله يوم القيمة» وكان يسمعها من حوله، ويحب أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن. قال: ومن قال مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبت له شفاعة محمد يوم القيمة.

ومن أسباب شفاعته الخاصة زيارته الكريمة ، فعن حاطب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله : «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيمة» وعن عمر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله يقول: «من زار قبرى أو قال: من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيمة» وروى البيهقي عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله : «من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيمة ، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيمة).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهم - أن رسول الله قال: «من زار قبرى وجبت له شفاعتي» أي يخصه رسول الله بشفاعة ليست لغيره، إما بزيادة نعيم أو تخفيف هول ذلك اليوم عنه، أو دخول الجنة بغير حساب ، أو رفع درجاته في الجنة ، أو بزيادة شهود الحق تعالى والنظر إليه ، أو بغير ذلك من أنواع الإنعام والإكرام ، وفي المعجم الكبير للطبراني عن ابن عمر أن النبي

قال : «من جاءنى زائراً لا تعمله (أى لا تحمله على العمل حاجة) إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيمة» .

ويكفى بهذه الأحاديث التى ذكرناها ، وتنوع روایاتها وكثرة طرقها دليلاً صريحاً فى مشروعية زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وحثه عليها ، وترغيبه فيها وبيانه لفضل زيارته الكريمة : نسأل الله العظيم قبولها واستمرارها بجاه رسول الله ﷺ عند الله تعالى .

ومن أسباب شفاعته الخاصة ﷺ الموت فى مديته الطيبة ، والصبر على لأوائلها ، زادها الله تعالى شرفاً ورفعه ، ونفحنا الله تعالى بنفحاتها الطيبة .

روى الترمذى عن ابن عمر (رضى الله عنهم) أن رسول الله ﷺ قال : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليميت بها فإنى أشفع لمن يموت بها» .

ورواه ابن ماجه بلفظ : «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإنىأشهد لمن مات بها» .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن امرأة يتيمة كانت عند رسول الله ﷺ من ثقيف : أن رسول الله ﷺ قال : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليميت بها فإن من مات بالمدينة كنت له شهيداً (أو شفيعاً) يوم القيمة» .

وعن عبد الله بن عباد قال سمعت النبي ﷺ يقول : «أول من

أشفع له أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف».

ومن أسباب شفاعته الخاصة كثرة الصلاة على النبي ﷺ:

روى الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود (رضى الله عنه) : قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بي يوم القيمة - أى أحقهم بشفاعتى وإكرامى - أكثرهم على صلاة».

وعن رويفع بن ثابت الأنصارى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتى».

والمراد هنا بالمقعد المقرب: أعلى منازل الجنة وهو مقام الوسيلة ، فإنها أعلى منزلة في الجنة .

وروى الإمام أحمد عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن رجلاً قال: يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك؟ (أى جعلت دعائى كلها صلاة عليك) فقال ﷺ: «إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهملك من دنياك وأخرتك). وأخرج الطبرانى بسنداً جيداً عن أبي الدرداء (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى على حين يصبح عشرًا، وحين يمسى عشرًا: أدركته شفاعتى يوم القيمة».

وأخرج البيهقى في الشعب عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال
رسول الله ﷺ : «أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة ، وليلة
الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً (أو شافعاً) يوم القيمة .

الوصايا النبوية قبل الموت

أخرج أحمد وابن ماجة بسند قوى «مات رسول الله ﷺ ولم يوص».

المقصود بهذه الوصايا الخلافة. فعن عمر رضي الله عنه مات رسول الله ﷺ ولم يستخلف [رواه البخاري] أما الوصايا بغیر الخلافة فوردت في عدة أحاديث يجتمع منها أشياء.

١ - منها عن عائشة أن النبي ﷺ قال في وجعه الذي مات فيه ما فعلت الذهبية؟ قلت عندى قال : أتفقيها» أخرجه أحمد وغيره وفي رواية «ابعثي بها لعلى يتصدق بها».

٢ - أوصى بمائة وسبعين خير للدارين والرهاوين والأشعريين .

٣ - أن لا يُترك بجزيرة العرب دينان.

٤ - أن ينفذ بعث أسامة

(الثلاثة هذه رواها ابن إسحق في المغازى).

٥ - أن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزه (مسلم).

٦ - أوصى بكتاب الله (البخاري).

٧ - أوصى بالصلوة (النسائي وأحمد).

٨ - أوصى بما ملكت أيمانهم (النسائي وأحمد).

- ٩ - أوصى بالزكاة (أبو داود وابن ماجه).
- ١٠ - أوصى بالتحذير من الفتنة (سيف بن عمر في الفتوح).
- ١١ - أوصى بلزوم الجمعة (سيف بن عمر في الفتوح).
- ١٢ - أوصى بالطاعة (سيف بن عمر في الفتوح).
- ١٣ - أوصى السيدة فاطمة أن تقول عند وفاته: «إنا لله وإنا إليه لواقدى». راجعون»
- ١٤ - أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وأبنائهم من بعدهم.
- (الطبراني في الأوسط) وفيه من لا يعرف حاله.
- ١٥ - أوصى بأنه إذا مات أن يغسل بسبع قرب من بئر غرس (ابن ماجة وانظر البخاري).
- ١٦ - أوصى أن يصلى عليه أرسلاً بغير إمام (البزار والحاكم بسنده صحيح).
- اـ، باختصار من الفتح ج ٥ ص ٣٦٣ كتاب المؤصلينا

* * * * *

إلى الرفيق الأعلى

ذكر الحافظ القسطلاني في المواهب: عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتى به من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر (رضي الله عنه) وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتى به من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به» رواه الشیخان.

ومازال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره، وذكر من ذلك في المواهب عدة أحاديث، إلى أن قال: ذكر الواحدى بسند وصله بعد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة. فقال: حياكم الله بالسلام، رحّمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله وأستخلفه عليّكم، وأحذركم الله: إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده، فإنه قال لى ولكم: «تلك الدار الآخرة

يجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا والعقاب
للمتقين». وقال تعالى: «أليس في جهنم مثوى للمتكبرين»، قلنا
يا رسول الله متى أجلك؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله تعالى،
وإلى جنة المأوى، قلنا يا رسول الله: من يغسلك؟ قال: رجال
أهل بيتي الأدنى فالأدنى، قلنا يا رسول الله فقيم نكفنك؟ قال: في
ثيابي هذه، وإن شتم في ثياب بياض مصرية، أو حلة يمنية،
قلنا يا رسول الله: من يصلى عليك؟ قال: إذا غسلتني
وكفتنوني، فضعوني على سريري هذا على شفير قبرى، ثم
اخرجوا عنى ساعة، فإن أول من يصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم
إسرافيل ثم ملك الموت، ومعه جنود من الملائكة، ثم ادخلوا
على فوجاً فوجاً، فصلوا على وسلموا تسلیماً، ولبداً بالصلاحة على
رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم أنتم، ثم أقرأوا السلام على من
غاب من أصحابي، ومن تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم
القيمة، قلنا: يا رسول الله ومن يُدخلُك قبرك؟ قال أهلى مع
ملائكة ربى، وكذا رواه الطبراني.

وروى البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول
الله ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبىٰ قط حتى يرى مقعده
من الجنة ثم يخير، فلما اشتكي ﷺ وحضره القبض ورأسه على
فخذى غشى عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت،

ثم قال : اللهم في الرفيق الأعلى ، فقلت : إذن لا يختارنا ، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح ، ولما تغشاه الکرب عَلَيْهِ السَّلَامُ قالت فاطمة (رضي الله عنها) : واکرب أبناه ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ لها : لا کرب على أبيك بعد اليوم [رواه البخاري].

قال العلماء : إن ذلك الألم والوجع زيادة في رفعة منزلته عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال : « جاء ملك الموت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه ورأسه في حجر على ، فاستأذن فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال له على : ارجع فإننا مشاغيل عنك ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : هذا ملك الموت ، ادخل راشداً ، فلما دخل ، قال : إن ربك يقرئك السلام ، فبلغني أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيته قبله ولا يسلم بعده .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : لما بقى من أجل رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاث ، نزل عليه جبريل ، فقال : يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكراماً لك ، وتفضيلاً لك ، وخاصة لك ، ليسألوك عما هو أعلم به منك ، يقول : كيف تجدك ؟ فقال : أجدك يا جبريل معموماً وأجدني مكروباً ، ثم أتاه في اليوم الثاني ، فقال له مثل ذلك ، ثم جاءه في اليوم الثالث ، فقال له مثل ذلك ، ثم استأذن عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ ملك الموت ، فقال جبريل : يا محمد هذا ملك الموت ، يستأذن عليك . ولم يستأذن على آدمى قبلك ، ولا

يستأذن على آدمي بعدهك، قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوق بني يديه، فقال: يا رسول الله: إن الله عز وجل أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر، إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، فقال جبريل: يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال عليه السلام فامض يا ملك الموت لما أمرت به، فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موظئ من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه عليه السلام، فلما توفي عليه السلام سمعوا صوتاً من ناحية البيت، يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، «كل نفس ذاتة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيمة» إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودرك من كل فائت، فالله فتحوا وإياه فارجوا فإنما المصائب من حرم الشواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال على: أتدرون من هذا؟ هذا هو الخضر عليه السلام، رواه البيهقي، في كتاب دلائل النبوة.

وروى الحاكم من حديث أنس، قال: آخر ما تكلم به عليه السلام: (جلال ربى رفيع) وعن سالم بن عبد الله الأشجعى، قال: لما مات رسول الله عليه السلام كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فأخذ بقائم سيفه، وقال: لا أسمع أحداً يقول: مات رسول الله عليه السلام إلا ضربته بسيفي هذا، قال: فقالت الناس: يا سالم اطلب لنا صاحب رسول الله عليه السلام قال: فخرجت إلى المسجد، فإذا

أنا بأبى بكر، فلما رأيته أجهشت بالبكاء (أى تهيات) فقال:
يا سالم: أمات رسول الله ﷺ؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب
يقول: لا أسمع أحداً يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفى
هذا، قال: فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجى،
فرفع البرد عن وجهه، ووضع فاه على فيه، واستنشى الريح ثم
سجّاه والتفت إلينا فقال: «وما محمد إلا رسول الله قد خلت من
قبله الرسل» الآية «وقال تعالى: «إنك ميت وإنهم ميتون» يا أيها
الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد
الله فإن الله حى لا يموت، قال عمر: فوالله لكأنى لم أتل هذه
الآيات قط» رواه الترمذى . ومعنى استنشى الريح: شمها.

وقال ابن المنير: لما مات رسول الله ﷺ: طاشت العقول:
فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من
آخرس، فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى، وكان عمر ممن
خبل، وكان عثمان ممن أخرس، يذهب ويجيء ولا يستطيع
كلاماً، وكان على ممن أقعد، فلم يستطع حراكاً، وأضنى عبد الله
ابن أنيس فمات كمداً.

وكان أبو بكر الصديق (رضى الله عنه وعنهم) جاء وعيناه
تهملان وزفاته تتردد وغضبه تصاعد وترتفع فدخل على النبي
ﷺ فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه، وقال: طبت حياً وميتاً

يا رسول الله ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء ، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ، ولو أن موتك كان اختيارياً لجذنا لموتك بالنفوس ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ».

وفي رواية عن عائشة (رضي الله عنها) عند الإمام أحمد: أن أبا بكر (رضي الله عنه) أتى النبي ﷺ من قبل رأسه، فحدر فاه وقبل جبهته الشريفة، ثم قال: وابنها، ثم رفع رأسه فحدر فاه، وقبل جبهته ﷺ ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه، وقبل جبهته وقال: واخيللاه».

ولما توفي عليه الصلاة والسلام، قالت فاطمة (رضي الله عنها): يا أبناه، أجب ربياً دعاه، يا أبناه في جنة الفردوس مأواه، يا أبناه إلى جبريل ننعاه. (رواوه البخاري).

وأنخرج أبو نعيم عن علي (رضي الله عنه) قال: لما قبض رسول الله ﷺ صعد ملك الموت باكيًا إلى السماء، والذى بعثه بالحق نبياً، لقد سمعت صوتاً من السماء ينادى: وامحمداته، كل المصائب تهون عند هذه المصيبة».

وفي سنن ابن ماجه أنه ﷺ قال في مرضه: أيها الناس: إن أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبة بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعد أشد عليه من مصيبيتي».

وكانت وفاته عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَالنَّهَارُ يوم الاثنين بلا خلاف ، ودفن يوم الأربعاء
للاختلاف الذي وقع في موته ، وفي محل دفنه عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَالنَّهَارُ .

وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي قال: قد بلغنا أن النبي عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَالنَّهَارُ علييل ، فأوجس أهل الحى خيفة ، وبت بليلة طويلة ، حتى إذا كان قرب السحر ، نمت فهتف بي هاتف ، وهو يقول :

خَطْبُ أَجْلِ أَنَاخِ بِالإِسْلَامِ بين النخيل ومعقد الآطام
قِبْضُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ فَعَيْوَنَاهُ تبدي الدموع عليه بالتسجيم

فوثبت من نومي فزعاً، فنظرت إلى السماء فلم أر الأسعد الذابح (اسم نجم) فعملت أن النبي عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَالنَّهَارُ قبض وهو ميت ، فقدمت المدينة وأهلها ضجيج بالبكاء ، كضجيج الحجيج ، إذا أهلوا بالإحرام ، فقلت : مه؟ فقيل : قبض رسول الله عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَالنَّهَارُ .

ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام :

كُنْتَ السَّوادَ لِنَاظِرِي فعمى عليك الناظر
مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلِيمِتَ فعليك كنت أحذر

وأخرج أبو داود وصححه والحاكم عن علي (رضي الله عنه)
قال : غسلته عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَالنَّهَارُ : فذهبت أنظر ما يكون من الميت ولم أر شيئاً ،
وكان طيباً حياً وميتاً صلى الله عليه وآلـه وسلم .

وفي رواية ابن سعد: «وَسَطَعَتْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا قَطُّ».

وروى ابن ماجة عن ابن عباس (رضي الله عنهما): أنهم لما فرغوا من جهازه بِكِيرَةً يوم الثلاثاء، وضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس عليه بِكِيرَةً أرسلاً، يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يؤم الناس أحدٌ.

وفي رواية: إن أول من صلى عليه بِكِيرَةً: الملائكة أفواجاً، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجاً فوجاً، ثم نساوه آخرأ.

ولما دفن بِكِيرَةً في موضع فراشه في حجرة عائشة (رضي الله عنها) جاءت فاطمة (رضي الله عنها) فقالت: كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله بِكِيرَةً التراب؟ وأخذت من تراب القبر الشريف، ووضعتها على عينيها، وأنشأت تقول:

ما ذا على من شم تربة أَحْمَدَ أَنْ لَا يَشْمَ مَدِي الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صَبَتْ عَلَى مَصَابِبِ لَوْ أَنْهَا صَبَتْ عَلَى الْأَيَامِ عَدَنِ لِيَالِيَا

وروى الدرامي عن أنس (رضي الله عنه) قال: ما رأيت يوماً كان أحسن ولا أضوا من يوم دخل علينا فيه رسول الله بِكِيرَةً المدينة، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله بِكِيرَةً.

وفي رواية الترمذى عنه أيضاً: «لَمَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ بِكِيرَةً الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي

مات فيه عَزَّلَهُ اللَّهُ أَنْجَاهُ أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا من التراب،
وإنما لفني دفنه حتى أنكرنا قلوبنا».

اللهم أحقنا به غير خزايا ولا نادمين ، ولا مغيرين ولا مبدلین ،
يا رب العالمین ، واختم لنا منك بخير أجمعین .

والحمد لله رب العالمين ، وكتبه محمد بن علوی بن عباس
المالکی المکی الحسنی : خادم السنة النبویة بالبلد الحرام ، غفر
الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمین كافة . آمين .

يقول مؤلفه : «لقد ختمت بحمد الله تعالى هذه النسخة .

مساء يوم الجمعة بتاريخ ١٩/٧/١٣٩٩ هـ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصـاحبـه وسلـم .

فهرس

الصفحة

الموضوع

مقدمة الناشر

مقدمة المعلم

مقدمة المؤلف وأول كتاب الذخائر المحمدية

نسبه الشريف ﷺ

11 [اتفاق علماء الأسباب إلى عدنان وأضطراب النسابين بعد ذلك وكراهة الإمام مالك]

12 [رفع النسب إلى آدم عليه السلام] (١)

13 ولادته ﷺ

14 القول في مسألة ختانه ﷺ

15 حواصنه ومرضاكه ﷺ

16 نشأته ﷺ

أحواله ﷺ قبل البعثة

17 أسماؤه ﷺ

18 أول علامات النبوة شق صدره الشريف ﷺ

19 [الرد على المستشرقين والذين ينكرون شق صدره ﷺ]

20 خاتم النبوة

21 الرؤيا الصالحة

22 أولاده ﷺ

23 زوجاته ﷺ

24 إخوته من الرضاع ﷺ

25 أخواله ﷺ

26 مواليه ﷺ وذكر من أعنى منهم

27 خدمه ﷺ وبعض أصحاب الوظائف

28 حرسه ﷺ قبل نزول آية العصمة

29 رسالته ﷺ إلى الملوك

30 كتبه ﷺ

(١) كل ما بين القوسين فهو في الهاشم

الموضوع

الصفحة

٣٧	من عجائب مولده ﷺ
٣٨	من عجائب شأنه ﷺ
٣٩	من عجائب المولد الشريف
٤٠	ليلة المولد وليلة القدر
٤٢	من لطائف الميلاد النبوى
٤٣ - ٤٧	قصة الغرائب وبيان بطلانها
٤٨	إظهار حقيقة في حق أبوى النبي ﷺ
٤٩	تبرئ الإمام الأعظم أبي حنيفة (رضي الله عنه) مما نسب إليه في شأن الآبدين الكريمين
٥٣	رجوع ملا على القارى عن القول بعدم نجاة الآبدين الكريمين
٥٧ - ٦٢	[خلاصة الكلام فيما يتعلق بوالدى المصطفى عليه السلام]
٦٣	قصيدة السيد محمد أمين كتبى فى الآبدين الكريمين
٦٦	حياة النبي ﷺ وحفظ جسمه من الآفات الأرضية ونحوها
٦٦	قصيدة الفقيه المحدث ابن حجر الهيثمى
٦٨	شرح القصيدة للشيخ محمد حبيب الله الشنقطى
٦٩ - ٧١	[الكلام على الحياة البرزخية وحياة الأنبياء فى قبورهم]
٧٢	[Hadith عرض الأعمال على النبي ﷺ]
٧٤	فضل البقعة التي ضمت أعضاء ﷺ على جميع الأرض حتى الكعبة .
٧٨	مش الشياك النبوى والتمسح به
٨٠	وضع الإمام السبكى وجهه على بساط دار الحديث التى درس فيها الإمام التزوى
٨١	مس منبره المنيف وقبره الشريف ﷺ
٨٣	زيارة النبي ﷺ من أفضل الأعمال عند ابن القيم
٨٤	من آداب الزيارة البوية
٨٦	تخصيص الزائرين بشفاعة خاصة
٨٨	خصائص المدينة المنور ومزايها
٨٩	فضل الصلاة فى مسجده ﷺ
٩٠	طلب الموت فى بلد الشريف ﷺ
٩١	المدينة المنور لا يدخلها الدجال
٩٢	المدينة المنورة لا يدخلها الطاعون
٩٢	المدينة المنورة تأكل القرى

الموضوع

الصفحة

- ٩٢ المدينة المنورة تبني خبئها كما يبني الكبير حيث الحديد
- ٩٢ المدينة المنورة لا يدعها أحد رغبة عنها إلا حلّ بها من هو خير منه
- ٩٣ المدينة المنورة لا يريدها أحد بسوء إلا أهلكه الله
- ٩٣ استجواب الصيام والصدقة بالمدينة
- ٩٤ لا يجتهد في محارب صلى فيه رسول الله ﷺ
- ٩٤ استجواب الغسل لدخول المدينة المنورة
- ٩٤ بركة تمر المدينة ووقايتها من السحر والسم
- ٩٥ استجواب صلاة العيد في مسجد المدينة المنورة
- ٩٥ افتتحت المدينة بالإيمان لا بالسيف
- ٩٦ تقديم إجماع أهل المدينة على خبر الواحد
- ٩٦ يجب الوفاء بنذر زيارة قبره ﷺ
- ٩٦ ينبغي للزائر الغريب أن يسلم عليه ﷺ
- ٩٧ «من أحدث بالمدينة حدثاً ...»
- ٩٧ ينبغي قصد المدينة للتعلم أو التعلم
- ٩٨ تضوع العطر والبخور فيها أضعافها في غيرها
- ٩٩ فضل المنبر الشريف
- ٩٩ استجواب زيارة قبره ﷺ عند العناية
- ١٠١ فضل الركائب التي تحمل الزائرين
- ١٠٢ كرامات لزائر قبره ﷺ
- ١٠٣ هيئة الروضة وتحديدها
- ١٠٦ معنى كون الروضة من الجنة
- ١٠٨ المسجد النبوي الشريف هو المدرسة الأولى في الإسلام
- ١١٤ المدينة المنورة تحتفل بمقدم النبي ﷺ
- ١١٧ من آداب الزيارة النبوية
- ١١٩ نوبية ابن القيم في فضل الزيارة النبوية
- ١٢١ المدينة المنورة دار الإيمان والتوحيد
- ١٢٦ رأى ابن الجوزي في الاحتفال بمولده ﷺ
- ١٢٧ من أحسن الصيغ للصلوة على النبي ﷺ
- ١٣١ فضائل نبوية قرانية

الموضوع

الصفحة

١٣٢	كيف كانت عبادة رسول الله ﷺ قبل البعثة
١٣٦	صلوات مأثورة لرؤبة الحبيب ﷺ
١٣٨	مقام العبودية أشرف مقاماته ﷺ
١٤٠	شرح صلاة الفاتح الخاتم
١٤١	[ذكر فوائد تتعلق بهذه الصلاة]
١٤٢	« يا أيها الرسول بلغ ... »
١٤٤	رؤيا النبي ﷺ
١٤٨	حفظ الله لنبيه ﷺ من مؤمرات اليهود
١٥٢	عرض الأعمال على النبي ﷺ
١٥٣	محافظة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ميزاب العباس رضي الله عنه لأنه وضعه النبي ﷺ
١٥٣	تعظيم الصحابة لرجل وناقة رسول الله ﷺ
١٥٥	قصيدة بانت سعاد
١٥٧	صانع المنبر النبوى
١٥٨	جواز طلب الشفاعة من النبي ﷺ
١٥٩	سودان قارب يطلب الشفاعة من النبي ﷺ
١٥٩	[توكيل الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بالنبي ﷺ]
١٦٠	جواز التوسل بغير النبي ﷺ
١٦١ - ١٦٠	[تعليق حول هذا الموضوع للأخ الفاضل محمد الهادي عبيد القونسى]
١٦٢	إن الله عودك خيراً
١٦٣	ليس لنا إليك فرارنا
١٦٥	معنى قوله ﷺ رد الله على روحى
١٦٧	رسول الله ﷺ على حوضه يتضرر الواردین عليه من أمه
١٧٠	لواء الحمد
١٧٣	والغفو عند رسول الله مأمول
١٧٧	فوائد الصلاة والسلام على خير الأنام
١٨٧	تمنى رؤية النبي ﷺ
١٨٧	القناعة بالقليل في سبيل الجوار
١٨٧	غيره البوصيري (رضي الله عنه)
١٨٨	بين النبهاني وابن عبيد الله

الموضوع

الصفحة

١٩٠	فأنت «باب الله» للقطب الكبير البكرى المصرى
١٩٣-١٩١	[تعليق على ما يثار من اعتراض حول أبيات القصيدة]
١٩٤	تقيل البد احتراماً وتقديرًا
١٩٥	فضل القبر الشريف على الكون
١٩٥	السرور بالمولد النبوى
١٩٦	رثاء صافية بنت عبد المطلب (رضي الله عنها) لرسول الله ﷺ
١٩٧	فذو العرش محمود وهذا محمد
١٩٧	النبي ﷺ هو ركناً وملائكتنا وعصمتنا
١٩٨	تسبيح الطعام في كفه ﷺ
١٩٩	قد أتينا إلى حماك (تسل)
٢٠٠	على أي شيء كانوا يؤذنون في العهد النبوى
٢٠١	التبرك بعاصى النبي ﷺ
٢٠٢	حكم وفوائد من شق صدره ﷺ
٢٠٦	الحكمة في غسل صدره ﷺ بما الثلوج والبرد
٢٠٨	خطبة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما سمع بوفاة الحبيب ﷺ
٢١١	معنى قوله ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»
٢١٤	عدد الذين بالوا في حجره ﷺ
٢١٤	كم سجد النبي ﷺ للسهو، وهل يسهو النبي؟
٢١٥	أفضل المياه
٢١٦	ادخلوها من حيث قال حسان
٢١٧	عدد الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ
٢١٧	الخمسة الذين نقضوا الصحيفة
٢١٩	خلاصة مفيدة في الصلاة على النبي ﷺ
٢٢١	حول عتاب الله لنبيه ﷺ
٢٢٦-٢٢٥	[تعليق حول أبيات العتاب]
٢٢٧	حقيقة معجزة النبي ﷺ
٢٢٨	تنوع مشاهدات النبي ﷺ
٢٢٩	أبيت عند ربي يطعنني ويسقين
٢٣٣	خلاصة مفيدة في الخصائص النبوية

الموضوع

الصفحة

٢٣٥	القسم الأول فيما اختص به في ذاته في الدنيا
٢٣٦-٢٣٥	[اعتراض على المؤلف وجوابه]
٢٤٣-٢٤١	[اطع الله لنبيه ﷺ على الأمور الغيبية]
٢٤٦	القسم الثاني فيما اختص به في شرعيه وأمته في الدنيا
٢٥٨-٢٥٥	[مبحث في الأقطاب والأوتاد والنجاء والآبدال]
٢٦١	القسم الثالث فيما اختص به في ذاته في الآخرة
٢٦٥	القسم الرابع فيما اختص به في أمته في الآخرة
٢٦٧	القسم الخامس فيما اختص به من الواجبات
٢٦٩	القسم السادس فيما اختص به من المحرمات تشريفاً له ﷺ
٢٧١	القسم السابع فيما اختص به من المباحثات
٢٧٤	القسم الثامن فيما اختص به من الكرامات
٢٨٤	العجز عن وصف المصطفى ﷺ
٢٨٦	«أنا ابن العوائل»
٢٨٧	«أنا أولى بالمؤمنين»
٢٨٨	تقلله ﷺ من الدنيا كان اختياراً
٢٨٩	طيبة للأديب عبد الجليل برادة
٢٩٠	أسماء النبي ﷺ
٢٩١	من علامات محبته ﷺ
٢٩١	أبو لهب يخاف من دعوة النبي ﷺ
٢٩٥	من عجائب آثار معجزاته ﷺ
٢٩٧	من عجائب المعجزات وتأثيرها في القوى البدنية
٢٩٧	زيارة أبي الحسن الشاذلي (رضي الله عنه) للنبي ﷺ
٢٩٩	عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يقطع شجرة الرضوان
٣٠١	رجل يطلب الشفاعة من النبي ﷺ
٣٠٣	من عجائب القدرة الإلهية في حماية الحضرة المحمدية
٣٠٥	من منهجه ﷺ في التربية والتعليم
٣٠٧	شهدوه فضلهم ﷺ في كل نعمة
٣٠٩	حضور روحانية المصطفى ﷺ
٣١٢	الفرح بالحبيب ﷺ

الموضوع

الصفحة

٣١٤	اهتمام العلماء بمثال نعال النبي ﷺ
٣١٩	الاحتفال بمواليد النبي ﷺ
٣٢٨	تسل الناس بالنبي ﷺ في عهد عمر (رضي الله عنه)
٣٣٠ - ٣٢٩	[تعليق على حديث مالك الداروبيان صحته]
٣٣١	فضائل أعمال الأمة في ميزان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٣٣٣	وامحمداته
٣٣٥	النبي ﷺ يعلم أحد أصحابه كيفية التسلل به
٣٤١ - ٣٣٧	[بحث هام يتعلق بحديث الأعمى]
٣٤٢	من خصائص آل البيت (رضي الله عنهم)
٣٤٦	ببر الخاتم
٣٤٧	زمن المدينة
٣٤٨	العقيق
٣٥٠	أم معبد تتحدث عن المصطفى ﷺ
٣٥٤	مشاركته ﷺ أصحابه في العمل
٣٥٥	صورة من صبره ﷺ
٣٥٦	ثلاثة من أعاذه قريش يقرؤن بصدق وأمانة النبي ﷺ
٣٥٧	كمال وجهه ﷺ
٣٥٨	سيد ولد آدم ﷺ
٣٥٩	استرجاع النبي ﷺ لصفية من دحية
٣٦٠	قاعدة نبوية في المركبات من الأدوية
٣٦١	حنين الجذع للنبي ﷺ
٣٦٢	تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الكونين
٣٦٣	معجزة باهرة
٣٦٣	أشياء ما كان يردد لها
٣٦٤	محبته ﷺ لماء زمزم وطلبها له من المدينة المنورة
٣٦٦	تنقله ﷺ من عهد آدم في أصلاب الأنبياء
٣٧١	النور المحمدي
٣٧٣ - ٣٧١	[تعليق على حديث جابر: «أول ما خلق الله نور نبيك»]
٣٧٧	أفضلية النبي ﷺ على الملائكة

الصفحة

الموضوع

٣٧٩	قبول الصلاة والسلام عليه ﷺ بلا قيد ولا شرط
٣٨١	سعة حوض النبي ﷺ وكثرة آنيته وحلاوة مائه
٣٨٤	شفاعته ﷺ في رفع الدرجات في الجنة
٣٨٩	الوصايا النبوية قبل الموت
٣٩١	إلى الرفيق الأعلى

الخطا الحمد بية

للعالم الفاضل

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر : دار جوامع الكلم ١٧ ش الشیخ صالح الجعفری
الدراسة - القاهرة - ت : ٥٨٩٨٠٢٩